

التعليقات لسلفية على

العقيدة الواسطية

لصاحبها

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية رحمه الله

شرح وتقديم

أ.د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
هئية أصول الدين قسم العقيدة والذاهب المعاصرة

اعتنى به

عبد الرحمن بن مقبل الزويبي الشمرى
غفر الله له ولوالديه وللسانعة والمسامين

دار الإمام محمد
للطباعة والنشر



التعليم بين الساقية

على

العقيدة الواسطية

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م

العقيدة الواسطية

وسبب تأليف هذه العقيدة أنه قدم لابن تيمية من أرض واسط شيخ يقال له رضي الدين الواسطي وكان حاجاً ، وشكا ما للناس فيه بتلك البلاد ، وفي دولة التتر من غلبة الجهل والظلم ، فكتب له هذه العقيدة وقال عنها: " أنا تحرّيت في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة " وقال أيضاً: " وكل لفظ ذكرته فأنا أذكر به آية ، أو حديثاً ، أو إجماعاً سلفياً ."

دار الإمام محمد
للطباعة والنشر

daralamajid@gmail.com

التَحْلِيقَاتُ السَّلَفِيَّةُ

عَلَى

الْحَقِيقَةِ الْوَلِائِيَّةِ

لصاحبها

سَيِّدُ الْإِسْلَامِ نَقِيِّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْحَكِيمِ بْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ

شرح وتقديم

أ.د. مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَمَيْسِ

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

فئة أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

اعتنى به

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُقْبِلٍ الرَّوَيْحِيُّ الشَّامِيُّ

غفر الله له ولوالديه ولشايخه وللمسلمين

دار الأمل

للطباعة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الشارح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار؛ أما بعد:

فإن من أهم الكتب التي تقرر العقيدة السلفية بأدلتها النقلية من الكتاب والسنة وإجماع السلف رسالة العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية (المتوفى ٧٢٨هـ) - رضي الله عنه وأجزل له المثوبة - وقد تلقاها أهل العلم بالقبول سلفًا وخلفًا ونالت شهرة واسعة، وامتحن شيخ الإسلام بسببها من أهل الكلام، وقد اعتنى بها أهل العلم تدريسيًا وشرحيًا، وقررت في المدارس والمعاهد العلمية.

هذا وقد شرحتُ هذه الرسالة المباركة بمجالس عدة في مسجد من مساجد الكويت - أعزها الله - تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية.

وقد قام الابن/ عبد الرحمن بن مقبل الشمري الأستاذ في وزارة التعليم بحفر الباطن بالعناية بذلك الشرح وتلك التقارير وأشرف على إعدادها وتهيئتها فجزاه الله خيرًا، وجعله في ميزان حسناته، وأسأل الله أن يكون عملنا خالصًا لوجهه الكريم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه: أ.د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

أستاذ العقيدة في كلية أصول الدين

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمة المعتني

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].
أَمَّا بَعْدُ:

فإنه لا يخفى على ذي بصيرة أهمية التوحيد والمحافظة عليه، فقد حمى النبي ﷺ جناب التوحيد، وتركنا على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وقد مكث النبي ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة^(١) يدعو إلى التوحيد،

(١) اختلف العلماء في مدة مكثه ﷺ في مكة قبل الهجرة على قولين:

القول الأول: أنه مكث عشر سنين، واستدلوا بما رواه البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٤٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: (فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه، وبالمدينة عشر سنين).

القول الثاني: أنه مكث ثلاث عشرة سنة، واستدلوا بما رواه البخاري (٣٩٠٢)، ومسلم (٢٣٥١) عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (بُعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين).

قال النووي: (واتفقوا أنه ﷺ أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين، وبمكة قبل النبوة أربعين سنة، وإنما

واستمرت دعوته إلى التوحيد، والنهي عن الشرك - وهو في المدينة كذلك - إلى أن مات، فقال ﷺ قبل أن يموت بخمس: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»^(١). وقد تحمّل الصحابة رضي الله عنهم هذا الدين ونقلوه إلى من بعدهم، إلى أن وصل إلينا - والله الحمد - صافيًا نقيًا؛ متمثلًا في عقيدة أهل السنة والجماعة. وإن من أجل العلوم معرفة أسماء الله وصفاته بل هي أجلها، فإن العلم يشرف بشرف معلومه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (وكلما ازداد الإنسان معرفة بأسماء الله وصفاته وآياته، كان إيمانه به أكمل)^(٢). وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (أساس دعوة الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله)^(٣). وقال رَحِمَهُ اللهُ: (من عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: أحبه لا محالة)^(٤).

الخلاف في قدر إقامته بمكة بعد النبوة وقبل الهجرة، والصحيح أنها ثلاث عشرة فيكون عمره ثلاثًا وستين) انظر: شرح النووي على مسلم (٩٩ / ١٥). وقال ابن كثير: (وأما إقامته بمكة بعد النبوة فالمشهور ثلاث عشرة سنة؛ لأنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أوحى إليه وهو ابن أربعين سنة، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح، ويحتمل أنه حذف ما زاد على العشرة اختصارًا في الكلام؛ لأن العرب كثيرا ما يحذفون الكسور في كلامهم) انظر: تفسير ابن كثير (١٨ / ١).

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، (ص: ١٩٢) برقم (٥٣٢).

(٢) الإيمان لابن تيمية (ص: ١٨٤).

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة لابن قيم الجوزية (١٥٢، ١٥٠).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية (١٨ / ٣).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ أَيضًا: (ولا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها، ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات)^(١).

وقال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحْمَةُ اللَّهِ: (هذا العلم - وهو العلم المتعلق بالله تعالى - أشرف العلوم وأجلها على الإطلاق، فلاشتغال بفهمه والبحث التام عنه، اشتغال بأعلى المطالب، وحصوله للعبد من أشرف المواهب)^(٢).

هذا، وإن الإلحاد في أسماء الله وصفاته من أعظم الإلحاد والضلال، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ: (إنكار صفات الله أعظم إلحادًا في دين الرسل من إنكار معاد الأبدان، فإن إثبات الصفات لله أخبرت به الرسل أعظم مما أخبرت بمعاد الأبدان)^(٣).

وقال أَيضًا: (والآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته، أعظم قدرًا من آيات المعاد)^(٤).

ومن الكتب التي ذاعت وانتشرت بين الناس كتاب العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ^(٥)، وهو كتاب غاية في الأهمية، فإنه رَحْمَةُ اللَّهِ ذَكَرَ كثيرًا

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن قيم الجوزية (١/٢٣٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المعروف بتفسير السعدي (ص: ٣٥).

(٣) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٥/٣٠٩). وقال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: (فإن أولئك - يعني: المشركين - أعطوا أسماء وصفاته لألهتهم، وهؤلاء - يعني: المعطلة - سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها فكلاهما ملحد في أسمائه) بدائع الفوائد لابن القيم (١/١٦٩).

(٤) المصدر السابق (٥/٣١٠).

(٥) ما أجدر ابن تيمية بما قاله ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ حيث قال: (ولولا ضمان الله بحفظ دينه، وتكفله بأن يقيم له من يجدد أعلامه، ويحيي منه ما أماته المبطلون. وينعش ما أحمله الجاهلون: لهدمت أركانه، وتداعى بنيانه، ولكن الله ذو فضل على العالمين) مدارج السالكين (٣/٧٨).

من صفات الله تعالى واستدل عليها بالكتاب والسنة وهو أغلب مادة الكتاب، ثم ذكر رَحْمَةُ اللَّهِ رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وما يكون بعد الموت من عذاب القبر ونعيمه، والموازنين، والحساب، والحوض، والصراط، والشفاعة وغير ذلك، ثم ختم كتابه بجملة من صفات أهل السنة والجماعة.

وإن من نعمة الله تعالى أن هياً للناس هذا الإمام - أعني: ابن تيمية^(١) -، فإنه جاء في وقت اشتدت فيه ظلمات البدع، وكثرت فيه عواصف المبتدعة، وانتشرت فيه المؤلفات المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة. فكان رَحْمَةُ اللَّهِ سداً منيعاً لمن خالف عقيدة السلف الصالح.

ثم رأيت كلاماً للعلامة السعدي رَحْمَةُ اللَّهِ يقول فيه: «ولا يخفى لطف الباري في وجود شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ - في أثناء قرون هذه الأمة - وتبيين الله به وبتلامذته من الخير الكثير، والعلم الغزير، وجهاد أهل البدع والتعطيل والكفر، ثم انتشار كتبه في هذه الأوقات، فلا شك أن هذا من لطف الله لمن انتفع بها، وأنه يتوقف خير كثير على وجودها، فله الحمد والمنة والفضل»^(٢).

(١) لم أترجم لابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ - فإنه لا يكاد يخفى على طالب علم - ثم إن ترجمته فيها من الفوائد والنكت ما عزّ نظيره وقل شبيهه ولا تحتملها هذه الصفحات، ومن ثم فإن الاطلاع على ترجمته من المصادر المترجمة له فيها فوائد لطالِب العلم.

والكتب التي ترجمت لابن تيمية كثيرة جداً؛ منها كتب أفردت في ترجمته مثل: (العقود الدرية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية) لابن عبد الهادي، و (الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية) لعمر بن علي البزار، و (الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون) لمحمد عزيز شمس وعلي بن محمد العمران. ومن الكتب التي ترجمت لابن تيمية كتاب: (ثلاث تراجم نفيسة للأئمة الأعلام) للذهبي (ص ٢١).

(٢) المواهب الربانية من الآيات القرآنية لعبد الرحمن السعدي (ص: ١٢٢، ١٢٣).

ثم رأيت كلاماً للعلامة ابن عثيمين رَحْمَةُ اللَّهِ يوافق هذا المعنى، قال رَحْمَةُ اللَّهِ: (ولهذا الرجل - يعني: ابن

وقد كثرت الشروح على العقيدة الواسطية وهي متنوعة: فمنها المختصر ومنها الموسع.

ومن الشروح على الواسطية شرح لفضيلة شيخنا الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس - وفقه الله - وهو في الأصل مادة صوتية تمّ تفريغها والعمل عليها^(١).

منهجي في الكتاب:

أ - مراجعة المادة الصوتية بالمادة المفرّغة.

ب - زيادة أو نقص أو تعديل ما يُحتاج إليه في السياق^(٢) - كما هو الحال في المواد الصوتية إذ أنها لم توضع للتأليف ابتداءً -.

ج - وجدت المادة الصوتية ناقصة، وآخر ما وقفت عليه من شرح الشيخ - وفقه الله تعالى - هو كلامه على فضل خديجة وعائشة عليهما السلام؛ فأكملت الشرح من قول المصنف (الماتن): (ويمسكون عما شجر بين الصحابة) إلى آخر الكتاب، وأكملت بعض مواضع شرح الشيخ - وفقه الله تعالى - من كتبه الأخرى مثل: التوضيحات الجلية على شرح العقيدة الطحاوية، واعتقاد أئمة السلف أهل الحديث، والتحفة السنية في بيان مقاصد الفتوى الحموية، واللائئ البهية في تقريب شرح العقيدة الطحاوية.

تيمية - من المقامات التي يشكر عليها والتي نرجو من الله له المثوبة عليها في الدفاع عن الحق ومهاجمة أهل الباطل ما يعلمه كل من تتبع كتبه وسبرها، والحقيقة أنه من نعم الله على هذه الأمة، لأن الله سبحانه وتعالى كف به أموراً عظيمة خطيرة على العقيدة الإسلامية) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١٩/١).

(١) والتمهيد المذكور في مقدمة الشرح هو من كلام الشارح - وفقه الله تعالى -.

(٢) وذلك بإذن من الشارح - وفقه الله تعالى -.

د - خرجت الأحاديث، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليه، فإن لم أجده في الصحيحين خرجته مما يتيسر من مصادر السنة الأخرى، مع ذكر درجته من كلام بعض المحدثين عليه.

هـ - أضفت في الحاشية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله تعالى - فربما أكثر النقل عنهما؛ لكونهما من محققي العلماء وما لكلامهما من قيمة علمية بارزة^(١).

و - وجدت في المتن بعض الاختلافات اليسيرة، فاعتمدت متن الواسطية الذي بتحقيق فضيلة الشيخ د. دغش بن شبيب العجمي، فهي من أجود الطباعات.

ز - التعريف ببعض الفرق والطوائف.

وختامًا: الله أسأل بِمَنِّه وكرمه أن ينفع بهذا الشرح، وأن يغفر لماتنه وشارحه وقارئه وعموم المسلمين، وأن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يتجاوز عن تقصيرنا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه: عبد الرحمن بن مقبل الزوبعي الشمري

المملكة العربية السعودية - حفر الباطن



(١) وقد استفدت - في تحديد بعض مواضع الإجماع - من كتاب (المسائل العقدية التي حكي فيها ابن تيمية الإجماع) لمجموعة من المؤلفين، كما استفدت - في معرفة بعض النصوص في الصفات - من كتاب (صفات الله عزَّ وجلَّ الواردة في الكتاب والسنة) لعلوي عبد القادر السقاف، واستفدت - في معرفة بعض أقوال شيخ الإسلام - من كتاب (شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية) للدكتور خالد المصلح.

تهيد

قبل أن أشرع في شرح العقيدة الواسطية، أودُّ أن أبين بإيجاز منهج القرآن في الدعوة إلى التوحيد والإيمان؛ إذ هو المصدر الأساسي لتقرير العقيدة السلفية، وهو المصدر الأول كذلك في تقرير هذه العقيدة الواسطية المباركة؛ فقد بلغت الآيات التي استدلت بها شيخ الإسلام في هذا الرسالة أكثر من مائة دليل من القرآن الكريم، ثم أذكر مناهج العلماء وطرقهم في تدوين العقيدة السلفية، ثم أوضح طريقة شيخ الإسلام ومنهجه في تدوين العقيدة الواسطية.

﴿ أولاً: منهج القرآن في الدعوة إلى التوحيد والإيمان: ﴾

القرآن متضمن للتوحيد فكلُّ سورة بل كل آية متضمنة لنوعي التوحيد، شاهدة به وداعية إليه؛ فما من آية إلا فيها ذكر اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته، أو دعوة إلى إخلاص الدين والعبادة لله أو قصص لأحوال الأمم السابقة الذين كانوا قبل النبي ﷺ من أتباع الرسل، وما حصل لمن أطاع الرسل وأخلصوا الدين لله في الحياة الدنيا وما يحصل لهم في الآخرة، كذلك ما حصل لعصاة الرسل في الدنيا من النكال، وما يحصل لهم من عذاب في الآخرة، فالقرآن كله في التوحيد^(١).

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد. بل نقول قولاً كلياً: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن: إما خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد

والقرآن الكريم ركز على أربع قضايا^(١):

القضية الأولى: قضية التوحيد - كما تقدم -.

القضية الثانية: قضية أن محمدًا هو رسولٌ من عند الله، فإن قريشًا أنكرت التوحيد كما هو معلوم، وأنكرت أن يكون محمدٌ ﷺ رسولًا مرسلًا من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

القضية الثالثة: قضية أن القرآن هو كلام الله، فكفار قريش أنكروا أن يكون هذا القرآن هو كلام الله المنزل على النبي ﷺ لعدم إيمانهم بأن محمدًا ﷺ هو مرسل من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

القضية الرابعة: قضية البعث؛ أي إحياء الأجساد بعد الموت، وما يتبع ذلك، فإن قريشًا أنكروا أن يكون هناك حياة أخرى غير هذه الحياة الدنيا، وأنكروا قدرة الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على إحياء الناس يوم القيامة.

وقد استعرض القرآن الكريم هذه القضايا الأربع:

أما القضية الأولى: وهي قضية أفراد الله بالعبادة فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُدلل على توحيد العبادة - وهو الذي حصل فيه النزاع والخصومة بين قريش وبين النبي ﷺ - بتوحيد الربوبية الذي يقرون به، فإن المشركين يقرون بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الخالق الرازق وهو الذي أوجد هذا العالم.

فبالتالي ما دام أنكم مقرون بأن الله هو الخالق وأن الله هو الرب فلماذا لا

ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم) مدارج السالكين (٣/ ٤١٨، ٤١٧).

(١) للتوسع انظر: منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان للأستاذ الدكتور علي فقيهي.

تعبدونه؟ كما في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَلَا تَنْقُوزُونَ ٣١﴾ [يونس: ٣١].

وغير ذلك من الآيات التي فيها احتجاج الله سبحانه وتعالى على المشركين بما أقروا به من توحيد الربوبية^(١).

وأما القضية الثانية: وهي الطعن في الرسول ﷺ، وقالوا: لِمَاذَا لم يرسل الله سبحانه وتعالى إلينا ملكًا حتى نؤمن به؟ لِمَاذَا يرسل الله سبحانه وتعالى بشرًا منا؟!

قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا مَا لِيْنَا هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرٌ ٧﴾ [الفرقان: ٧]، فالمشركون يسخرون من أن يكون الرسول هو من جنس البشر، ويطالبون بأن ينزل معه رسولًا آخر وهو ملك حتى يصدقون بأنه رسول عند الله سبحانه وتعالى.

ومن حكمة الله تعالى أن يرسل رسولاً من البشر؛ حتى يكون قدوة لمن آمن به. ولو كان الرسول من الملائكة؛ لاحتج من احتج بأنه لا يستطيع أن يقتدي بهذا الرسول من الملائكة؛ لأن الملائكة جنس غير جنس البشر.

وقال سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ [الأنعام: ٨، ٩].

(١) انظر: تفسير السعدي (ص: ٣٦٣).

فَلْخَصَّ شَبَهَةَ الْمَشْرِكِينَ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ فِي أَنَّهُمْ اقْتَرَحُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَحَدَ أَمْرَيْنِ:
* إما أن تنزل عليهم ملائكة مباشرة من السماء.

* وإما ينزل ملك على الرسول ﷺ وهم يرونه ويشاهدونه وهو يتنزل على النبي ﷺ بأم أعينهم.

ولما كانت هذه الدعوى - أعني: أن يكون الرسول ملكًا - لا تستقيم، وتاريخ الأنبياء يكذبها؛ لجئوا إلى وسيلة أخرى وهي: اتهام الرسول ﷺ بالافتراء والكذب، فاتهم المشركون النبي ﷺ بأنه كذاب وبأنه دجال، وأن الرسول ﷺ يعلمه بشر.

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى حكايةً عنهم: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٨].

ولم يقتصروا على ذلك بل تعدى الأمر إلى اتهام الرسول ﷺ بالجنون؛ قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى حكايةً عنهم: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَرِيكَ لَتَارِكُوا إِلَهَ تَنَالِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٦]. وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُرْلَقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١].

وقد نفى القرآن هذه التهمة الكاذبة بأوضح عبارة قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا مَا بَصَاحِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٤].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَذَكِّرْ مَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور: ٢٩]. وكل عاقل يسمع كلام النبي ﷺ أو يسمع القرآن يجده دالًّا على كمال علم وكمال عقل؛ حين ذلك يعلم العاقل بطلان دعوى المشركين في ذلك.

ومن ههنا لجئوا إلى وسيلة أخرى فطلبوا من النبي ﷺ أن ينزل ملكًا، كما أخبر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمَشِي فِي الْأَسْوَاقِ

لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُوبُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُنْفِقُ إِلَيْهِ كَنْزًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ [الفرقان: ٧، ٨]،
والله تعالى قادرٌ على أن يُنزل ملكًا؛ ولكن لم ينزل ملكًا لحكمة ذكرها في كتابه،
قال سبحانه: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُ فِي الْأَرْضِ مَلَكًا لَمَسَّكُمُ يَمُوتٌ مُّطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء: ٩٥].

وقد ذكر القرآن كلامهم وطلباتهم العجيبة ورد عليهم، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى:
﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تُفَجِّرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ
وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا فُجَيْرًا ﴿٩١﴾﴾ [الإسراء: ٩٠، ٩١].

ثم عطف القرآن على جانب آخر هو التحدي للمشركين بالقرآن، وبيان أن
محمدًا ﷺ قد جاء بالمعجزة الخالدة وهي معجزة القرآن الكريم، فقد تحدى النبي
ﷺ العرب جميعهم على أن يأتوا بمثل هذا القرآن^(١)، أو يأتوا بعشر سور^(٢)، أو
يأتوا بسورة من مثله^(٣)؛ فما استطاعوا مع أنهم أهل البلاغة وأهل الفصاحة؛ ومعلوم
أن آيات الأنبياء تكون من جنس الأشياء التي اشتهرت عند كل قوم^(٤).

(١) قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

(٢) قال سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [هود: ١٣].

(٣) قال جل وعلا: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣].

(٤) قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت
وحيا أوحى الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف
نزل الوحي وأول ما نزل (٣/ ١٦٠٧) برقم: (٤٩٨١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبيينا
محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (ص: ٧٤) رقم: (١٥٢) واللفظ له.

فَإِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ قَوْمَهُ يَشْتَغِلُونَ بِالسَّحَرِ وَتَفَوَّقُوا بِالسَّحَرِ فَأَوْتَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعَصَا الَّتِي تَحُولُ إِلَى حَيَّةٍ حَقِيقَةٍ وَلَيْسَتْ مِنَ السَّحَرِ وَالتَّخْيِيلِ. وَكَذَلِكَ فِي قَوْمِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أُولَئِكَ الْقَوْمُ بَرَزُوا فِي عِلْمِ الطَّبِّ، فَأَوْتَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بآيَاتٍ وَهُوَ أَنَّهُ يَشْفِي الْمَرْضَى وَيَبْرِئُ الْأَكْمَهَ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي عَجَزُوا عَنْ عِلَاجِهَا، فَكَانَ يَمْسَحُ عَلَى الْمَرِيضِ فَيَشْفَى بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَيْسَتْ بِنَوْعٍ مِنَ الطَّبِّ.

وَكَانَ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ عُرِفُوا بِالْفَصَاحَةِ وَعُرِفُوا بِالْبَيَانِ، وَأَعْطَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى النَّبِيُّ ﷺ مَعْجَزَةً خَالِدَةً فَمَا اسْتَطَاعُوا عَلَى الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ أَوْ سُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ.

وَأَمَّا الْقَضِيَّةُ الثَّلَاثَةُ: وَهِيَ الطَّعْنُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَإِنَّ الْمَشْرِكِينَ زَعَمُوا أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ لَيْسَ كَلَامُ اللَّهِ وَلَمْ يَنْزِلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَزَعَمُوا أَنَّهُ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥].

وَزَعَمُوا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ مِنْ رَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ، قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلَّمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وَيَشِيرُ الْمَشْرِكُونَ إِلَى رَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ كَانَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ، غَلَامٌ لِبَعْضِ بَطُونِ قَرِيشٍ، وَكَانَ بِياعًا يَبِيعُ عِنْدَ الصَّفَا، فَرُبَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْلِسُ إِلَيْهِ وَيَكْلِمُهُ بَعْضُ الشَّيْءِ، فَقَالَ الْمَشْرِكُونَ - بَهْتَانًا وَزُورًا - أَنَّ هَذَا الْأَعْجَمِيَّ يُعَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ؛ وَكَيْفَ يَكُونُ الْأَعْجَمِيُّ يَأْتِي هَذَا الْبَيَانَ، وَهُوَ أَعْجَمِيٌّ لَا يُعْرِفُ بِفَصَاحَةٍ وَلَا

بيان، وكيف يتعلم النبي ﷺ - الذي جاء بهذا القرآن العظيم في فصاحته وبيانه وشموله - من أعجمي؟! فلهذا قال الله تعالى رادًا عليهم في افتراءهم ذلك:

﴿لَسَاتُ أَلَدَىٰ يُلْحَدُونَ لِإِنِّهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (١٠٣) ﴿١﴾.

كذلك زعموا أن القرآن إنما هو سحر أو كلام كاهن، وقد فند القرآن هذه الشبهة قال تبارك وتعالى: ﴿فَذَكِّرْ مَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (٢٩) [الطور: ٢٩].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ (٢١٠) ﴿٢﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ [الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢]، فأخبر تعالى بأن الشياطين إنما تنزل على كل كذاب فاجر، والنبي ﷺ هو الصادق وهو الأمين - حتى عند كفار قريش - فكيف يتنزل عليه الشياطين؟!.

قال تبارك وتعالى: ﴿هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ (٢٢١) ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣].

وزعموا أيضًا أنه شاعر، وقد ردَّ الله عليهم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (٦٩) [يس: ٦٩].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آيَاتُنَا لَنَارِكُوهَا أَلْهَتَنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ (٣٦) ﴿٤﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ [الصافات: ٣٦، ٣٧].

وأما القضية الرابعة: الطعن في عقيدة البعث حيث أنكرت طائفة من مشركي مكة البعث، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرُدُّوْنَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ (١٠) ﴿٥﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا تَحَرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ [النازعات: ١٠ - ١٢].

قال تبارك وتعالى: ﴿وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفْنًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٤١) ﴿٦﴾ قُلْ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٦٠٣).

كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ [الإسراء: ٤٩-٥٠].

ولما كان المشركون مكذبين لليوم الآخر واستبعدوا البعث، أجابهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَوْ كُنْتُمْ مِنْ نَوْعِ الْحِجَارَةِ أَوْ نَوْعِ الْحَدِيدِ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَادِرٌ عَلَىٰ بَعْثِكُمْ وَعَلَىٰ إِحْيَائِكُمْ^(١).

وقد ضرب القرآن الكريم لهم مثلاً فيما هم يعرفونه ويألفونه، وهو دليل واضح على إمكانية البعث؛ وهو إحياء الأرض بعد موتها بإنزال المطر، حيث تتشقق الأرض وتخرج نباتها بإذن ربها قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَدَىٰ أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

فهذه القضايا الأربع:

* قضية التوحيد.

* قضية الرسالة.

* قضية القرآن أنه كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

* قضية البعث.

وهذه القضايا هي محور النقاش بين النبي ﷺ وبين قومه.

﴿ثانياً: منهج السلف وطريقتهم في تدوين العقيدة السلفية:

من الكتب المهمة في تقرير أصول مذهب أهل السنة والجماعة رسالة «العقيدة الواسطية»، وقد امتحن شيخ الإسلام من الأشاعرة وغيرهم بسبب كتابته للعقيدة الواسطية، فزعم المخالفون أن هذه العقيدة من إنشاء ابن تيمية واختراعه وأنها عقيدة تيمية وليست عقيدة السلف، فناظرهم شيخ الإسلام،

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/٥٨).

وأمهلهم ثلاث سنين على أن يأتوا بما يخالفها من علماء القرون الثلاثة فعجزوا؛ لذا أحببت أن أبين نشأة تدوين العقيدة السلفية، ومناهج العلماء وطرقهم في تدوين تلك العقيدة المباركة، والمصادر التي استقى منها شيخ الإسلام عقيدة السلف الصالح، حتى نعرف الظروف والأحوال التي لأجلها كَتَبَ شيخ الإسلام هذه العقيدة المباركة ألا وهي «العقيدة الواسطية».



فأقول - وبالله التوفيق - :

أ - المراد بالسلف ولزوم مذهبهم:

السلف: هم الصحابة والتابعون ومن بعدهم من أهل القرون الثلاثة المفضلة الذين اتبعوا طريقهم كالأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة الدين والهدى. وكان السلف على عقيدة واحدة، ولم يكن بينهم نزاع في مسائل أصول الدين، بل هم متفقون في منهج التلقي، والإيمان بكل ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة من مسائل العقيدة.

ولا يكون الاعتقاد صحيحاً إلا إذا كان موافقاً للكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، ويدل على ذلك أمور منها:

أولاً: أن الله تعالى شهد لهم برضوانه هم ومن اتبعهم، فقال سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤَدَّبُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مِنْ ذَلِكَ وَلَهُ يَرْجِعُونَ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ثانياً: أن الله تعالى تَوَعَّد بالعذاب من اتبع غير طريق السلف الصالحين، فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

ثالثاً: أن النبي ﷺ أمر بالأخذ بسنة أصحابه فقال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»^(١).



(١) حديث صحيح وسيأتي تخريجه.

ب - نشأة تدوين العقيدة السلفية:

نشأ علم تدوين العقيدة مصاحباً لتدوين علم السنة والحديث، ثم بعد ذلك أفردت كتب العقيدة المسندة في موضوع معين من مسائل الاعتقاد مثل خلق أفعال العباد للبخاري، والرؤية والنزول كلاهما للدارقطني، والتوحيد لابن خزيمة، ودلائل النبوة للفريايبي، والأسماء الصفات للبيهقي وغيرها، فقد كان أئمة السنة يُصمّنون كتبهم أبواباً في العقيدة، وسأمثل على أن نشأة تدوين العقيدة كان مصحوباً لتدوين علم السنة والحديث بمثاليين، وهما صحيحا البخاري ومسلم:

أولاً: كتاب (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) المعروف بصحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، وهو أصح كتاب بعد كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (١) استوعب ثمانية أبواب في العقيدة (٢) وهي الكتب التالية:

أولاً: (كتاب الإيمان) وقد رد على المرجئة والخوارج، ومن المعلوم أن طريقة الإمام البخاري أنه يُيوّب باباً، ويُدّلّل من كتاب الله، ثم يُسندُ إلى النبي ﷺ بالأحاديث التي سمعها من مشايخه.

ثانياً: (كتاب التوحيد).

ثالثاً: (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة)، وهذا ردُّ على المبتدعة وعلى من أعمل القياسَ ورَدَّ نصوصَ الكتاب والسنة.

رابعاً: (كتاب أخبار الآحاد)، هذا رد على أهل الكلام الذين زعموا أنهم لا

(١) قال صديق حسن خان -رحمه الله تعالى-: (السلف والخلف جميعاً قد أطبقوا على أن أصح الكتب

بعد كتاب الله تعالى صحيح البخاري ثم صحيح مسلم) الحِطَّة في ذكر الصَّحاح الستة ص ٢٢٥.

(٢) ويضاف إليها: كتاب القدر؛ فإن مسائل القدر حصل فيها النزاع بين أهل السنة ومخالفهم.

يأخذون بالخبر الواحد الصحيح المروي عن النبي ﷺ لزعمهم أنه مخالف للعقل، أو مخالف للأقيسة العقلية التي اخترعوها.

خامساً: (كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم).

سادساً: (كتاب أصحاب النبي ﷺ)، وهذا ردُّ على من يقدح في أصحاب النبي ﷺ ويسبهم ويؤذيهم وهم الرافضة.

سابعاً: (كتاب الوحي) وهو رد على منكري النبوة.

ثامناً: (كتاب بدء الخلق) وهو ردُّ على الزنادقة والملحدين.

ويلاحظ أن البخاري رَحِمَهُ اللهُ استفتح صحيحه بالعقيدة وهو: «بدء الوحي» واختتمه بالعقيدة وهو: «التوحيد».

ثانياً: كتاب: (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ) المعروف بصحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري والذي أجمعت الأمة على أنه أصح كتاب بعد كتاب البخاري، ومن الكتب في العقيدة في صحيح مسلم ما يلي:

منها: (كتاب الإيمان) وهو في الرد على المرجئة والخوارج، وكذلك تضمن كتاب الإيمان كتباً أخرى في العقيدة، مثل: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، وكتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

ومنها: (كتاب القدر) وهو في الرد على القدرية والجبرية.

ومنها: كتاب فضائل الصحابة^(١).

وكذلك الأئمة المحدثون كأبي داود والترمذي وابن ماجه:

(١) ومنها: كتاب الإمارة، وفيه رد على الخوارج.

ففي (سنن أبي داود) ضَمَّنَ الإمامُ أبو داود في كتابه السنن بابًا في الرد على الجهمية. والترمذيُّ في (سننه) خَصَّصَ عدةَ كتبٍ في العقيدة والدفاع عنها وهي: أولاً: أبواب القدر للرد على القدرية والجبرية.

ثانياً: أبواب الإيمان للرد على المرجئة والوعيدية.

ثالثاً: أبواب المناقب، وذكر جملة من مناقب وفضائل الصحابة رضي الله عنهم ويتضمن الرد على الرافضة والخوارج.

وابنُ ماجه في (سننه) تناول الردَّ على الجهمية.

ج: مراحل تدوين العقيدة:

يمكن تقسيم مراحل تدوين العقيدة إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: تدوين العقيدة في كتب السنة، وقد مضى التمثيل عليها، وتتميز هذه المرحلة بأنها من باب عَرَضِ العقيدة.

المرحلة الثانية: إفراد كتب العقيدة في كتاب مستقل، ويُطلقون عليها كتب السنة، وَيَعْنُونَ بالسنة: العقيدة؛ لأن السنة بمعنى طريقة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدين أو طريقته في الاعتقاد.

ومن الأمثلة على ذلك (أصول السنة) لأحمد بن حنبل، و(أصول السنة) للحميدي، و(السنة) لعبد الله بن أحمد بن حنبل، و(السنة) لابن أبي عاصم، و(السنة) للمروزي، و(صريح السنة) للطبري و(السنة) للأثرم، و(السنة) للخلال، و(شرح مذاهب أهل السنة) لابن شاهين.

المرحلة الثالثة: تأليف الكتب في الرد على أهل الكلام^(١).

(١) أهل الكلام: طائفة نسبوا إلى علم يسمى: (علم الكلام) ويقصد به: إثبات العقائد الدينية بالأدلة

وعلم الكلام هو علمٌ مخترعٌ محدثٌ مبنيٌّ على الجدل والأقيسة العقلية، وأصله مأخوذٌ من الفلسفة، سواء كانت الفلسفة اليونانية، أو الفلسفة الهندية، أو غير ذلك من الفلسفات من الأمم السابقة.

وقد نشأ علم الكلام في زمن المأمون؛ يقول السفاريني:

(وكان سبب انتشار البدع وظهورها، وزيادتها ونشورها، المأمون بن هارون الرشيد، واسمه عبد الله، وكنيته أبو العباس، سابع خلفاء بني العباس... كان رافضيا معتزليا قدريا، فهو خبيث الاعتقاد، كبير الفساد والعناد...)

قال العلماء: إن المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى - أظنه صاحب جزيرة قبرس^(١) - طلب منه خزانة كتب اليونان، وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يظهر عليه أحد، فجمع الملك خواصه من ذوي الرأي واستشارهم في ذلك، فكلهم أشاروا بعدم تجهيزها إليه إلا مطران واحد، فإنه قال: جَهِّزْهَا إِلَيْهِمْ، فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها، وأوقعت بين علمائها.

قال الصلاح الصفدي^(٢): حدثني من أثق به أن شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه^(٣) - كان يقول^(٤): ما أظن أن الله يغفل عن المأمون، ولا بُدَّ أن

العقلية، وقد ظهرت في القرن الثاني الهجري تقريبًا، حيث تُرجمت كتب الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية، ومن الفرق التي يُطلق عليها أهل الكلام: المعتزلة والأشاعرة.

انظر: المواقف للإيجي (ص: ٧)، مقدمة كتاب أحاديث في ذم الكلام وأهله لأبي الفضل المقرئ (ص: ٥٥).

(١) مضبوطة بالسين-قُبْرُس-، وهي جزيرة في بحر الروم. انظر: معجم البلدان (٤/ ٣٠٥)، واشتهرت في هذا العصر باسم: (قُبْرص).

(٢) ذكره الصفدي في كتابه الغيث المسجم في شرح لامية العجم (١/ ٤٦).

(٣) وهذه الجملة من باب الدعاء، وربما زاد بعضهم: روح الله روحه في الجنة.

(٤) وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ عَنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ الَّتِي قَالَهَا شَيْخُ الْإِسْلَام، وَهِيَ مِنَ التَّأَلِّي؟

يقابله على ما اعتمده مع هذه الأمة من إدخال هذه العلوم الفلسفية بين أهلها^(١). وكان الذين يترجمون الكتب فيهم من اليهود والنصارى، وانكَبَّ المعتزلة وغيرهم من أصحاب الشبهات على تلك الكتب.

وكان موقف السلف موقفاً حاسماً؛ فحذَّروا من الاشتغال بعلم الكلام وحرَّموه ونهَّوا عن تعليمه أو القراءة فيه، وألفوا الكتب في بيان ذمَّ الكلام، ومن الأمثلة على ذلك كتاب (ذم الكلام وأهله) لأبي إسماعيل الهروي، وكذلك السُّلمي له جزء في ذمَّ علم الكلام^(٢)، وقد استفاضت أقوال الأئمة في النهي عن علم الكلام^(٣).

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: (ليست من التَّألي؛ لأنه ما جزم، ولا يخفى ما أدخل المأمون على الأمة. ونقل هذه المقالة عن الشيخ السفاريني في شرحه، ولا أذكر أنها مرَّت عليَّ في كتب الشيخ) انظر: الكنز الثمين في سؤالات ابن سنيد لابن عثيمين (ص: ١٤، ١٣).

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (ص: ٩، ٨).

(٢) وقد انتخبها أبو الفضل المقرئ وهو مطبوع باسم: أحاديث في ذم الكلام وأهله.

(٣) قال شيخ الإسلام -متحدثاً عن علم الكلام والمتكلمين-: (تجدهم أعظم الناس شكا واضطراباً وأضعف الناس علماً ويقيناً وهذا أمر يجدونه في أنفسهم ويشهده الناس منهم وشواهد ذلك أعظم من أن تذكر هنا... قال أبو حامد الغزالي «أكثر الناس شكا عند الموت أهل الكلام». وهذا أبو عبد الله الرازي من أعظم الناس في هذا الباب - باب الحيرة والشك والاضطراب - لكن هو مسرف في هذا الباب؛ بحيث له مهمة في التشكيك دون التحقيق بخلاف غيره؛ فإنه يحقق شيئاً ويثبت على نوع من الحق لكن بعض الناس قد ثبت على باطل محض بل لا بد فيه من نوع من الحق. وكان من فضلاء المتأخرين وأبرعهم في الفلسفة والكلام: ابن واصل الحموي كان يقول: «أستلقي على قفاي وأضع الملحفة على نصف وجهي ثم أذكر المقالات وحجج هؤلاء وهؤلاء واعتراض هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر ولم يترجع عندي شيء» ولهذا أنشد الخطابي:

حجج تهافت كالزجاج نخالها حقاً وكلُّ كاسر مكسور

فإذا كانت هذه حال حججهم فأى لغو باطل وحشو يكون أعظم من هذا؟) مجموع الفتاوى (٤/ ٢).

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: (حكى^(١) في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، وينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام)^(٢).

وقال أبو يوسف - صاحب أبي حنيفة -: (العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم)^(٣)، وقال أيضًا: (من طلب العلم بالكلام تزندق)^(٤).
ومن أمثلة الكتب في هذه المرحلة^(٥):

كتاب (الرد على الجهمية والزنادقة) للإمام أحمد، ويُقصدُ بالجهمية: المعتزلة، وقد اشتهر عند السلف أن كلَّ مُعْطَلٍّ لأسماء الله وصفاته فهو جهمي كائنًا من كان^(٦).

(١) هكذا في المطبوع. والمتداول في المصادر الأخرى: (حكمي).

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤٦٢).

(٣) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٢٤).

(٤) المصدر السابق (ص: ٢٤).

(٥) يعني المرحلة الثالثة وهي: تأليف الكتب في الرد على أهل الكلام.

(٦) قال شيخ الإسلام - وهو يذكر درجات التجهم -: (وأمَّا الدرجة الثالثة فهم الصفاتية المبتنون المخالفون للجهمية، لكن فيهم نوع من التجهم، كالذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة، لكن يردون طائفة من أسمائه وصفاته الخبرية، أو غير الخبرية، ويتأولونها كما تأول الأولون صفاته كلها، ومن هؤلاء مَنْ يُقر بصفاته الخبرية الواردة في القرآن دون الحديث، كما عليه كثير من أهل الكلام والفقه وطائفة من أهل الحديث، ومنهم من يقر بالصفات الواردة في الأخبار -أيضًا- في الجملة، لكن مع نفي لبعض ما ثبت بالنصوص وبالمعقول، وذلك كأبي محمد بن كُلاب ومن اتبعه، وفي هذا القسم يدخل أبو الحسن الأشعري وطوائف من أهل الفقه والكلام والحديث والتصوف، وهؤلاء إلى أهل السنة المحضة أقرب منهم إلى الجهمية والرافضة والخوارج والقدرية، لكن انتسب إليهم طائفة هم إلى الجهمية أقرب منهم إلى أهل السنة المحضة، فإن هؤلاء ينازعون المعتزلة نزاعًا عظيمًا فيما يثبتونه من الصفات وأعظم من

وكذلك (الرد على الجهمية)، و(الرد على بشر المريسي العنيد)^(١) كلاهما للدارمي^(٢)،

و(خلق أفعال العباد) للبخاري.

و(الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية) لابن قتيبة.

و(الحيدة)^(٣) لعبد العزيز الكناني، و(الرد على الجهمية) لمحمد بن أسلم الطوسي^(٤).

د - طرق أهل العلم في تدوين العقيدة:

للعلماء طرائق متعددة في تدوين العقيدة؛ وبالاستقراء والتتبع لطرائق أهل العلم في تصنيف العقيدة يمكن تقسيمها إلى ما يلي:

أولاً الطريقة الأولى: سرد العقائد السلفية سرداً؛ ويكون فيها تحديد معالم العقيدة وبيان أفرادها دون تعرض للأدلة من الكتاب والسنة.

منازعتهم سائر أهل الإثبات فيما ينفون.
وأما «المتأخرون» فإنهم والوا المعتزلة وقاربوهم أكثر، وقدّمواهم على أهل السنة والإثبات، وخالفوا أوليهم، ومنهم من يتقارب نفيه وإثباته، وأكثر الناس يقولون: إن هؤلاء يتناقضون فيما يجمعونه من النفي والإثبات).
التسعينية (١/ ٢٧١، ٢٧٠).

- (١) مطبوع باسم: نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد.
- (٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ -عن هذين الكتابين-: (وكتاباه من أجل الكتب المصنفة في السنة وأنفعها، وينبغي لكل طالب سنة مراده الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابيه).
- وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ يوصي بهذين الكتابين أشد الوصية ويعظمهما جدّاً، وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٢٣١).
- (٣) واسم الكتاب: الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن.
- (٤) ونقل الذهبي عن بعضهم أنه قال: (نظر أحمد -يعني: ابن حنبل- في كتاب «الرد على الجهمية» لابن أسلم، فتعجب منه) سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٩٧).

ومن الأمثلة على ذلك: متن (العقيدة الطحاوية) للطحاوي الحنفي؛ فإنه عبّر بكلام مجمل في الاعتقاد.

والغرض من هذا النوع من التأليف: هو وضع الضابط العام الذي يميز أهل السنة والجماعة عن غيرهم من المتكلمين، بحيث تكون هذه العقيدة - التي هي أصلها مستنبط من الكتاب والسنة - هي عقيدة أهل السنة والجماعة؛ وبالتالي من خالفها فهو مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة.

الطريقة الثانية: تقسيم الكتاب إلى أبواب، وكل باب يمثل جزئية من الجزئيات العقدية، ويُذكر تحته مجموعة من الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ثم تُذكر أقوال السلف الدالة على ثبوت هذه المسائل العقدية.

ومن الأمثلة على ذلك: (كتاب التوحيد) لابن خزيمة، فإنه بوّب للمسائل أبواباً ثم ذكر النصوص الدالة عليها.

ومن الأمثلة أيضاً: (كتاب السنة) لابن أبي عاصم، و(الإيمان) لابن منده، و(كتاب السنة) لعبد الله بن الإمام أحمد.

والغرض من هذا النوع من التأليف: هو إثبات الحق بالدليل الشرعي، وتحقيق مذهب السلف بنقل أقوالهم وإجماعاتهم في المسائل العقدية.

الطريقة الثالثة: كتب الرد على الطوائف المنحرفة وبيان فساد معتقداتهم، وهو على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الرد على فرقة معينة من أهل البدع فيما اعتقدوه وخالفوا فيه القرآن والسنة ومذهب السلف الصالح، مثل كتاب (الرد على الجهمية) للإمام أحمد، وكتاب (الرد على الجهمية) للإمام الدارمي وغير ذلك من كتب الردود.

النوع الثاني: الرد على رأس من رؤوس أهل البدع، وداعية للبدعة ويحارب

السنة وأهلها، ويرد نصوص الكتاب والسنة، مثل كتاب (رد الدارمي على بشر المريسي)، وكتاب (الحيدة) للكناني في الرد على بشر المريسي أيضًا.
النوع الثالث: الرد على عقائد أهل البدع؛ بغض النظر عن مسمياتهم، مثل: كتاب (خلق أفعال العباد) للبخاري.

والغرض من هذا النوع من التأليف: ردُّ الباطل سواء كان فرقة أو مَقالة.
الطريقة الرابعة: ذكر العقائد السلفية مقرونة بأدلتها المبنية من الكتاب والسنة وذلك بسردها مقرونة بأدلتها، ومن أمثلة هذا النوع من التأليف كتاب (الواسطية) - الذي بين أيدينا -؛ وكذلك كتاب (لُمة الاعتقاد) لابن قدامة المقدسي، و(عقيدة السلف أصحاب الحديث) للصابوني الشافعي.
والغرض من هذا النوع من التأليف: هو إثبات العقيدة الصحيحة بالدليل من الكتاب والسنة، ودلالة المعقول المؤيدة للمنقول.
ومن المعلوم أن مصادر العقيدة في الكتاب والسنة هي مصادر أساسية، وهناك مصادر مساندة للوحين وهي:

أولاً: العقل المؤيد للنقل.

ثانياً: إجماع الصَّحابة والسلف الصالح.

ثالثاً: الفطرة السليمة الخالية من تأثير البيئة والمجتمع.

الطريقة الخامسة: تحقيق النقل عن السلف في مسألة من المسائل، ومن الأمثلة على ذلك كتاب: (الفتوى الحموية) لشيخ الإسلام ابن تيمية، وموضوع الكتاب هو: الأسماء والصفات.

وقد زعم المتكلمون أن عقيدة السلف هي عقيدة التفويض وأن عقيدتهم - أي: المتكلمين - هي عقيدة التأويل، وزعموا أن طريقة السلف أسلم وطريقة

الخلف أعلم وأحكم، وهذه العبارة متناقضة لأمر:

أولاً: قولهم: إن طريقة الخلف أعلم وأحكم يناقض قولهم: إن طريقة السلف أسلم؛ فإن كون طريقة السلف أسلم من لوازمها كونها أعلم وأحكم؛ إذ لا سلامة إلا بالعلم والحكمة.

ثانياً: إن اعتقادهم - أن طريقة السلف مجرد الإيمان بألفاظ النصوص من غير إثبات معانيها - اعتقاد باطل وهو كذب على السلف.

ثالثاً: إن السلف الصالح ورثوا علومهم من ينبوع الرسالة، وأما الخلف فقد تلقوا عقائدهم الباطلة من المجوس وضلال اليهود واليونان، فكيف يكون ورثة المجوس واليهود أحكم وأعلم في أسماء الله وصفاته من ورثة الأنبياء والمرسلين؟!.

رابعاً: إن من لوازم هذه العبارة أن المتأخرين أعلم من الصحابة وأعلم من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي؟! سبحانه هذا بهتان عظيم.

ومن المعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم شاهدوا التنزيل، وما من آية إلا وعرفوا متى نزلت وفيمن نزلت وفهموا تأويلها^(١)، وإذا أشكل عليهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن تأويلها.

وشيوخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ألف هذه الرسالة الحموية في الرد على هؤلاء الذين زعموا أن طريقة السلف هي التفويض.

وما المراد بالتفويض؟

(١) قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله، تبلغه الإبل لركبت إليه» أخرجه البخاري (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٣)، وانظر: إعلام الموقعين (٦/ ٣٠) وما بعدها ففيه مسائل مهمة.

التفويض: هو تفويض معاني نصوص الصفات؛ أي: أن نصوص الصفات غير معلومة المعنى؛ بل مجهولة وهي بمنزلة الألغاز والأحاجي، وبعضهم قال: أنها مثل الحروف المقطعة^(١).

ولا شك أن هذا القول باطل وهو خلاف الواقع، فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعرفون معاني النصوص ويفهمونها، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء عن أبي رزين، قال: قال رسول الله ﷺ: «ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره». قال: قلت: يا رسول الله، أو يضحك الرب؟ قال: «نعم». قلت: لن نعبد من رب يضحك خيراً^(٢).

فكان الصحابة رضي الله عنهم يعرفون معاني النصوص، وقد ردَّ شيخ الإسلام في (الحموية) على هؤلاء المتكلمين الطاعنين في مذهب السلف، وبين رحمه الله أن طريقة السلف هي الأسلم والأعلم والأحكم، وأكثر رَحْمَةً اللَّهِ من النقل في إثبات أن عقيدة السلف هي عقيدة السلامة، وأنها عقيدة الإثبات مع التنزيه، لا عقيدة التفويض.

والمثال الثاني لهذه الطريقة^(٣): كتاب (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية)، للإمام ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ وَقَدْ أَلْفَهُ فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ عُلُوَّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَوَّلَ الْعُلُوِّ بِأَنَّهُ عُلُوُّ الْمَكَانَةِ وَالْمَنْزَلَةِ، فَرَدَّ عَلَيْهِمُ الْإِمَامُ ابْنَ

(١) قال شيخ الإسلام: (قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد) درء تعارض العقل والنقل (١/٢٠٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه، باب فيما أنكرت الجهمية (ص: ٤٨) برقم (١٨١)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٤١٧/٢) برقم (١١٨٨)، وأحمد في مسنده (١١٨/٢٦) برقم (١٦٢٠١) وابن أبي عاصم في السنة (٢٤٤/١) برقم (٥٥٤)، والآجري في الشريعة (١٠٥٦/٢) برقم (٦٣٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٠٧/١٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤١١/٢) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٣٩/٦).

(٣) يعني: الطريقة الخامسة - من طرائق التصنيف - وهي تحقيق النقل عن السلف في مسألة من المسائل.

القيم بالكتاب والسنة وبأقوال السلف ونقل عن جملة من علماء السلف - أكثر من مائة عالم - كلهم يثبتون علو الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى على خلقه، بل قد نص الإمام ابن القيم على أن أدلة علو الله على خلقه أكثر من ألف دليل.

والغرض من هذا النوع من التأليف أحد أمرين:

الأمر الأول: تحقيق مذهب السلف عن طريق النقل عنهم كما هو الحال في كتاب (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية).

الأمر الثاني: بيان أن للسلف منهجاً نهجوه وسلكوه وهم على الطريق المستقيم في ذلك الباب من أبواب الاعتقاد، وهم على علم وبصيرة وليسوا على الجهالة، كما بين ذلك شيخ الإسلام في كتاب (الحموية).

الطريقة السادسة: التأليف في بعض المسائل المهمة في باب العقيدة مما عظم الخلاف فيه بين السلف وغيرهم من المتكلمين وأهل البدع، ومن الأمثلة على ذلك: كتاب (التوحيد) لابن منده، و(شرح حديث النزول) لشيخ الإسلام ابن تيمية، و(العلو) للذهبي.

والغرض من هذا النوع من التأليف: هو بيان مذهب السلف فيما اعتقدوه في هذه المسألة، وأنه الحق الذي دلت عليه الأدلة الصحيحة، وأن العقل الصريح يوافق النقل الصحيح^(١).

الطريقة السابعة: نقض بعض كتب أهل البدع وبيان ما فيها من مخالفة الحق، ومن الأمثلة على ذلك كتاب (منهاج السنة النبوية) لشيخ الإسلام ابن تيمية وهو في الرد على الرافضة والقدرية، و(بيان تلبيس الجهمية) لابن تيمية

(١) قال شيخ الإسلام: (فلا يجوز أن يتعارض العقل الصريح والسمع الصحيح، وإنما يظن تعارضهما من غلط مدلولهما أو مدلول أحدهما) درء التعارض (٣٩/٧).

أيضًا، و(الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح) له أيضًا، و(هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى) للإمام ابن القيم.

والغرض من هذا النوع من التأليف: نصرة الحق وكشف الشبهات حوله، ورد الباطل؛ سواء كان الباطل من الفرق الإسلامية أو الديانات الأخرى.

الطريقة الثامنة: نظم العقائد السلفية شعرًا، ومن الأمثلة في ذلك: (نظم ابن أبي داود)^(١)، (ونظم أبي الخطاب)^(٢)، (ونظم ابن أبي زيد القيرواني)^(٣)، (ونظم السفاريني)^(٤)، وغير ذلك من النظم في العقائد^(٥).

والغرض من هذا النوع من التأليف: هو تسهيل العقائد واختصارها؛ بحيث يسهل حفظها وتذكرها عند الاستحضار.

الطريقة التاسعة: شرح بعض الكتب السلفية، ومن الأمثلة على هذا النوع: (لوامع الأنوار البهية)، وشرح ابن أبي العز علي (العقيدة الطحاوية).

ويدخل في هذا النوع أيضًا: شروح (الواسطية) وشروح (التدمرية) وشروح (كتاب التوحيد) وأمثالها.

والغرض من هذا النوع من التأليف: هو الكشف عن معاني هذه المتون، وإظهار ما خفي من معانيها، والاستدلال لها بما يدل على صحتها من الأدلة الشرعية ومن

(١) وهي حائية مشهورة بين طلاب العلم.

(٢) وهي دالية عذبة الألفاظ وقد طبعت بشرح الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك.

(٣) وقد نظمها: أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الأحسائي المالكي، وهي مطبوعة عدة طبعات.

(٤) طبع باسم: الدرّة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية.

(٥) للشيخ حافظ حكيم رَحِمَهُ اللهُ جملة من المنظومات العقدية منها: سلم الوصول إلى علم الأصول، والجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة.

أقوال سلف الأمة.

الطريقة العاشرة: الجواب عن مسألة فيها تشابه أوردتها أهل البدع؛ مثل كتاب (الرد على الجهمية والزنادقة) للإمام أحمد، وكتاب (شرح مشكل الآثار) للطحاوي، وكتاب (تأويل مختلف الحديث) لابن قتيبة.

والغرض من هذا النوع من التأليف: هو بيان سلامة النصوص من الدلالة على الباطل، وبيان اليقين في دلالتها على الحق لفظاً ومعنىً.

الطريقة الحادية عشرة: وضع القواعد العامة والأصول الكلية للعقيدة السلفية حتى تعصم الذهن من الوقوع في الخطأ.

ومن الأمثلة على ذلك كتاب (التدمرية) لابن تيمية، وهو عبارة عن سبع قواعد في باب الأسماء والصفات، و(القاعدة المراكشية) له أيضاً وهي في الصفات.

ومن الأمثلة أيضاً: كتاب (بدائع الفوائد) لابن القيم، فقد ذكر ضوابط في باب الأسماء والصفات.

والغرض من هذا النوع من التأليف: هو تحصين الذهن من الغلط والخطأ في باب الاعتقاد.

الطريقة الثانية عشرة: ذكر الفرق الضالة وتتبع تاريخها، وذكر جملة من عقائد أصحابها الدالة على مخالفتهم للسنة.

ومن الأمثلة على ذلك: كتاب (التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع) للملطي الشافعي، ويعتبر من أحسن وأقدم الكتب في بيان تاريخ الفرق وضلالها؛ بالإضافة إلى أن المؤلف عالم من علماء السلف، وكتاب (الاعتصام) للشاطبي.

والغرض من هذا النوع من التأليف: هو التحذير من البدع والمبتدعة وبيان ما عندهم من انحراف وخطأ وزلل.

الطريقة الثالث عشرة: اختصار بعض كتب العقيدة المهمة؛ رجاء تقريبها وتوضيحها.

ومن الأمثلة على ذلك: كتاب (المنتقى من منهاج الاعتدال) للذهبي اختصر فيه (منهاج السنة) لشيخ الإسلام.

وكتاب (مسألة الإيمان وما يتعلق بها) للذهبي أيضًا اختصر فيه (الإيمان) لابن تيمية.

وكتاب (مختصر الصواعق المرسلّة) للموصلي، اختصر كتاب (الصواعق المرسلّة) لابن القيم.

والغرض من هذا النوع من التأليف: هو حفظ تلك الكتب، وتقريبها للناشئة وطلاب العلم.

ومما يجدر التنبيه عليه: أن العلماء الذين كانوا على عقيدة السلف كانوا محاربين من أهل الكلام والبدع، ومن أولئك ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى، وربما اضطهد أهل البدع من وجدوا عنده كتبًا لهذين العالمين، حتى لجأ بعض المصنفين من أهل السنة إلى وسائل متعددة لحفظ كتب هذين الإمامين، ومن جملة تلك الوسائل:

أولاً: اختصار تلك الكتب^(١).

ثانيًا: أن يضمونها كتبهم.

ومن الأمثلة على ذلك: كتاب (الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري)، لابن عروة الحنبلي^(٢)، وكان إذا أراد أن يشرح

(١) وقد سبق ضرب الأمثلة على هذا النوع.

(٢) ويُعرف بابن زكنون.

- مثلاً - حديث النزول أورد كتاب شيخ الإسلام في شرح حديث النزول، وجعله هو الشرح؛ وبالتالي فأهل البدع يعرفون أن الكتاب لابن عروة وليس لابن تيمية^(١)، وبهذه الطريقة حُفظت كثير من كتب ابن تيمية من الضياع. وكذلك (الصواعق المرسلّة) لابن القيم وكان قد فُقد بعضه، فجاء الموصلي فاختره، وبالتالي وقفنا على الكتاب؛ لأنّ كتاب الصواعق المرسلّة ما وُجد إلا بعضه.

ومن فوائد هذه الطريقة أنها تحفظ الكتب من الضياع والاندثار. وكان بعض أهل البدع يحرقون كتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، ومن المتأخرين رجل اسمه عبد القادر الجزائري^(٢) كان من الأثرياء وكان من أصحاب التصوف الغلاة، وكان يشتري كتب شيخ الإسلام بأنفس الأثمان ثم يحرقها^(٣).

(١) وكتاب «الكواكب الدراري» ضمّنه ابن عروة كثيراً من كتب شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ مثل: «اقتضاء الصراط المستقيم»، و«التوسل والوسيلة»، و«السياسة الشرعية»، و«نقض التأسيس»، و«شرح حديث النزول»، و«النبوات». انظر: مقدمة المحقق لكتاب النبوات. ط: أضواء السلف (١/ ١١٣، ١١٢).

(٢) كان صوفياً، وصنف في التصوف. مات سنة (١٣٠٠ هـ) انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٤٦، ٤٥). وقال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ: (تصدى لكتبه [يعني: ابن القيم] وكتب شيخه ابن تيمية أعداء هذه الدعوة السلفية بالجمع والتحريق لها. وكان من أعظم من تولّى كبر ذلك: الأمير المجاهد عبد القادر الجزائري، إبان إقامته في دمشق) انظر: ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارد له بكر أبو زيد (ص: ٣١٠).

وقال صاحب مقدمة الكلم الطيب لابن تيمية: (أن أحد الأمراء الذين استوطنوا دمشق في القرن الماضي وكان ذا سلطان ومال يجمع مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ويحرقها، فإذا لم يتمكن من إقناع مالك الكتب بحرقه اشتراه منه أو استوهبه، وربما التمس وسائل أخرى لإتلافه) انظر: مقدمة الكلم الطيب (ص: ٤).

(٣) قال المقرئ -عن ابن تيمية-: (وأكثر مصنفاته مسودات لم تُبَيِّضْ، وأكثر ما يوجد منها الآن بأيدي الناس قليل من كثير. فإنّه أحرق منها شيء كثير، ولا قوّة إلّا بالله) الجامع لسيرة شيخ الإسلام خلال سبعة قرون (ص: ٥١٣).

ولكن يابى الله إلا أن يتم نوره.

ثالثاً: منهج شيخ الإسلام وطريقته في تدوين العقيدة الواسطية:

وهو يشمل ثلاث مباحث:

المبحث الأول: التعريف بكتاب الواسطية من حيث اسمه وموضوعه وتاريخ

تأليفه وأهميته.

المبحث الثاني: منهج شيخ الإسلام وطريقته في الواسطية ومصادره ومقارنة

الواسطية بالحموية والتدمرية.

المبحث الثالث: امتحان شيخ الإسلام بسبب هذه العقيدة المباركة.



المبحث الأول

التعريف بكتاب الواسطية من حيث اسمه وموضوعه وتاريخ تأليفه وأهميته

أ - اسم الكتاب:

سُمِّي هذا الكتاب باسمين:

الاسم الأول: (العقيدة الواسطية)، والعقيدة الواسطية: نسبة إلى بلد السائل المستفتي، وشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ قَدْ لَا يُصَنَّفُ ابتداءً، وإنما يُسأل عن مسألة فيجيب عنها^(١)؛ فيكتب تلاميذه ما أملاه عليهم، أو يكتب السائل ما أملاه عليه فيُنسب إلى السائل.

وهذا في كثير من كتبه مثل (التدمرية) نسبة إلى بلد السائل وهو من تدمر في بلاد الشام، أو (الحموية) نسبة إلى بلد السائل وهو من حماة وهي في بلاد الشام، أو (المراكشية)^(٢) نسبة إلى بلد السائل مَرَّاكُش وغير ذلك.

وواسط: هي بلدة في العراق أنشأها الحجاج بن يوسف الثقفي، وهي الآن لا توجد وقد اندثرت، بل هي خراب لا وجود لها كما يذكر بعض المؤرخين ومن له عناية بعلم التاريخ والجغرافيا، وسميت المدينة (واسط) لأنها متوسطة

(١) كما قال رحمه الله في مناظرة الواسطية: (ما كتبت إلى أحد كتابًا ابتداءً أدعوه به إلى شيء من ذلك، ولكنني كتبت أجوبة أجبت بها من يسألني من أهل الديار المصرية وغيرهم) مجموع الفتاوى (٣/ ١٦١).

وانظر: العقود الدرية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لابن عبد الهادي (ص: ٢٦٣، ٢٦٢).

(٢) مَرَّاكُش: بالفتح ثم التشديد، وضم الكاف، أعظم مدينة بالمغرب وأجلّها. انظر: معجم البلدان

بين البصرة والكوفة^(١).

والسائل: هو أحد علماء الشافعية من بلد واسط، واسمه: رضي الدين الواسطي، من أصحاب الشافعي، يقول شيخ الإسلام: (كان سبب كتابتها أنه قدم عليّ من أرض واسط بعض قضاة نواحيها - شيخ يقال له «رضي الدين الواسطي» من أصحاب الشافعي - قدم علينا حاجاً وكان من أهل الخير والدين وشكا ما الناس فيه بتلك البلاد وفي دولة التتر من غلبة الجهل والظلم، ودروس الدين والعلم، وسألني أن أكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيته فاستعفيت من ذلك وقلت: قد كتب الناس عقائد متعددة؛ فخذ بعض عقائد أئمة السنة. فألح في السؤال^(٢) وقال: ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت، فكتبت له هذه العقيدة وأنا قاعد بعد العصر، وقد انتشرت بها نسخ كثيرة؛ في مصر؛ والعراق؛ وغيرهما^(٣). أي: استنسخها النساخ ونشروا تلك العقيدة في مصر والعراق وغيرهما.

وقد سماها شيخ الإسلام باسم: (العقيدة الواسطية) يقول رحمه الله: (أرسلت من أحضرها ومعها كرايس بخطي من المنزل فحضرت «العقيدة الواسطية»)^(٤). الاسم الثاني: (اعتقاد الفرقة الناجية)، وهذا مأخوذ من قول المؤلف رحمه الله: (قولي اعتقاد الفرقة الناجية هي الفرقة التي وصفها النبي بالنجاة)^(٥).

(١) انظر: البلدان لليعقوبي (١٥٨/١)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (١٩٩/٦)، معجم البلدان لياقوت الحموي (٣٤٧/٥).

(٢) إلحاح رضي الدين الواسطي في السؤال نتج عنه هذه العقيدة المباركة؛ التي نفع الله بها نفعاً عظيماً، ولا تزال هذه العقيدة منتشرة منذ قرون.

(٣) مجموع الفتاوى (١٦٤/٣)، وانظر: جامع المسائل لابن تيمية - المجموعة الثامنة (ص: ١٨٣).

(٤) مجموع الفتاوى (١٦٤/٣).

(٥) مجموع الفتاوى (١٧٩/٣) وقال هذا الكلام أثناء مناظرة الواسطية.

وهذان الاسمان هما اللاتقان بهذه الرسالة. والراجع في سبب تسميتها أنها نسبة إلى بلد السائل.

وأما ما ذكره بعض أهل العلم من أن تسمية الواسطية بذلك هو أن شيخ الإسلام ذكر وسطية أهل السنة والجماعة في مسائل الصفات والإيمان والأحكام والصحابة وغير ذلك؛ فإن هذا فيه نظر من جهة التعليل؛ وذلك لأن شيخ الإسلام رحمه الله لم يذكر وسطية أهل السنة والجماعة في هذه الرسالة فقط؛ وإنما ذكر وسطيّتهم في مصنفات أخرى كما في كتابه «الوصية الكبرى»^(١) و«منهاج السنة»^(٢) وغيرهما^(٣).

ب - موضوعه :

يتناول الكتاب الكلام على عقيدة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته وأفعاله، وفي مسائل الإيمان والأحكام والقدر والصحابة وآل البيت، ووسطية أهل السنة في ذلك، وما يتبع ذلك مما يكون في الآخرة من فتنة القبر والحساب والميزان والصراف والحوض ورؤية المؤمنين لربهم وغير ذلك من أمور الاعتقاد.

ج - تاريخ تأليف «العقيدة الواسطية» :

يظهر - والله أعلم - أن تاريخ تأليف «العقيدة الواسطية» هو سنة (٦٩٨هـ)، وذلك لأن المناظرة في «العقيدة الواسطية» وقعت في الثامن من رجب سنة (٧٠٥هـ) والمؤلف رحمه الله ألف الواسطية قبل هذا التاريخ بنحو سبع سنين كما بين ذلك^(٤).

(١) انظر: الوصية الكبرى (ص: ٤٧).

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية (١٧٢/٥).

(٣) كما في الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٢٦٧)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/ ٧١-٧٥).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣٦١-٣٦٣)، العقود الدرية (ص: ٢٥٨).

د - أهمية الكتاب:

من المعلوم أن شرف العلم بشرف المعلوم، ولما كان موضوع العقيدة الواسطية هو العلم بالله وبأسمائه وصفاته وما يتبع ذلك؛ كانت هذه العقيدة عظيمة وجليلة. وتتميز هذه العقيدة بأنها سهلة التناول، ميسورة الفهم، فلم يدخل فيها ألفاظ الفلاسفة والمتكلمين؛ وإنما احتوت على الألفاظ الشرعية، وبالتالي يفهمها الكبير والصغير والمتعلم وغير المتعلم.



المبحث الثاني

منهج شيخ الإسلام وطريقته في الواسطية ومصادره ومقارنة الواسطية بالحموية والتدمرية

أ- منهج المؤلف في الكتاب وطريقته :

أولاً: الاستدلال بالكتاب والسنة.

ثانياً: الدقة وتحري الألفاظ الشرعية الواردة في الكتاب والسنة، ولم يُضمّن كتابه مصطلحات علم الكلام أو علم الفلسفة أو علم الجدل^(١). وأضرب على ذلك بمثالين:

المثال الأول: أنه رحمه الله لما تكلم عن صفات الله تعالى قال: (الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل). فاختار لفظ التحريف، ولم يختر لفظ التأويل ثم علّل ذلك فقال:

(عَدَلْتُ عن لفظ التأويل إلى لفظ التحريف؛ لأن التحريف اسم جاء القرآن بدمّه وأنا تحريتُ في هذه العقيدة اتباعَ الكتاب والسنة، فنَقَيْتُ ما ذمه الله تعالى من التحريف، ولم أذكر فيها لفظ التأويل بنفي ولا إثبات؛ لأنه لفظ له عدّة معان؛ كما بيّنته في موضعه من القواعد^(٢)؛ فإن معنى لفظ «التأويل» في كتاب الله:

(١) الجدل عند المنطقيين: هو القياس المؤلّف من مقدّمات مشهورة أو مسلمّة.

انظر: التعريفات للجرجاني (ص: ٧٩)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (١/ ٥٥٣).

(٢) ذكر شيخ الإسلام رحمه الله: أن التأويل عند السلف له معنيان:

أحدهما: التأويل بمعنى التفسير.

غير معنى لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين^(١).

المثال الثاني:

أَن رَّحِمَهُ اللَّهُ لما تكلم عن صفات الله تعالى - أيضًا - اختار لفظ التمثيل ولم يختار لفظ التشبيه؛ وذلك لأنه لم يرد نفي التشبيه لا في الكتاب ولا في السنة، وإنما ورد نفي التمثيل^(٢) كما في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ يتقيد بالمصطلحات الشرعية.

الثاني: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام.

وأما التأويل الذي بمعنى: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، كتأويل الاستواء بالاستيلاء ونحو ذلك؛ فقال عنه ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (فهذا عند السلف والأئمة باطل لا حقيقة له، بل هو من باب تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٣٨٢). وانظر: التدمرية (ص: ٩١-٩٦)، الإكليل في المتشابه والتأويل (ص: ٢٨)، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٥/ ٤٥٢)، دقائق التفسير (١/ ٣٣٠، ٣٢٩)، مجموع الفتاوى (٣/ ٥٥-٥٧).

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٦٥؛ ١٦٦).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (ذكرت في النفي التمثيل ولم أذكر التشبيه؛ لأن التمثيل نفاه الله بنص كتابه حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ وكان أحب إليّ من لفظ ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله) مجموع الفتاوى (٣/ ١٦٦).

وأيضًا- مما يرجح نفي التمثيل على نفي التشبيه- أن لفظ «التشبيه»: فيه إجمال؛ فما من شئين إلا ويجتمعان في شيء، ويفترقان في شيء، فبينهما اشتباه من وجه وافتراق من وجه، ولكن ليس بينهما تماثل وتناذر، فنفي التشبيه قد يؤدي إلى التعطيل، قال شيخ الإسلام: (نفي التشبيه من كل وجه هو التعطيل والجمود لرَبِّ العالمين) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٤٨٤) وانظر: التدمرية (ص: ١٠٧)، منهاج السنة (٢/ ٥٢٦).

ثالثاً: أن شيخ الإسلام يُحذّر من الفرق المخالفة لمذهب السلف، فقد نصّ رَحْمَهُ اللهُ عَلَى الرافضة، والجبرية، والقدرية، وغُلاة القدر، والحرورية، والمعتزلة، والمرجئة، والجهمية.

رابعاً: الدقة في عرض مسائل الخلاف، فإنه لما ذكر خلافة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ذكر الكلام فيها، وأن عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مقدّم على علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالخلافة بإجماع الصحابة، ثم ذكر الخلاف في الأفضلية وأن جمهور السلف على أفضلية عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثم ذكر رَحْمَهُ اللهُ كلاماً متيناً فقال: (وإن كانت هذه المسألة - مسألة عثمان وعلي - ليست من الأصول التي يُضَلَّل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة. لكن المسألة التي يُضَلَّل المخالف فيها: مسألة الخلافة).

خامساً: أنه يُثني على مذهب أهل السُنَّة وَالْجَمَاعَةِ، ويبيّن وسطية مذهب أهل السُنَّة وَالْجَمَاعَةِ في مسائل الصفات والإيمان والصحابة والكرامة والولاية. فأهل السُنَّة وَالْجَمَاعَةِ متَّبِعُونَ للكتاب والسُنَّة وهم وَسَطٌ بين الغلاة والجفّة.

سادساً: أنه رَحْمَهُ اللهُ قد يحتج بالدليل العقلي؛ لا أَنَّهُ مصدر مستَقِلٌّ عن الكتاب والسنة؛ بل هو مصدرٌ معاضد ومؤيد للكتاب والسنة، فيقول: (وليس معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجهه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل «القمر» آية من آيات الله، من أصغر مخلوقاته، هو موضوع في السماء، وهو مع المسافر، وغير المسافر أينما كان).

سابعاً: احتج شيخ الإسلام رَحْمَهُ اللهُ بإجماع السلف فقال رَحْمَهُ اللهُ: (والإجماع: هو الأصل الثالث؛ الذي يعتمد عليه في العلم والدين)، وقد احتج بالإجماع عند

كلامه على مسألة من المسائل فقال: (وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة).
ثامناً: احتج شيخ الإسلام أيضاً باللغة العربية^(١)، كما قال في الرد على بعض
الشبهات: (فإن هذا لا توجهه اللغة).

ب - مصادر المؤلف في الكتاب:

مصادر شيخ الإسلام التي استقى منها مادة هذا الكتاب:

أ - القرآن الكريم، وقد أكثر شيخ الإسلام من ذكر الأدلة من كتاب الله تعالى؛ حتى بلغت أكثر من مائة دليل^(٢).

ب - الأحاديث النبوية، وكان رَحْمَةُ اللَّهِ يكثر من الاستشهاد بالأحاديث الصَّحِيحَة، فهذه الرسالة ليس فيها أحاديث ضعيفة جداً بل جميع ما فيها أحاديث صحيحة^(٣).

فهذان المصدران الأساسيان اللذان استقى منهما شيخ الإسلام هذه العقيدة المباركة، وقد سلك رَحْمَةُ اللَّهِ سبيل السلف الصالح فيها.

(١) ومن المعلوم أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، قال سبحانه: ﴿يَلْسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] قال شيخ الإسلام: (فإن نفس اللغة العربية من الدِّين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية (١/٥٢٧).

(٢) وهذه مزية عند ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ وهي كثرة استدلاله بالنصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية، حتى قال عنه الذهبي رَحْمَةُ اللَّهِ -مع كثرة شيوخه ومن أخذ عنهم-: (فإنني ما رأيت أحداً أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه، ولا أشد استحضاراً لمتون الأحاديث وعزوها إلى الصحيح أو إلى المسند أو إلى السنن منه، كأن الكتاب والسنن نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رَشَقَة وعين مفتوحة وإفحام للمخالف وكان آية من آيات الله تعالى في التفسير والتوسع فيه) ثلاث تراجم نفيسة للأئمة الأعلام (ص: ٢٣).

(٣) سوى أحاديث قليلة جداً ففيها ضعف يسير، وبعضها متنازع في صحتها، ولها شواهد من الأحاديث الصحيحة، وبالجمله فليس في هذا الكتاب أحاديث موضوعة.

ج - الكتب المؤلفة في العقيدة المُسنَّدة، مثل: التوحيد لابن منده، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي؛ والشريعة للأجري وغير ذلك من الكتب السلفية المُسنَّدة^(١).

ولم يُضْمَن كتابه عقائد أهل الكلام، لأن عقائد أهل الكلام مصدرها إما علم الكلام^(٢) أو الفلسفة^(٣) أو الرأي أو القياس^(٤)؛ ومن المعلوم أن العقيدة مبناهَا على التوقيف^(٥).

(١) ويدل على ذلك ما قاله ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في مناظرة الواسطية حيث قال: (ليس في هذا لفظ واحد من عندي، وإنما هو من كتاب الله وسنة رسوله وألفاظ سلف الأمة أو ألفاظ من نقل مذاهب سلف الأمة وأهل السنة من الأئمة الموثوق بهم) جامع المسائل لابن تيمية - المجموعة الثامنة (ص: ١٩٢). وانظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٧٥، ٧٤).

(٢) أهل الكلام: طائفة نسبوا إلى علم يسمى: (علم الكلام) ويقصد به: إثبات العقائد الدينية بالأدلة العقلية، وقد ظهرت في القرن الثاني الهجري تقريباً، حيث تُرجمت كتب الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية، ومن الفرق التي يطلق عليها أهل الكلام: المعتزلة والأشاعرة.

انظر: المواقف للإيجي (ص: ٧)، مقدمة كتاب أحاديث في ذم الكلام وأهله لأبي الفضل المقيري (ص: ٥٥).

(٣) الفلسفة: معنى هذه الكلمة باليونانية: محبة الحكمة. والفلاسفة: قوم يدور كلامهم على الإلهيات، والطبيعات، والرياضيات، وتأثر بهم قوم ممن ينتسبون إلى الإسلام مثل الفارابي وابن سينا وغيرهما، وفي عرف المتأخرين غالباً ما يطلق الفلاسفة على أتباع أرسطو الذين هَدَّبَ طريقَتَهُم ابنُ سينا.

انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٢/ ٣٦٣)، إغاثة اللفهان في مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية (٢/ ١٠١٧)، المعجم الفلسفي للدكتور جميل صليبا (٢/ ١٦٠) المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية في القاهرة (ص: ١٣٨).

(٤) يقصد الشارح -وفقه الله- قياس التمثيل وقياس الشمول ونحو ذلك مما لا يجوز في حق الله تعالى، وأما قياس الأولي؛ فإنه قياس صحيح مستعمل عند أهل السنة في عقائدهم وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله.

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (من بنى الكلام في العلم: الأصول والفروع على الكتاب والسنة والآثار المأثورة عن السابقين؛ فقد أصاب طريق النبوة) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٦٣).

ج - مقارنة بين الواسطية وبعض كتب الشيخ الأخرى (الحموية والتدمرية أنموذجاً):

الواسطية والحموية والتدمرية بينها فرقٌ من حيث الاسم، والموضوع، وطريقة العرض ومنهج المؤلف، وبيان ذلك أن يقال:

١- أما الاسم: فالواسطية نسبة إلى بلد السائل وهي: (واسط) مدينة في العراق، وأما الحموية فهي نسبة إلى بلد السائل (حماة) وهي مدينة بالشام، وأما التدمرية نسبة إلى بلد السائل (تدمر) مدينة بالشام.

٢- وأما الموضوع: فالواسطية عرض لعقيدة الفرقة الناجية المنصورة أهل السنة والجماعة في أبواب الاعتقاد؛ كالإيمان، والبعث، والقدر، والصفات، والكرامات، والصحابة، وغيرها.

وأما الحموية: فهي في الصفات، وخاصة الصفات الخيرية، والرد على طريقة المخالفين.

وأما التدمرية: فموضوعها هو الكلام في أصليين عظيمين، الأصل الأول: التوحيد والصفات، والأصل الثاني: الشرع والقدر.

٣- وأما طريقة العرض والمنهج الذي سار عليه المؤلف:

فالواسطية: يكتفي المؤلف بعرض أصول أهل السنة والجماعة، مع الاستدلال على ذلك بالأدلة من الكتاب والسنة.

وأما الحموية: فتمتاز بذكر الأدلة من الكتاب والسنة، مع كثرة النقول عن علماء السلف، وأهل الكلام من الأشاعرة وأهل التصوف من باب إلزام الخصم.

وأما التدمرية: فتمتاز بالاستدلال بالأدلة النقلية من الكتاب والسنة والآثار عن السلف.

والاحتجاج بالأدلة العقلية التي تؤيّد الأدلّة النّقلية.

والاحتجاج على المخالفين من المتكلمين والصوفية بمصطلحاتهم المنطقية الكلامية.

واستخدام الأساليب الجدلية في بعض الأحيان؛ حينما يعرض المقدمات ويستخلص منها النتائج.

والعدالة في الحكم على الأقوال.

والتوسع والإطالة في بعض الموضوعات.

وحكاية أقوال المخالفين لأهل السنة على وجه يعرف منه بطلانها.



المبحث الثالث

امتحان شيخ الإسلام بسبب هذه العقيدة المباركة

من سنن الله الكونية أَنَّ الأنبياء والعلماء والمصلحين يُبتلون، وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأئمة فالأئمة، فعن سعد بن أبي وقاص قال: قلت: يا رسول الله أَيُّ الناس أَشدُّ بلاءً؟ قال: «الأنبياء، ثُمَّ الصالحون، ثُمَّ الأئمة»، فالأئمة من الناس، يبتلى الرَّجل على حسب دينه، فَإِنْ كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وَإِنْ كان في دينه رِقَّة خُفِّفَ عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة»^(١).

وشيوخ الإسلام أُوذِي وسُجِن من قِبَل أهل الكلام والتصوف، فسجن عام (٧٠٧هـ) سنة ونصف، وفي سنة (٧٢٠هـ) حُبِس في القلعة في دمشق، وفي سنة (٧٢٦هـ) وقع الكلام في مسألة شد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين؛ فأجاب بما يدين الله به، فاعتُقل الشيخ بقلعة دمشق في شعبان في هذه السنة، وحُبِس جماعة من أصحابه وعُزِّر جماعة، ثم أُطلق سراح كثير من أصحابه ما عدا الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، وبقي الإمام سجيناً بضعة وعشرين شهراً، وامْتُحِنَ عِدَّة مَرَّات بسبب ما كتبه في الواسطية والحموية.

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء (ص: ٥٤٠) برقم (٢٣٩٨)، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (ص: ٦٦٥) برقم (٤٠٢٣)، وأحمد في المسند (٧٨/٣) برقم (١٤٨١) وقال الألباني (حسن صحيح) انظر: صحيح سنن الترمذي (٢/ ٥٦٥).

❦ الابتلاء والاختبار الأول:

أما المحنة الأولى: فبسبب الفتوى الحموية، فقد أحدث ظهور هذه الفتوى صدمة عنيفة على المخالفين، وزلزلت أركان عقيدتهم، وشككتهم في دعواهم أن مذهب السلف هو تفويض الصفات وأن الخلف أعلم وطريقتهم أحكم من السلف، وتعتبر الفتوى الحموية أول كُتُب الشيخ في الرد على الأشاعرة، ثم بعد ذلك فتح الله عليه بالرد على المخالفين، فردّ على علماء الأشاعرة بكتاب درء تعارض العقل والنقل، وبيان تلبيس الجهمية، والتسعينية وغيرها، ورد على سائر أهل الأهواء والبدع^(١).

وقد جاء لشيخ الإسلام سؤال من حماة من بعض طلاب العلم يستفتونه عن بعض صفات الله؛ فأجاب الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بما يعتقد ويؤمن به، وأنه يجب علينا أن نؤمن بما جاء في القرآن من هذه الصفات دون تعطيل ولا تمثيل، وينبغي في نفس الوقت تنزيه الله بعدم تشبيهه ببعض مخلوقاته، فيكون إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل.

ولكن خصوم شيخ الإسلام يرون غير ذلك، كانوا يرون تأويل هذه الآيات لسد باب التجسيم والتشبيه عن الله - بزعمهم -؛ فقد ثاروا عليه وتحزّبوا ضده ورموه بالتجسيم والتشبيه، وقام جماعة من المخالفين يدعونه إلى مجلس القاضي الحنفي، لكنه رفض الحضور إلى ذلك المجلس. ثم اجتمع الشيخ بالقاضي إمام الدين وعنده جماعة من العلماء والفضلاء وباحثوه في الحموية وناقشوه في مواضع منها، فأجاب الشيخ عما سألوه فيه بأحاديث مقنعة مفحمة

(١) انظر: العقود الدرية (ص: ٩٥).

بالدليل القاطع؛ فافتتح أهل الحق من الحاضرين بما سمعوه منه وقالوا: هذا معتقد سلفيٍّ جيّد^(١).

❦ الابتلاء والاختبار الثاني:

لم يتركه خصومه من المخالفين بعد أن انتصر عليهم وعادوا مخذولين مهزومين مجروحين، بل أرادوا أن يعكّروا عليه صفوه، وأن يكدّروا عليه حياته، ولا يدعونه وشأنه بعد أن انتصر عليهم، فاستطاع خصومه أن يجعلوا السلطان يسأله عن معتقده، فجمع نائبُ السلطان القضاة والعلماء بالقصر، وسأله عن معتقده، فقرأ عليهم العقيدة الواسطية التي جاء سؤالها من أهالي واسط وردّ عليها؛ فناقشوه وانتهى الأمر أن عقيدة الشيخ سنية سلفية^(٢).

❦ الابتلاء والاختبار الثالث:

ومرة ثالثة تقوم الفتنة بشأن عقيدته، ويطلبه السلطان ليحضر إلى القاهرة لسؤاله عما يتحدث به، وسافر شيخ الإسلام وعقد له مجلس بالقلعة حضره القضاة وأكابر الدولة، ثم أخذوا في التحقيق معه وسأله بأنه يعتقد أن الله على العرش حقيقة، وأنه يشار إليه بالإشارة الحسية وأنه يتكلم بحرف وصوت... فخرج من المجلس محبوساً، حتى محبوبه وأنصاره من الحنابلة لم يسلموا من الأذى والبطش والحبس، وأخذ على بعضهم تعهداً بالرجوع عن عقيدة الشيخ التي حوكم بسببها هو وأخوه شرف الدين كما جرت فتن كثيرة بهذا السبب.

(١) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/٣٩٦)، البداية والنهاية (٤/٤)، شيخ الإسلام ابن تيمية إمام السيف والقلم لسعد صادق (ص: ١٧٣، ١٧٢).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٤/٥١١)، شيخ الإسلام إمام السيف والقلم (ص: ١٧٤).

ولبت الشيخ في السَّجْنِ عامًا وبضعة أشهر، عَرَضُوا خلال مُدَّة الحبس عليه أن يرجع عن عقيدته ويفرجوا عنه فرفض.

ثم جاء حسام الدين مُهَنَّأ بن عيسى أمير العرب في ربيع الأول (٧٠٧هـ) وأخرج الشيخ بنفسه من السَّجْنِ بعد أن استأذن في ذلك، وعقدت له مجالس حضرها أكابر الفقهاء، فصَمَّم الشيخ على موقفه وتحير نائب السلطنة والفقهاء والقضاة في أمره^(١).

قال شيخ الإسلام: (والحق دائما في انتصار وعلو وازدياد، والباطل في انخفاض وسفال ونفاد، وقد أخضع الله رقاب الخصوم وأذلهم غاية الذل)^(٢). وقال الحافظ الذهبي: (ثم وقع الاتفاق على أن هذا معتقداً سلفيَّ جيِّد)^(٣) يعني: العقيدة الواسطية.

وقال العلامة ابن كثير: (ثم انفصل الحال على قبول العقيدة وعاد الشيخ إلى منزله معظمًا مكرماً)^(٤).

وقال العلامة ابن رجب الحنبلي: (ووقع الاتفاق على أن هذه عقيدة سلفية سنية)^(٥). ومن بديع ما نُظِم في شيخ الإسلام ما قاله تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وله المقامات الشهيرة في الوري نصر الإله ودينه وكتابه ورسوله بالسيف والبرهان

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية إمام السيف والقلم (ص: ١٧٧، ١٧٦) وانظر: البداية والنهاية (١٤ / ٤٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٦٥٦ / ٢٨)، العقود الدرية (ص: ٣٤٨).

(٣) العقود الدرية (ص: ٢٥٠)، تكملة الجامع (ص: ٤٥).

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (١٨ / ٥٣).

(٥) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٤ / ٥١١).

أبدئ فضائحهم وبيّن جهلهم وأصارهم والله تحت نعال أهـ
وأصارهم تحت الحضيض ومن العجائب أنه بسلامتهم
كانت نواصينا بأيديهم فما فغدت نواصيتهم بأيدينا فما
وغدت ملوكهم مماليكاً لأنصـ وأرى تناقضهم بكل زمان
لحق بعد ملابس التيجان كانوا هم الأعلام للبلدان
أرداهم تحت الحضيض الداني منالهم إلا أسير عان
يلقوننا إلا بحبل أمان سار الرسول بمِنَّة الرَّحْمَنِ^(١)

وأعداء ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ لو عرفوا حقيقة ما يدعو إليه من إخلاص التوحيد لله تعالى، والتمسك بالكتاب والسنة^(٢) لكانوا كما قال الشاعر:

لا يعرفون لكم فضلاً ولو عقلوا لصيروا لكم الأجفان أوطانا^(٣)

ثم بعد هذه المحنة نصر الله تعالى شيخ الإسلام ابن تيمية، وصار القبول لهذه العقيدة الواسطية.

والمقصود أن الذين امتحنوا شيخ الإسلام من أهل الكلام ادعوا أنهم أهل السنة والاتباع، ويرمون خُلص أهل السنة بالابتداع، ولقبوهم بأشنع الألقاب؛

(١) متن القصيدة النونية (ص ٢٣٢، ٢٣١).

(٢) وكذلك ما حصل مع الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ مع بعض الأقوام الذين دعاهم إلى التوحيد فقال: (ولو كنتم تعقلون حقيقة ما دعوتكم إليه لكنّ أغلّى عنكم من آبائكم وأمهاتكم وأبنائكم ولكنكم قوم لا تعقلون) وقد نقل هذه العبارة حفيده الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ -وفقه الله- كما في التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٤٩).

(٣) هذا البيت من قصيدة لنجم الدين سليمان الطوفي يمدح شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ. انظر: العقود الدرية (ص: ٣١٣).

كالحشوية والمشبهة، وفي هذا العصر يلقبونهم بالوهابية، فقد جاء في الرسالة الحموية (أهل البدع كل صنف منهم يلقّب أهل السنّة بلقّب.. وأهل الكلام يسمّونهم حشوية ونوابت، وغشاء، وغثرا، إلى أمثال ذلك)^(١) فنازعوا أهل السنة على هذا الاسم، فقد كانوا ينسبون أنفسهم إلى علم الكلام الأشعري أو الماتريدي فزعموا أنهم أهل السنة، واستطاعوا أن يسيطروا على عقول الكثير من الناس بسحر دعواهم التي يزعمون فيها أنهم على عقيدة أهل السنة والجماعة، واستطاعت كتب متأخري أهل الكلام أن تستحوذ على عقول كثير من المنتسبين للعلم؛ حتى ساد القول (أنّ العدول عن مذهب الأشعري ولو قيد شبر كُفّر، ومباينته ولو في شيء نزر ضلال وخُسْر) فجثم على صدور وقلوب أجيالٍ خلال قرون متطاولة، وحرّم على طلبة العلم أن يستقوا عقائدهم من القرآن والسنة، وبلغت الصّفاقة والوقاحة بأولئك أن قالوا: (طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم)، ويكفينا مقولتهم هذه على مباينتهم لمنهج السلف وعدولهم عنه، والحقيقة أي أعجب من أولئك الذين يدّعون أنهم أهل السنة، ويزعمون أن فنّ الكلام أسلم وأحكم وأعلم من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ. وبالتالي انطلت هذه الحيلة على عوام المسلمين وصغار طلبة العلم. وهذا تدليس منهم وتليس كبير، إذ يرمون أهل السنة بالابتداع لذا ضررهم عظيم وخطرهم جسيم.

قال السجزي رَحِمَهُ اللهُ: (ثم بلي أهل السنّة بعد هؤلاء بقوم يدّعون أنهم من أهل الاتّباع. وضررهم أكثر من ضرر المعتزلة)^(٢) ثم ذكر جملة من علماء الكَلابية والأشاعرة.

(١) الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٥٣٤-٥٣٦).

(٢) الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ٢٢٢).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ أَيضًا: (والضرر بهم - يعني: الأشاعرة - أَكْثَرُ مِنْهُ بِالْمَعْتَزِلَةِ لِإِظْهَارِ أَوْلَئِكَ وَمَجَاوِبَتِهِمْ أَهْلَ السُّنَّةِ وَإِخْفَاءِ هَؤُلَاءِ وَمَخَالَطَتِهِمْ أَهْلَ الْحَقِّ. نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ بَرَحْمَتِهِ)^(١).

وقال أَيضًا: (اعلموا - أرشدنا الله وإِيَّاكُمْ - أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ خِلَافٌ بَيْنَ الْخَلْقِ عَلَى اخْتِلَافِ نِحْلِهِمْ مِنْ أَوَّلِ الزَّمَانِ إِلَى الْوَقْتِ الَّذِي ظَهَرَ فِيهِ ابْنُ كُلابٍ وَالْقَلَانِسِيُّ وَالصَّالِحِيُّ وَالْأَشْعَرِيُّ وَأَقْرَانُهُم، الَّذِينَ يَتَظَاهَرُونَ بِالرَّدِّ عَلَى الْمَعْتَزِلَةِ وَهُمْ مَعَهُمْ بَلْ أَحْسَنُ حَالًا مِنْهُمْ فِي الْبَاطِنِ)^(٢) وقال أَيضًا: (والمعتزلة مع سوء مذهبهم أَقْلُ ضَرَرًا عَلَى عَوَامِّ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ هَؤُلَاءِ)^(٣) - يعني: الأشاعرة - .

ووجه كون المعتزلة أَقْلُ ضَرَرًا مِنْ الْأَشَاعِرَةِ عَلَى عَوَامِّ أَهْلِ السُّنَّةِ؛ أَنَّكَ إِذَا سَأَلْتَ الْمَعْتَزِلِيَّ مِنْ أَيْنَ تَسْتَمِدُّ أَصُولَكَ؟ قَالَ: مِنَ الْفَلَسَفَةِ وَعِلُومِ الْكَلَامِ. وَإِذَا سَأَلْتَ الْأَشْعَرِيَّ؟ قَالَ: مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَإِذَا سَأَلْتَ الْمَعْتَزِلِيَّ مَا رَأَيْكَ بِفَلَسَفَةِ الْيُونَانِ؟ قَالَ: قَدْ اسْتَفَدْنَا مِنْهُمْ.

وَإِذَا سَأَلْتَ الْأَشْعَرِيَّ؟ قَالَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهُمْ.

وَإِذَا سَأَلْتَ الْمَعْتَزِلِيَّ هَلْ مِنْكُمْ فَقَهَاءٌ؟ قَالَ: لَا.

وَإِذَا سَأَلْتَ الْأَشْعَرِيَّ؟ قَالَ: كُلُّ الْفُقَهَاءِ مِنَّا.

وَإِذَا سَأَلْتَ الْمَعْتَزِلِيَّ مَنْ حَفِظَ السُّنَّةَ وَحَمَاهَا؟ قَالَ: الْمُحَدِّثُونَ.

وَإِذَا سَأَلْتَ الْأَشْعَرِيَّ؟ قَالَ: أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ وَأَصْحَابُهُ.

وَإِذَا سَأَلْتَ الْمَعْتَزِلِيَّ عَنِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ؟ قَالَ: نَحْنُ نَحْكُمُ عَلَى النَّقْلِ مِنْ

(١) المصدر السابق (ص: ١٨١).

(٢) المصدر السابق (ص: ٨٠).

(٣) المصدر السابق (ص: ١٧٧).

خلال العقل.

وإذا سألت الأشعري؟ قال: نتَّبِع النّقل وندافع عنه بالعقل.

وإذا سألت المعتزلي عن كلام الله؟ قال: هو مخلوق.

وإذا سألت الأشعري؟ قال: النفسي قديم واللفظي مخلوق.

وإذا سألت المعتزلي ما رأيك بأحمد بن حنبل؟ قال: هو خصمنا وعدونا.

وإذا سألت الأشعري؟ قال: هو مِنَّا وفيّنا.

وإذا سألت المعتزلي ما مذهب أهل الحديث؟ قال: هم حشوية.

وإذا سألت الأشعري؟ قال: هم أشاعرة - يعني: أهل الحديث -.

وإذا سألت المعتزلي ما رأيك بالتفويض؟ قال: جهل وخرف.

وإذا سألت الأشعري؟ قال: هو مذهب السلف.

وإذا سألت المعتزلي كم عددكم؟ قال: نحن قَلّة.

وإذا سألت الأشعري؟ قال: نحن أكثر الأُمّة.

فالمتكلم الأشعري أخطر من المتكلم المعتزلي على عقيدة المسلم

العامّي^(١).

ولذا انتقدهم جماعة من العلماء قبل ابن تيمية، مثل محمد بن خويز منداد

المالكي^(٢)، وابن حزم الظاهري^(٣)، والسجزي^(٤)، وشيخ الإسلام الهروي^(٥)،

(١) انظر: قصة الأشاعرة للدكتور عمار خنفر (ص: ٢٩٥).

(٢) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/ ٩٤٣).

(٣) انظر: الفصل لابن حزم (١/ ٤١).

(٤) انظر: الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ٢٢٢، ٨٠).

(٥) انظر: طبقات الشافعية (٤/ ٢٧٢).

وعبد القادر الجيلاني^(١)، وابن الجوزي^(٢)، مع أن ابن الجوزي يصفونه بأنه من منزّهة الحنابلة.

فالعلماء قبل ابن تيمية يُحذِّرون من الأشاعرة، ويُفَرِّقون بينهم وبين أهل السنة. والحاصل أن بعض علماء الأشاعرة لهم نشاط وتأثير في بعض الدول، فنشروا مذهبهم بسيف السلطان؛ كالدولة السلجوقية والأيوبية ودولة بني تومرت في المغرب وغيرها، والدولة العثمانية نصرت المذهب الماتريدي وهو قريب الصلة بمذهب الأشاعرة والخلاف بينهم يسير.

وانتشر المتكلمون في المدارس والتعليم والقضاء والإفتاء، وفي زمن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ غلب هؤلاء على جميع المناصب العلمية في الدولة، فلا يكاد يُعرف سُنِّيٌّ خالص، والذين امتحنوا شيخ الإسلام في الاعتقاد وتأويل الصفات كان سلفهم في ذلك هو بشر المريسي الجهمي والمعتزلة؛ فتأويلات الأشاعرة والماتريدية هي عين تأويلات بشر المريسي والمعتزلة، لكن المريسي والمعتزلة لم يتظاهروا بأنهم من أهل السنة؛ بينما أولئك - الأشاعرة والماتريدية - زعموا أنهم هم أهل السنة فلبَّسوا على العوام، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (ثم نبغت نابغة منهم في رأس القرن الثامن، فأقام الله لدينه شيخ الإسلام أبا العباس ابن تيمية قدس الله روحه، فأقام على غزوهم مُدَّةَ حياته باليد والقلب واللسان، وكشف للناس باطلهم، وبيّن تليّسهم وتدليسهم، وقابلهم بصريح المعقول وصحيح المنقول، وشفى واشتفى، وبيّن مناقضتهم ومفارقتهم لحكم

(١) انظر: الغنية لطالبي طريق الحق لعبد القادر الجيلاني (ص: ٦٠، ٥٦).

(٢) انظر: صيد الخاطر (١٨١، ١٨٣) تليّس إبليس (ص: ١٥٦)، المتنظم (٦/ ٣٣٢).

العقل الذي به يدلون، وإليه يدعون، وأنَّهم أترك الناس لأحكامه وقضاياه؛ فلا وحي ولا عقل، فأرداهم في حفرهم، ورشقهم بسهامهم، وبَّين أن صحيح معقولاتهم خدم لنصوص الأنبياء شاهدة لها بالصحة، وتفصيل هذه الجملة موجودة في كتبه^(١)، ورغم ما نال شيخ الإسلام من الأذى والمحن والسجن، فقد ثبَّته الله على السنة كما ثبَّت الإمام أحمد بن حنبل، فقد جعله الله لسان صدق يُترحم عليه ويُترضى عنه، فهو شيخ الإسلام حقًّا، ومجددٌ للدين صدقًا، أحيَا عقيدة السلف ونشرها وذبَّ عنها وانتصر لها، فرحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى.



(١) الصواعق المرسلّة (٣/ ١٠٨٠، ١٠٧٩).



شرح العقيدة الواسطية

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ
وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا

الشَّيْخُ:

الحمد: هو الثناء على الله بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل.

والحمد نوعان:

النوع الأول: هو حمد الله على إحسانه لجميع خلقه؛ إنسهم، وجنهم، وحيوانهم.

فالله هو الذي أوجدنا وخلقنا وربانا ورزقنا؛ فهو أهل للثناء والحمد والمجد.

النوع الثاني: حمد الله لما يستحقه من نعوت الكمال وصفات الجلال.

ومن هنا ينبغي أن نتقرب إلى الله بالثناء عليه، وبذكر كمال الله بأسمائه وصفاته.

وفي الحديث: «ما أحَدٌ أَحَبُّ إليه المدح من الله»^(١)، والحمد من جملة الطاعات

التي ينال العبد الأجر عليها^(٢)؛ كما قال ﷺ: «والحمد لله تملأ الميزان»^(٣).

وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من

عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»^(٤).

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ أَنْفُسَهُ﴾ وقوله جل ذكره: ﴿تَعْلَمُ

مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (٢٣١٠/٤) برقم (٧٤٠٣)، ومسلم، كتاب التوبة، باب غير الله تعالى

وتحريم الفواحش (ص: ١٠٣٠) برقم (٢٧٦٠).

(٢) انظر: الكوكب الوهاج والروض البهّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج لمحمد الأمين الهري

(٢٣٠/٢٥).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (ص: ١٠٥) برقم (٢٢٣).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (ص: ١٧٩) برقم (٤٨٦).

بالهدى: الهدى لغة: الهداية والرشاد^(١).

وشرعاً: الدين الحق الذي جاء به النبي ﷺ من الشريعة والعقائد والأخلاق وغير ذلك، وكله هدى ونور وضياء^(٢).

والهداية نوعان:

النوع الأول: هداية بمعنى: الدلالة والبيان^(٣).

والنوع الثاني: هداية بمعنى: التوفيق والإلهام^(٤).

فالهداية التي بمعنى الدلالة والبيان هي للأنبياء وأتباعهم؛ فهم يَدُلُّون النَّاسَ عَلَى الْهُدَى وَيُبَيِّنُونَ الدِّينَ الْحَقَّ.

وأما الهداية التي بمعنى التوفيق فهي خاصة بالله تعالى، فهو الذي يَوْفِّقُ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْقَبُولِ التَّامِ لِهَذَا الدِّينِ الْحَقِّ^(٥).

فائدة: في هذا الحديث دليل على تفاضل صفات الله جَلَّ وَعَلَا، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومعلوم أن المستعاذ به أفضل من المستعاذ منه فقد استعاذ برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته) مجموع الفتاوى (٩١/١٧)، وقال أيضاً: (صفاته كلها كاملة لا نقص فيها، وبعضها أفضل من بعض) درء تعارض العقل والنقل (١٤/٧) وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكما أن أسماء وصفاته متنوعة فهي أيضاً متفاضلة؛ كما دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع) مجموع الفتاوى (٢١٢/١٧)، وذكر رَحِمَهُ اللَّهُ أن هذا هو قول السلف. انظر: مجموع الفتاوى (٧٧/١٧) وانظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن قيم الجوزية (ص: ٢٧٢).

(١) انظر: لسان العرب (٣٥٣/١٥)، تاج العروس (٢٨٢/٤٠).

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٥٣٨)، بدائع الفوائد (١٤/٢).

(٣) كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

(٤) كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ

أَهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، وانظر للاستزادة: مفردات ألفاظ القرآن (ص: ٥٣٨)، شفاء العليل (ص: ٨٣).

(٥) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: (فإن الله سبحانه يخبر أنه قسم هدايته للعبد قسمين؛ قسمًا لا يقدر عليه غيره، وقسمًا مقدورًا للعباد، فقال في القسم المقدور للغير: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٥) وقال في

ودين الحق: هو الإسلام^(١)، ومعنى الإسلام: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة^(٢).

وجميع الأنبياء دعوا إلى الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، واتفقوا على ذلك؛ ولكن الشرائع مختلفة كما قال النبي ﷺ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عِلَالٍ، وَأُمَمَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»^(٣) ودينهم واحد، أي: التوحيد، وأمماتهم مختلفة أي: الشرائع، فلكل نبي شريعة^(٤).

(لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)، يكون ظهور الإسلام على سائر الأديان بأمرين:
الأمر الأول: بالحجة والبيان؛ فإن دين الإسلام: يعلو على جميع الأديان بالحجة، وبموافقة هذا الدين للفطرة وللعقل؛ فهو يعلو على الأديان المُحرَّفة كدين النصراني الذي ركيزته التثليث، ودين اليهود الذي هو تحريفٌ وتغييرٌ وتبديلٌ

غير المقدور للغير: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ شفاء العليل (ص: ٨٣).

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. المعروف بتفسير الطبري (٢١/ ٣٢٠).

(٢) انظر: الإيمان لابن تيمية (ص: ٢٠٧)، الأصول الثلاثة وأدلتها لمحمد بن عبد الوهاب (ص: ٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها) (٢/ ١٠٧٢) برقم (٣٤٤٣) وانظر: فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٨٩).

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٨٩)، وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي بَدَائِعِ الْفَوَائِدِ (٣/ ٢٠١): (شَبَّهَ دين الأنبياء الذين اتفقوا عليه من التوحيد وهو: عبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان به، وبملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائه، بالأب الواحد؛ لا شريك جميعهم فيه، وهو الدين الذي شرعه الله لأنبيائه كلهم فقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقْبِلُوا عَلَى الدِّينِ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ وقال البخاري في صحيحه: «باب ما جاء أن دين الأنبياء واحد» وذكر هذا الحديث وهذا هو دين الإسلام الذي أخبر الله أنه دين أنبيائه ورسله من أولهم نوح إلى خاتمهم محمد، فهو بمنزلة الأب الواحد، وأما شرائع الأعمال والمأمورات فقد تختلف فهي بمنزلة الأمهات الشتى).

لشرع الله الذي أنزل على موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.
فدين الإسلام عالٍ على جميع الأديان بالحجة والبيان لموافقته للفتوة،
وللعقل السليم الخالي من الشبهات^(١).
الأمر الثاني: بالسيف والسنان، وقد حصل في أزمان متعدّدة؛ فقد نُصر النبي ﷺ
بالرُّعب مسيرة شهر^(٢).

كانت دولة الروم على قوتها وجبروتها، وهم أكثر رجالاً وأكثر عتاداً؛ كانوا
إذا أراد النبي ﷺ يسير إليهم - كما في غزوة تبوك - يخافون من النبي ﷺ ومن
جيش الإسلام، رغم أن عدد المسلمين في غزوة تبوك ثلاثون ألفاً، وقيل أكثر من
ذلك^(٣)، وعدد الروم أكثر من عدد المسلمين.

والمسلمون إذا اتبعوا دينهم، وأخلصوا الدين لله، وكانوا مستسلمين لله
بفعل الأوامر واجتناب النواهي وترك المنهيات، وكانوا معتصمين بالكتاب
والسنة، ولا فرقة بينهم؛ فإن الله يقذف في قلوب أعدائهم الخوف.



- (١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (فإن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح) مجموع الفتاوى
(٦٦٥ / ٧) وقال أيضاً: (وليس العقل الصحيح ولا الفتوة المستقيمة بمعارضة النقل الثابت عن رسول الله
ﷺ، وإنما يظن تعارضهما من صدق بباطل من المنقول، وفهم منه ما لم يدل عليه، أو إذا اعتقد شيئاً ظنه
من العقليات وهو من الجهليات، أو من المكشوفات وهو من المكشوفات - إذا كان ذلك معارضاً لمنقول
صحيح - وإلا عارض بالعقل الصريح، أو الكشف الصحيح، ما يظنه منقولاً عن النبي ﷺ ويكون كذباً
عليه، أو ما يظنه لفظاً دالاً على معنى ولا يكون دالاً عليه) مجموعة الرسائل والمسائل (٤ / ١٣٤).
- (٢) أخرجه البخاري، كتاب التيمم، قول الله تعالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ
وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ (١ / ١٢٥) برقم (٣٣٥) ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (ص ١٨٩) برقم (٥٢١).
- (٣) انظر: الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك لعبد القادر حبيب الله السندي (ص ١٧٨).

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا

الشيخ:

شهادة أن لا إله إلا الله هي محور دعوة الرسل، فجميع الرسل كانوا يبدؤون بالدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله، كما فهمها الصَّحَابَةُ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ. ومعنى لا إله إلا الله هو: لا معبود بحق إلا الله. والإله هو: المعبود^(١).

وهذا هو معنى لا إله إلا الله كما فهمها الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ. وأما الفِرَق التي فارقت جماعة الصَّحَابَةَ والتابعين؛ فإنها تخالفهم في معنى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فنجد أن الرافضة^(٢) والمتكلمين بشتى مدارسهم يقولون أن معنى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أي: لا رب إلا الله؛ ولو كان هذا هو معنى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لما قاتل النبي ﷺ كفار قريش؛ فإن كفار قريش كانوا أفقه من هؤلاء في مفهوم الإله^(٣)، فإن النبي ﷺ يأمرهم بأن يُخلصوا الدين لله وحده، وأن يعبدوا الله وحده، وهم يأبون ذلك؛ لكن يُقرُّون ويعترفون بأن الله ربُّ كُلِّ شيءٍ وخَالِقُهُ كما قال الله تعالى:

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/١٢٧).

(٢) سيأتي التعريف بهم.

(٣) قال الشيخ عبد الله أبا بطين رَحِمَهُ اللَّهُ: (وجميع المفسرين يفسرون «الإله» بالمعبود؛ والمشركون يعرفون ذلك؛ لأنهم أهل اللسان). انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٢/٥٨)، ولفظ الجلالة (الله) مشتق من الإله كما ذهب إليه جمع من أهل العلم. انظر: تفسير الطبري (١/١٢٤)، بدائع الفوائد (١/٢٢)، تجريد التوحيد المفيد للمقرزي (ص ٨). وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في بدائع الفوائد (٢/٢٤٩): (ولهذا كان القول الصحيح أن الله أصله الإله كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا مَنْ شَدَّ مِنْهُمْ).

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، فهم لا ينكرون أن الله هو الربُّ.

والآيات في بيان معنى الربِّ ومعنى الإله كثيرة، وقد قال أهل العلم: إن لفظ الرب والإله إذا اجتمعا في نصٍّ واحد افترقا في المعنى كما في سورة الناس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③﴾ [الناس: ١ - ٣].
فهذه السورة افتتحت بلفظ الرب: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ أي: قل يا رسول الله: أعوذ، أي: ألتجئ، ﴿رَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ②﴾ أي: كل الناس تحت ربوبيته وملكوته؛ ثم قال بعد ذلك: ﴿إِلَهِ النَّاسِ ③﴾ أي: هو المعبود بحق، ففرَّق بين معنى الربِّ والإله^(١).

وكان المشركون يفهمون هذا المعنى للشهادة، ولهذا لما أمرهم النبي ﷺ بإفراد العبودية لله، وأن لا يعبدوا مع الله آلهة أخرى من الأصنام والأوثان، استنكروا وقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ⑤﴾ [ص: ٥]، فتعجبوا كيف محمَّد ﷺ يأمرهم بأن يكون الإله واحدًا والمعبود واحدًا؟!

وقد دلَّ الشرع واللغة على أن مفهوم الربِّ غير مفهوم الإله، فإنَّ مفهوم الرب هو: ذو الربوبية على خلقه أجمعين، فهو الخالق الموجد المحيي المميت^(٢)؛ أمَّا

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإن كانت الإلهية تتضمن الربوبية؛ والربوبية تستلزم الإلهية؛ فإن أحدهما إذا تضمَّن الآخر عند الانفراد لم يمنع أن يختص بعمناه عند الاقتران كما في قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③﴾ وفي قوله: ﴿الْعَسَدُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ رَبًّا ④﴾ فجمع بين الاسمين: اسم الإله واسم الرب. فإن «الإله» هو المعبود الذي يستحق أن يعبد، و«الرب» هو الذي يربي عبده فيدبِّره) مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٨٤)، وانظر: تفسير السعدي (ص: ٩٣٨).

(٢) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥ / ١٧٦)، الصحاح للجوهري (١ / ١٣٠)، لسان العرب لابن منظور (١ / ٣٩٩).

الإله فهو: المعبود.

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْنِ أَنْ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]، وتوحيد الألوهية هو الذي من أجله خلق الله تعالى الخلق، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والرسل كلهم اجتمعوا على الدَّعوة إلى توحيد الألوهية مع اختلاف شرائعهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال النبي ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»^(١).

(ومعنى الحديث: أن أصل دينهم واحد؛ وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع)^(٢).

والتوحيد الذي بعث الله به رسله كلهم وأنزل به كتبه هو: عبادة الله وحده لا شريك له، وإفراده سبحانه بالعبادة، فمن عبد غيره كان مشركاً ولم يكن مؤحداً، وإن أقر أنه خالق كل شيء^(٣).

وكان سبب افتراق الفرق التي فارقت جماعة الصحابة وسلف الأمة هو في مفهوم لا إله إلا الله، فمثلاً: الخوارج^(٤) يفهمون لا إله إلا الله بمعنى أنه لا حاكم

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ (٢/ ١٠٧٢) برقم ٣٤٤٣.

(٢) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٨٩).

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٢٨)، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات للشوكاني (ص: ٥).

(٤) الخوارج: طائفة من أهل البدع، يرون الخروج على الحكام المسلمين، ويعتقدون أن صاحب الكبيرة

إلا الله، فترتب على ذلك أنهم خرجوا على أمة محمد ﷺ بسبب فهم وقتلوا بعض أصحاب النبي ﷺ وقتلوه^(١)، فينبغي لطالب العلم وطالب الحق أن يلتزم بالألفاظ الشرعية وبفهم الصحابة لتلك النصوص الشرعية^(٢).

❦ أركان لا إله إلا الله:

لا إله إلا الله: لها ركنان: نفي وإثبات:

نفي: وهو قول: (لا إله) أي: نفي للآلهة الباطلة التي عُبدت من دون الله.

إثبات: وهو قول (إلا الله) أي: إثبات الألوهية لله وحده^(٣).

❦ مراتب لا إله إلا الله، وهي أربع مراتب:

المرتبة الأولى: العلم والمعرفة والاعتقاد لصحة المشهود به، والدليل قوله

تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، فجعلت الآية الشهادة

كافر وأنه مخلد في النار، وقد جاءت أحاديث كثيرة في ذمهم، قال ابن القيم رحمه الله - كما في تهذيب سنن أبي داود -: (والذي صح عن النبي ﷺ ذمهم من طوائف أهل البدع: الخوارج؛ فإنه قد ثبت فيهم الحديث من وجوه كلها صحاح) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي (ص: ٤٧)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١١٤).

(١) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص: ٤٧)، منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/ ٢٥٥).
(٢) وهذا الأمر - أعني العناية بالمصطلحات الشرعية والتقيد بها - مهم جداً، فإنما أوقع كثير من المبتدعة بالبدع هو من جرّاء ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل، ويراعون أيضاً الألفاظ الشرعية، فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، ومن تكلم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه، ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقاً وباطلاً نسبوه إلى البدعة أيضاً، وقالوا: إنما قابل بدعة ببدعة، وردّ باطلاً بباطل) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٥٤).

(٣) انظر: بدائع الفوائد (١/ ١٣٤)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٦٤)، مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان (ضمن مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب) (١/ ٣٧١)، مفتاح الجنة للمعصومي (ص: ٣٩).

هنا بمعنى العِلْم والمعرفة والاعتقاد لصِحَّة المشهود به.

المرتبة الثانية: أن يتكلم بها، وينطق بهذه الكلمة العظيمة وهي (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) ^(١).
 فلا بُدَّ أن يتكَلَّمَ العبد بما يعتقد من إثبات الألوهية لله ونفي الإلهية عَمَّنْ سِوَاهُ،
 ولا يقبل الله لأحد أن يدخل الإسلام من المشركين حتى يشهد أن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.
 المرتبة الثالثة: أن يُعْلِمَ غيره بأنه يشهد أن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ويخبره ويبين له،
 وهذا الإعلام نوعان:

أ - إعلامه بالقول، بأن يتكلم الشَّاهد بما يشهد به؛ فيخبر به غيره.
 ب - إعلامٌ بالفعل، فهذه المخلوقات تدلُّ على انفراد الله تعالى بالألوهية.
 وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
 المرتبة الرابعة: أن يلتزم العبد بمضمون لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فهي تتضمن: نفيًا
 وإثباتًا، فيتبرأ من المعبودات الباطلة والآلهة الباطلة، ويثبت الإلهية لله وحده ^(٢).
 إقراراً به وتوحيداً: التوحيد هو: إفراد الله بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات.
 إفراد الله بالربوبية فلا ربَّ سواه.
 إفراد الله بالألوهية فلا مَعْبُود سواه.
 إفراد الله بالكمال المقدَّس؛ فله الأسماء الحسنَى والصفات العُلَى فلا
 يُساويه أحد في صفاته وفي أسمائه؛ بل له الكمال وحده.

واستنبط أهل العلم أقسام التوحيد بناءً على استقراءهم لآيات التوحيد

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (وإن لم يعلم به غيره، بل يتكلم به مع نفسه ويذكرها، وينطق بها أو يكتبها)
 مدارج السالكين (٣/ ٤١٨).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤١٨)، وقد ذكر رَحِمَهُ اللهُ المراتب وأورد جملة من الأدلة.

والأَحَادِيث التي جاءت في التوحيد^(١).

فمن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين:

القسم الأول: توحيد المعرفة والإثبات وهو: معرفة الله بما عرّف به نفسه.
ومعرفة الله مبنية على إثبات ما أثبت الله لنفسه وما أثبت له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ. ويدخل في هذا القسم: توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.

القسم الثاني: توحيد القصد والطلب: وهو أفراد الله بالعبادة^(٢).

ويُطلب فيه من العبد أن يعبد الله وحده.

ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية وهو: أفراد الله بأفعاله.

القسم الثاني: توحيد الألوهية وهو: أفراد الله بأفعالنا، ويعرّف أيضًا بتعريف

آخر وهو: أفراد الله بالعبادة.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات وهو: إثبات ما أثبت الله لنفسه وأثبتته

(١) قال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ: (هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف: أشار إليه ابن منده، وابن جرير الطبري، وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي في «تاج العروس» وشيخنا الشنقيطي في «أضواء البيان» في آخرين رحم الله الجميع. وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن كما في استقراء النحاة: كلام العرب إلى (اسم، وفعل، وحرف)، والعرب لم تُفَقِّ هذا ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء التحذير من مختصرات محمد علي الصلبروني في التفسير (ص: ٣٠).

(٢) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٥٦٦)، إغاثة اللهفان (٢/ ٨٤٠)، تجريد التوحيد المفيد (ص: ٥)، تطهير الاعتقاد (ص: ٥٠)، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله (ص: ١٩)، القول السديد شرح كتاب التوحيد للسعدي (ص: ١٩).

له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تكيف ولا تعطيل ولا تمثيل.

والفرق المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة غالباً يُركّزون على التوحيد الاعتقادي ويهملون توحيد القصد والطلب - وهو: توحيد الألوهية -.

والمشركون كانوا يقولون بتوحيد الاعتقاد، ويعتقدون أن الله هو الخالق الرازق المدبّر، ولم تكن خُصُومَةُ الرُّسل مع أقوامهم في توحيد الربوبية؛ بل كانت خصوصيّتهم في توحيد العبادة - وهو توحيد الألوهية -، فالمشركون يأبون أن تكون عبادتهم لله وحده؛ لكنهم يتخذون الآلهة ويعبّدونها مع الله تعالى.

﴿ومن خصائص توحيد الألوهية:﴾

١ - أنه الغاية من خلق الثقلين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٢ - أنه المقصود الأعظم من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وهو مفتاح دعوة الرسل، وزبدة رسالتهم، قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

٣ - أنه أوّل واجب على المكلف، فإن توحيد الألوهية هو معنى لا إله إلا الله، وهي أول دعوة الرسل.

٤ - أن الشارع احتاط لهذا التوحيد أعظم الحيلة عن كل فعل وقول وقصد يكون شركاً أو وسيلة إلى الشرك؛ كالرياء والطيرة وبناء المساجد على القبور، وكذلك الألفاظ كالحلف بغير الله وقول ما شاء الله وشئت ونحو ذلك.

وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية. ومن الأسباب التي أوقعت الفرق في هذه المخالفة - أعني: خطأهم في تعريف

توحيد الألوهية - أمور:

منها: أنهم أخطئوا في تعريف التوحيد؛ فمن تأمل كتبهم تبين له أنهم قد أخطئوا في تعريف التوحيد، فيعرفون توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية^(١).

ولا شك أن الغاية من خلق الخلق هو توحيد الألوهية قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]، وهذا التوحيد هو الذي من أجله خلق الله تعالى الخلق، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والرسل كلهم اجتمعوا على الدعوة إلى توحيد الألوهية مع اختلاف شرائعهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

والتوحيد الذي بعث الله به رسله كلهم وأنزل به كتبه هو: عبادة الله وحده لا شريك له، وإفراده سبحانه بالعبادة، فمن عبد غيره كان مشركاً ولم يكن مؤحداً، وإن أقر أنه خالق كل شيء^(٢).

وقد أخبر الله تعالى عن المشركين أنهم مقررون بربوبيته سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقال سبحانه: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]. فإقرار المشركين بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وإنما الذي يدخل المرء في الإسلام، ويعصم

(١) انظر: منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى لخالد نور (١/ ١٥٤) وما بعدها.

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٢٨)، إرشاد الثقات (ص: ٥).

دمه وماله - مع إقراره بتوحيد الربوبية - هو توحيد الألوهية، وإفراده سُبحَانَهُ وَتَعَالَى بالعبادة.

ومن الأسباب التي أوقعتهم أيضًا في هذه المخالفة: أنهم أخطئوا في إعراب كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، فبعضهم عند إعرابهم لكلمة التوحيد يقدّر الخبر المحذوف بـ (موجود) فيكون المعنى: (لا إله موجود إلا الله). وقد أخطأ كثير من أهل الكلام - ممن تعرّض لإعرابها - فكان نتيجة هذا الخطأ هو: تفسير هذه الكلمة بغير معناها الصحيح.

والصواب في إعرابها ما يلي: (لا): نافية للجنس، (إله): اسم (لا) مبنيّ على الفتح. (إلا): أداة استثناء وحصر، (الله): لفظ الجلالة: بدل من خبر (لا) المحذوف^(١). وقد اختلف في تقدير خبر (لا) على أقوال متعددة منها:

- (كائن).
- (لنا).
- (موجود).
- (حق).

ولا شك أنّ التّقدير الأوّل لن يعطي نتيجة صحيحة، فلو قدّرنا الخبر المحذوف بـ (كائن) لم يصح واقعياً، لأننا نرى أنّ كثيراً من المشركين اتّخذ مع الله تعالى إلهاً آخر، ومثله التقدير بـ (لنا) و (موجود) فكُلُّها لا تسلم من الاعتراض؛ فتعيّن تقدير الخبر: (حق) أو (بحق) فيكون معنى (لا إله إلا الله): لا معبود حقّ إلا الله^(٢).

(١) انظر: معنى لا إله إلا الله للزركشي (ص: ٦٠)، عجالة ذوي الانتباه بتحقيق إعراب لا إله إلا الله للكوراني (ص: ٣٤٠)، التجريد في إعراب كلمة التوحيد للقاري (ص: ١٥)، شرح الأربعين النووية لابن عثيمين (ص: ٢١).

(٢) انظر: الاستغناء في الاستثناء للقراقي (ص: ٣٠٨)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٦٤)، معنى لا

والذين خالفوا السلف الصالح اقتصروا على التوحيد الاعتقادي؛ وسائر الفرق من الرافضة^(١) والجهمية^(٢) والمعتزلة^(٣) وغيرهم يهتمون توحيد الألوهية، وبالتالي إذا جاءتهم نصوص التوحيد العملي فإنهم يفسرونها بالتوحيد الاعتقادي، فيخلطون بين التوحيد الاعتقادي والتوحيد العملي^(٤).

إله إلا الله (ص: ٧٥)، الدرر السنية في الأجوبة النجدية لمجموعة من العلماء (١١ / ٢٦٠)، معارج القبول بشرح سلم الوصول لحافظ بن أحمد الحكمي (٢ / ٥١٦).

(١) الرافضة: هي فرقة ضالة، وهي إحدى فرق الشيعة بل من أضلهم، والرافضة سمووا بذلك لأنهم رفضوا إمامة أبي بكر وعمر، وأظهروا مشايعة علي عليه السلام واستتراوا بذلك، وقالوا بإمامته نصاً ووصية ويرون عصمة الأئمة من الكبائر والصغائر، وهم ينكرون صفات الله تعالى ويقولون بخلق القرآن والرجعة والبداء وهم فرق كثيرة، والشيعة المتأخرون أصبحوا قبوريين، يعبدون القبور وآل البيت ويعظمون المشاهد.

انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري (ص ٥)، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٩)، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٥ / ٣٥)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين للإسفرائيني (ص ٢٧) الملل والنحل (١ / ١٤٤)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركيين للرازي (ص ٥٢)، البرهان في عقائد أهل الأديان للسكسكي (ص ٦٥).

(٢) الجهمية: هي فرقة كلامية، تنتسب إلى الإسلام، ظهرت على يد الجهم بن صفوان، يقوم منهجهم على أن الإيمان هو المعرفة فقط وإنكار أسماء الله وصفاته. والقول بالجبر، والقول بخلق القرآن، وإنكار علو الله وغير ذلك من المقالات الباطلة.

انظر: مقالات الإسلاميين (ص ٢٧٩)، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص ٩٦)، الفرق بين الفرق (ص ١٩٩)، الملل والنحل (١ / ٧٣).

(٣) المعتزلة: فرقة من أهل الكلام، ظهرت على يد واصل بن عطاء، ترى تقديم العقل على النقل، وينبني مذهبهم على أصول خمسة، يندرج تحتها نفي صفات الله تعالى، وعدم المغفرة لصاحب الكبيرة والخروج على الحكام، وأن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد وغير ذلك، وقد ذم علماء السلف المعتزلة وبدعوهم.

انظر: مقالات الإسلاميين (ص ١٥٥ - ٢٧٨)، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص ٣٥ - ٤٣)، الفرق بين الفرق (ص ٩٣ - ١٦٩)، الملل والنحل (١ / ٣٨ - ٧٩).

(٤) انظر للفائدة: منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى (١ / ١٨٥) وما بعدها.

وسبب اشتهاه توحيد الربوبية عند المتكلمين: هو ما جرى بينهم وبين أصحاب العقائد الباطلة كالمجوس والصابئة واليهود والنصارى من مناقشات ومجادلات حول ذات الله وصفاته، والقضاء والقدر؛ فاشتهر عندهم الاهتمام بتوحيد الربوبية الذي يعتقده أكثر المشركين من قريش، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ ۖ فَإِنَّ يُوْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وأغفلوا توحيد الألوهية الذي اهتمت به جميع الرسل.



وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ تَسْلِيمًا مَزِيدًا

﴿الْبَيْتُ﴾

﴿معنى شهادة أن محمدًا رسول الله هي:

طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع النبي ﷺ^(١).

وَمَنْ تَأَمَّلَ أَصْحَابَ الْفِرَقِ الْمُخَالَفَةَ لِمَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَجَدَهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَحَقِّقُوا الشَّهَادَتَيْنِ عَلَى وَجْهِيهَا الصَّحِيحِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ خَالَفَ مَقْتَضَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَتَقَرَّبَ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ إِمَّا بِالْذَّبْحِ أَوْ الْاسْتِغَاثَةِ بِالْمَوْتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَخَالَفُوا مَقْتَضَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ فَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِالْبَدْعِ وَبِغَيْرِ مَا شَرَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ.

وَالشَّهَادَةُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ مَقْرُونَةٌ بِالشَّهَادَةِ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ؛ وَلَا تَكْفِي إِحْدَاهُمَا عَنِ الْأُخْرَى؛ فَالشَّهَادَتَانِ مُتَلَازِمَتَانِ: إِذَا شَهِدْتَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِذَا شَهِدْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ إِذَا ذَكَرَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ^(٢).

(١) انظر: الأصول الثلاثة وأدلتها (ص: ١١).

(٢) وقد اختلف أهل العلم رحمهم الله تعالى هل تجب الصلاة على النبي ﷺ كلما ذكر اسمه؟ على أقوال، ذكرها الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ وذكر حجج أصحابها، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (قالوا: -يعني: القائلين بوجوب الصلاة عليه- ولأن الأمر بالصلاة عليه في مقابلة إحسانه إلى الأمة، وتعليمهم، وإرشادهم، وهدايتهم، وما حصل لهم ببركته من سعادة الدنيا والآخرة، ومعلوم أن مقابلة مثل هذا النفع العظيم لا

اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

الشيخ:

قوله: (اعتقاد) هذا اللفظ مأخوذ من العقيدة:

والعقيدة في اللغة: مأخوذة من العقد، وهي: الشدُّ والرَّبطُ بِقُوَّةٍ. ومنها: العهد؛ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]. والتأكيد؛ يقال: عَقَدَ اليمين؛ بمعنى: أكَّدها، والحساب؛ يقال: يعقد بيمينه، أي: يحسب بها، والرَّبط؛ يقال: عقد الحبل أي: ربطه، وما يعتقده الإنسان ويدين به بقلبه، يقال: اعتقد كذا: إذا دان به، والصَّلابه؛ يقال: اعتقد الشيء؛ أي: صَلَّبَ^(١).

وأما معنى العقيدة في الاصطلاح: فلها ارتباط وثيق بمعناها اللغوي؛ من التأكيد والربط ونحوهما من المعاني، وقد عرَّفها العلماء بعدة تعريفات، من أشملها هو: التصديق الجازم فيما يجب لله تعالى من الألوهية والربوبية والأسماء والصفات وأمر المعاد وغيرها مما يجب على العبد الإيمان به^(٢). وقد أخبر النبي ﷺ بأنه سيكون افتراق، وستكون هناك فرقة ناجية، وقد

يحصل بالصلاة عليه مرة واحدة في العمر بل لو صلى العبد عليه بعدد أنفاسه لم يكن موفياً لحقه ولا مؤدياً لنعمته؛ فجعل ضابط شكر هذه النعمة بالصلاة عليه عند ذكر اسمه ﷺ) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام (ص: ٣٨٨).

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١/ ١٩٦)، الصحاح (٢/ ٥١٠)، معجم مقاييس اللغة (٤/ ٨٦)، لسان العرب (٣/ ٢٩٦)، تاج العروس للزبيدي (٨/ ٣٩٤).

(٢) انظر: الأسئلة والأجوبة في العقيدة لصالح الأطرم، (ص: ٧)، المفيد في مهمات التوحيد لعبد القادر صوفي، (ص: ٩).

دلت النصوص على ذلك^(١).

وقول المصنّف (الناجية المنصورة): أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، والناجية يعني: النجاة من عذاب الآخرة.

ويدل على أنها الناجية حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: «ألا إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قامَ فينا، فقال: «ألا إنَّ مَنْ قبلَكم من أهلِ الكتابِ افترقوا على ثَلاثينَ وسبعينَ مِلَّةً، وإن هذه المِلَّةَ ستفترقُ على ثلاثٍ وسبعينَ: ثَنتانِ وسبعونَ في النَّارِ، وواحدةٌ في الجنة، وهي الجماعة»^(٢).

والنبي ﷺ أخبرنا بذلك حتى نكون مع الفرقة الناجية، ونَحْذَرُ الفِرْقَةَ في الدِّينِ. وقد وَضَحَ النَّبِيُّ ﷺ المراد بالفرقة الناجية، وهم: الذين يكونون على الدِّينِ الذي عليه النبي ﷺ وأصحابه، كما أخبر النبي ﷺ بذلك لَمَّا سُئِلَ عن الفِرْقَةِ الناجية فقال: «ما أنا عليه وأَصْحَابِي»^(٣).

(١) سيأتي في آخر الشرح بيان ذلك.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب شرح السنة (ص: ٨٣٠) برقم (٤٥٩٧)، وأحمد في المسند (١٣٤/٢٨) برقم (١٦٩٣٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٧/١) برقم (٢)، والدارمي في مسنده (١٦٣٦/١) برقم (٢٥٦٠)، والآجري في الشريعة (٣١٤/١) برقم (٢٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٣٧٦/١٩)، والحاكم في المستدرک (٢١٨/١) برقم (٤٤٣)، وصححه ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣/٣٤٥)، وحَسَّنَهُ الألباني في صحيح سنن أبي داود (١١٦/٣) ومقبل الوادعي في الصحيح المسند من دلائل النبوة (ص: ٥٧٨).

وللمزيد: ينظر كتاب دفع المراء عن حديث الافتراق للدكتور حمد بن إبراهيم العثمان فقد ذكر طرق الحديث، وذكر أنَّ أكثر مِنْ خمسة عشر عالِمًا صَحَّحَ الحديث. انظر: (ص: ٤) من الكتاب المذكور.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (ص: ٥٩٥) برقم (٢٦٤١)، وابن وضاح في البدع (١٦٧/٢) برقم (٢٤٨)، والمروزي في السنة (ص: ٢٣) برقم (٥٩)، والآجري في الشريعة (٣٠٨/١) برقم (٢٤)، والطبراني في الكبير (٣٠/١٣)، والحاكم في المستدرک (٢١٨/١) برقم (٤٤٤)، وابن بطة في الإبانة (٣٦٥/١) وحَسَّنَهُ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٥٤).

فدين النبي ﷺ دينٌ كامل؛ كما قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ونحن مأمورون بأن نكون على الدين الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، بدلالة الكتاب والسنة والإجماع، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١) [النساء: ١١٥]، فمن يتبع غير سبيل المؤمنين فهو متوعدٌ بهذا الوعيد، فهو قد شاقَّ الله وشاقَّ النبي ﷺ.

ويدل على أنها المنصورة: قول النبي ﷺ: «لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون» (٢).

وقوله: «إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ» المقصود بالساعة أي مجيء الساعة، والساعة اسمٌ من أسماء يوم القيامة، وهي التي يكون فيها انتهاء الدنيا والانتقال إلى حياةٍ أخرى. (أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ): هنا صرح بأن الفرقة الناجية والفرقة المنصورة هم: أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وهذا اللفظ لفظٌ شرعي، أعني: السُّنَّةُ وَالْجَمَاعَةُ، والنبي ﷺ لما بين حصول الفرقة قال: «تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم» (٣).

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ - عن هذه الآية -: (قد شهد الله لأصحاب نبيه ﷺ ومن تبعهم بإحسان بالإيمان. فَعُلِمَ قَطْعًا أَنَّهُمُ المراد بالآية الكريمة) مجموع الفتاوى (٢/٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية، فأراهم انشقاق القمر (١١٢١/٣) برقم (٣٦٤٠)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» (ص: ٧٤٢) برقم (١٩٢١).

(٣) هذه جملة من حديث، أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (١١١٢/٣)

والسنة: لها عدة معان عند الفقهاء وعند الأصوليين وعند المحدثين.
ومعناها عند أهل العقيدة: أنها طريقة النبي ﷺ في الدين.

﴿ متى تسموا بأهل السنة والجماعة ﴾

الجواب: كان الصحابة في زمن النبي ﷺ يُسمون المسلمين، لكن لما ظهرت الفرق التي فارقت دين الصحابة وانتسبوا إلى غير السنة وإلى غير الجماعة، عند ذلك ظهر اسم أهل السنة والجماعة.

وأهل السنة والجماعة سمووا بذلك:

نسبة إلى السنة: وهي طريقة الرسول ﷺ التي يسير عليها من قول أو فعل أو تقرير.
ونسبة إلى الجماعة: وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين.



هُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْإِيمَانُ
بِالْقَدَرِ؛ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ

الشيخ:

أركان الإيمان جاءت بها أدلة كثيرة، ومن ذلك حديث جبريل المشهور لما سأل جبريل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: «أَنْ تَوْمَنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَوْمَنَ بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ»^(١).

وأركان الإيمان بيّنها النبي ﷺ وَوَضَّحَهَا غَايَةَ الْوُضُوحِ، وَهَنَّاكَ أَصُولٌ أُخْرَى تَابِعَةٌ لِهَذِهِ الْأَصُولِ وَمِنْ جُمْلَةِ تِلْكَ الْأَصُولِ: مُحَبَّةُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَمُحَبَّةُ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالتَّصَدِيقُ بِمُعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، وَسِتَاتِي جُمْلَةً مِنْ هَذِهِ الْأَصُولِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ الْمُبَارَكَةِ.

وَالْإِيمَانُ لُغَةً: مُصَدَّرٌ: آمَنَ يُؤْمِنُ إِيمَانًا، وَأَصْلٌ: آمَنَ: أَمِنَ، بِهِمَزَتَيْنِ فَخُفِّقَتِ الثَّانِيَةُ. وَأَصْلُ الْأَمْنِ هُوَ: طَمَئِينَةُ النَّفْسِ، وَأَنْ يَزُولَ عَنْهَا الْخَوْفُ. وَلِلْإِيمَانِ عِدَّةٌ مَعَانٍ فِي اللُّغَةِ مِنْهَا: التَّصَدِيقُ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (١٧) [يوسف: ١٧].

وَالْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ [المنافقون: ٣].
أَيُّ أَقْرَأُوا بِاللِّسَانِ وَكَفَرُوا بِالْقَلْبِ، وَالْخُضُوعُ، وَالثِّقَةُ، يُقَالُ: مُؤْتَمِنُ الْقَوْمِ: الَّذِي يَثِقُ بِهِ النَّاسُ^(٢).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإسلام والإيمان والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (ص: ٢٩) برقم (٨).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٥ / ٥١٣)، معجم مقاييس اللغة (١ / ١٣٣)، المفردات في غريب القرآن، (ص: ٢٥)،

والقول بأن معنى الإيمان في اللغة الإقرار والطمأنينة قد نصّره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ حيث قال: (الإيمان وإن كان يتضمّن التصديق فليس هو مجرد التصديق، وإنّما هو الإقرار والطمأنينة... فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة)^(١).

وعلّل ذلك رَحِمَهُ اللهُ بأن الإيمان ليس مرادفاً للتصديق في المعنى فقال رَحِمَهُ اللهُ: (فمن قال: السماء فوقنا. قيل له: صدق، كما يقال: كذب، وأما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن غائب، لم يوجد في الكلام أن من أخبر عن مشاهدة؛ كقوله: طلعت الشمس وغربت أنه يقال: آمناه. كما يقال: صدقناه؛ ولهذا المحدثون والشهود ونحوهم؛ يقال: صدّقناهم؛ وما يقال آمناً لهم؛ فإنّ الإيمان مشتقٌّ من الأمن)^(٢).
والإيمان شرعاً هو: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وقد يُعبّر عنه بتعبير صحيح أيضاً وهو قولهم: اعتقاد وقول وعمل، أو قول وعمل^(٣).

لسان العرب (١٣ / ٢١)، تاج العروس (٣٤ / ١٨٤).

(١) «الصارم المسلول على شاتم الرسول» لابن تيمية (٣ / ٩٦٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٧ / ٢٩١)، وانظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢ / ٢٢٩، ٢٣٠). وما ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ قول وجيه؛ (لأنّ الكلمة إذا كانت بمعنى الكلمة؛ فإنّها تتعدّى بتعديتها، ومعلوم أنّ التصديق يتعدّى بنفسه، والإيمان لا يتعدّى بنفسه؛ فتقول مثلاً: صدّقته، ولا تقول: آمنته، بل تقول: آمنت به. أو: آمنت له. فلا يمكن أن تُفسّر فعلاً لازماً لا يتعدّى إلّا بحرف الجر يفعل متعدياً ينصب المفعول به بنفسه).
«شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (٢ / ٢٣٠)، وانظر: شرح الطحاوية (ص ٣٢٢، ٣٢١).

(٣) انظر: الإيمان للقاسم بن سلام (ص: ١٠)، المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٦)، مجموع الفتاوى (٧ / ١٧٠)، الفوائد لابن القيم (ص: ١٥٥، ١٥٦).

فأما الدليل على قول اللسان، قوله تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى: ١٥].
وقال النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله...» الحديث^(١).
والدليل على اعتقاد القلب قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥]. وقوله ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه»^(٢).

والدليل على عمل الجوارح قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ومن جملة الإيمان هنا الصلاة، وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، وقال النبي ﷺ: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس»^(٣).

وقد تتابع العلماء في بيان هذا المعنى للإيمان، وذكره علماء أهل السنة في

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان (١ / ٣٢)، برقم (٢٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (ص: ٣٦) برقم (٢٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث (١ / ٥٩) برقم (٩٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان (١ / ٤١)، برقم (٥٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين، والدعاء إليه (ص: ٣٣) برقم (١٧).

وانظر المزيد من الأدلة على ذلك في كتاب (زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه) لعبد الرزاق العباد (ص: ٢٢ - ٢٤).

كتب الاعتقاد، بل نقل غير واحد الإجماع عليه.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: (وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم، أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة بالآخر)^(١). وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: (أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية)^(٢). فهذا هو تعريف الإيمان شرعاً عند عامة أهل السنة والجماعة.

❦ والإيمان بالله يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: هو إفراد الله بالربوبية؛ بأن تعتقد أن الله هو ربُّ كُلِّ شيءٍ وَخَالِقُهُ وهو مُوجِدُ هذا العالم لا رَبَّ سِوَاهُ.

الثاني: أن الله هو المعبود بحقَّ وَحْدَهُ لا معبود بحقِّ سِوَاهُ.

الثالث: أن تعتقد أن الله تعالى له الكمال وحده، ولا يشترك أَحَدٌ مَعَهُ في هذا الكمال كائناً مَنْ كان، فهو كَامِلٌ في أسمائه وصفاته وأفعاله، لا شبيه له ولا شريك له ولا نِدَّ له ولا مثيل.

❦ وملائكته:

الملائكة: جمع ملك. وأصله مَأْلَك، من الألوكة وهي الرسالة، قال تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١]، فَقَدِّمَتِ اللام فصارت: ملائِك، ثم تركت الهمزة لكثرة الاستعمال، فقليل: ملك بفتح اللام، وتجمع على ملائكة وملائك^(٣).

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (٣/ ٨٨٦، ٨٨٧)، وعزاه اللالكائي للشافعي في كتاب الأم ولم أجده.

(٢) «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» لابن عبد البر (٩/ ٢٣٨).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٣٧٠)، الصحاح (٤/ ١٦١١)، المفردات في غريب القرآن (ص: ٢١)، لسان

والإيمان بالملائكة هو: التصديق بوجود جُنْدٍ مِنْ جنود الله لا نراهم وهو يروننا، خُلِقُوا مِنْ نُورٍ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، وَأَنْهُمْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ وَأَنْهُمْ يَقُومُونَ بِوظائف أَمَرَهُمُ اللهُ بها؛ فَمِنْهُمْ مَلَكُ الْجِبَالِ، وَمِنْهُمْ مَلَكُ الْقَطْرِ، وَمِنْهُمْ الْمَوَكَّلُ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ وَغير ذلك.

وللملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وظائف وأعمال، كما جاءت النصوص بذلك، قال تعالى: ﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا ۚ فَالْزَجَرِ زَجْرًا ۚ﴾ [الصفات: ١، ٢]، أي: الملائكة، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّزَعَةِ زَعَا ۚ وَالنَّشِيطِ نَشْطًا ۚ وَالسَّيْحَةِ سَيْحًا ۚ﴾ [النزعات: ١ - ٥]، والمقصود بهذه الآية الملائكة في أحد القولين^(١).

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۚ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠، ١١].

وقال النبي ﷺ: «فناداني مَلَكُ الْجِبَالِ فسلم عليّ...» الحديث^(٢).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (وَكُلُّ حَرَكَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ حَرَكَاتِ الْأَفْلَاكِ وَالنُّجُومِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ فَهِيَ

العرب (١٠ / ٤٨١)، المصباح المنير للفيومي (١ / ١٨)، تاج العروس (٢٧ / ٣٥٤)، مجموع فتاوى ابن عثيمين (٨ / ٤٥).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧ / ٥)، (٨ / ٢٩٦، ٢٩٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم: آمين، والملائكة في السماء، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه (٢ / ٩٩٦)، برقم (٣٢٣١)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، (ص: ٦٩٥)، برقم (١٧٩٥).

نَاشِئَةً عَنِ الْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ^(١).

ويتضمن الإيمان بالملائكة عليهم السلام أربعة أمور وهي:

١- الإيمان بوجودهم.

٢- أن نؤمن بمن عَلِمْنَا اسمه مثل: جبريل وإسرافيل وميكائيل، ونؤمن إجمالاً بمن لم نعلم اسمه.

٣- أن نؤمن بما عَلِمْنَا من صفاتهم الخَلْقِيَّة، كما أخبر النبي ﷺ أنه رأى جبريل على صفته وله ستمائة جناح^(٢)، وصفاتهم الخَلْقِيَّة، قال الله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

٤- أن نؤمن بما عَلِمْنَا من أعمالهم، مثل جبريل فهو الذي ينزل بالوحي، وملك الموت الموكل بقبض الأرواح^(٣).

والملائكة يتفاضلون فعن رفاعه بن رافع الزُّرْقِي قال: (جاء جبريل إلى النبي ﷺ، فقال: ما تُعَدُّون أهل بدر فيكم؟ قال: «مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ». أو كلمةً نحوها، قال: وكذلك مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ)^(٤).

وهذا الحديث فيه التصريح بأن الملائكة الذين شهدوا بدرًا أفضل من غيرهم؛ ففيه تفاضل الملائكة.

(١) «إغاثة اللهفان» (٢/ ٨٤٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه غفر له ما تقدم من ذنبه (٢/ ٩٩٨)، برقم (٣٢٣٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى، (ص: ٨٤)، برقم (١٧٤).

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين (٥/ ١١٦، ١١٧).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا (٣/ ١٢١٩)، برقم (٣٩٩٥).

وجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ هو أفضل الملائكة، قال النبي ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نادى جبريل: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جبريل، فينادي جبريل في أهل السَّمَاء: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحِبُّوه، فَيُحِبُّهُ أهل السَّمَاء، ثُمَّ يوضع له القَبُول في أهل الأرض»^(١).
فهذه النصوص تُشعر بأفضلية جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ. قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: (هو أطيب الأرواح العلوية وأزكاها وأطهرها وأشرفها)^(٢).
وأيضاً ميكائيل وإسرافيل فهما من أفضل الملائكة؛ فقد جاء بذكرهما عدَّة نصوص، وقد كان النبي ﷺ يفتح صلاة اللَّيْلِ فيقول: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^(٣).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فذكر هؤلاء الثلاثة من الملائكة؛ لكمال اختصاصهم واصطفائهم وقُرْبهم من الله، وكم من مَلَكٍ غيرهم في السماوات، فلم يُسَمَّ إِلَّا هؤلاء الثلاثة)^(٤).

والملائكة كثيرون جداً، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، فلا يعلم عدد الملائكة وكثرتهم إِلَّا الله تعالى^(٥)، وقال النبي ﷺ: «فرع لي البيت

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب المَقَّة من الله (٤ / ١٩٠٨) برقم (٦٠٤٠). ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبداً حَبَّه إلى عباده، (ص: ٩٨٨) برقم (٢٦٣٧).

(٢) شفاء العليل (ص: ٢٢٤).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، (ص: ٢٧٤)، برقم (٧٧٠).

(٤) زاد المعاد (١ / ٤٤)، وانظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (١ / ٦٠).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٨ / ٢٧٠).

المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يُصَلِّي فيه كُلُّ يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم^(١).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أظن^(٢) السماء، وحق لها أن تَظنَّ ما فيها موضع أربع أصابع إلاّ وملك واضعُ جَبْهَتِهِ ساجداً لله...» الحديث^(٣).

فهذه النصوص تدلُّ على كثرتهم وأنَّه لا يحصيهم إلاّ الربُّ جَلَّ وَعَلَا الذي أحاط بكلِّ شيء علماً.

ومن المسائل التي تطرَّق لها العلماء: التفاضل بين الملائكة وصالحِي البشر. والقول بتفضيل بني آدم على الملائكة هو قول الجمهور، وقد نصَّ على ذلك غير واحد من الأئمة^(٤)، وهناك قول آخر لأهل السنة أيضاً وهو التفصيل فيقال: إنّ الملائكة أَفْضَلُ باعتبار البداية، والصالحون من البشر أَفْضَلُ باعتبار النِّهاية^(٥)، ودليل من يقول بتفضيل صالحِي بني آدم على الملائكة هو سجود الملائكة لآدم.

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٢/ ٩٩١) برقم (٣٢٠٧). ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات، (ص: ٨١)، برقم (١٦٤).

(٢) الأُطيط: صوت الأقتاب، والمقصود: كثرة الملائكة. انظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٥٤).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب في قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً»، (ص: ٥٢٣)، برقم (٢٣١٢)، وأحمد في المسند (٣٥/ ٤٠٥)، برقم (٢١٥١٦)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٥٩)، برقم (٢٥١)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ١٦٨)، برقم (١١٣٥)، والحاكم في المستدرک (٤/ ٦٢٣)، برقم (٨٧٢٦). وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٥٢٩).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٣٤٤)، بدائع الفوائد (١/ ٦٦).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٣٤٣)، بدائع الفوائد (٣/ ١٦٣)، مجموع فتاوى ابن عثيمين (١/ ٢٨١).

قال ابن عَبَّاسٍ عليه السلام: «ما خلق الله وما ذرأ نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وآله»^(١).
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (وما علمت عن أحد من الصحابة ما يخالف ذلك، وهذا هو المشهور عند المنتسبين إلى السُّنة من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم، وهو: أن الأنبياء والأولياء أفضل من الملائكة)^(٢).
وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (ومذهب أهل السُّنة أن صالحى البشر أفضل من الملائكة وإن كانت مادتهم نوراً ومادة البشر تراباً)^(٣).
﴿وكتبه:﴾

الإيمان بالكتب هو: التصديق الجازم بالكتب المنزلة من عند الله على رسله، وأنها كلامه تكلم بها وأنها حقٌ ونور^(٤).
والإيمان فيها يكون إيماناً إجمالياً وإيماناً تفصيلاً.
فالإيمان الإجمالي: أن نؤمن بأن الله أنزل الكتب على الرسل.
والإيمان التفصيلي: أن نؤمن بأسماء الكتب، فنؤمن أن إبراهيمَ أنزل عليه الصحف، وأن موسى عليه السَّلام أنزلت عليه التوراة، وأن عيسى عليه السَّلام أنزل عليه الإنجيل، وأن داود عليه السَّلام أنزل عليه الزبور، ونؤمن أن محمداً صلى الله عليه وآله أنزل عليه القرآن.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤ / ٩١)، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٦ / ١٨٠) برقم (٢٥٢٧)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١ / ٦٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥ / ٤٨٧)، وقال الهيثمي: (إسناده جيّد)، مجمع الزوائد (٧ / ٤٦).
(٢) مجموع الفتاوى (٤ / ٣٤٤).
(٣) الصواعق المرسلّة (٣ / ١٠٠٢، ١٠٠٣).
(٤) انظر: الجواب الصحيح (٣ / ٢٧٥).

قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال جلَّ وعَلَا: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾﴾ [آل عمران: ٣]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٣٣﴾﴾ [النساء: ٥٥]، والقرآن قد حفظه الله من التغير والتحريف، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾﴾ [الحجر: ٩] وأما التوراة والإنجيل فقد دخلهما التحريف^(١).

﴿ورسله﴾

اختلف العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ في حَدِّ الرسول والنبى اصطلاحًا على أقوال، من أشهرها قولان:

القول الأول: إِنَّ الرسول مَنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِشَرع وأُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ، والنبى: مَنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِشَرع ولم يؤمر بِتَبْلِيغِهِ^(٢).

القول الثاني: إِنَّ الرسول مَنْ أُرْسِلَ إِلَى قَوْمٍ مُخَالَفِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ، والنبى مَنْ أُرْسِلَ إِلَى قَوْمٍ مُوَافِقِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ^(٣).

وهذا التعريف اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ لأُمُور منها:

أ - قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيِّ﴾ [الحج: ٥٢]، فذكر

(١) قال الله تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦] والتحريف يكون (بتغيير اللفظ أو المعنى، أو هما جميعاً) تفسير السعدي (ص: ١٨١)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ -عن التوراة والإنجيل-: (ولكن جميعهم -يعني: المسلمين- متفقون على وقوع التبديل والتغير في كثير من معانيها، وكثير من أحكامها) الجواب الصحيح (٩/٣).

(٢) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ١١٧).

(٣) انظر: النبوات لابن تيمية (٢/ ٧١٤ - ٧١٧).

الله تعالى إرسالاً يعم النبي والرسول، فكلاهما مُرْسَل.

ب - قوله ﷺ: «عرضت عليَّ الأمم، فجعل يَمُرُّ النبيُّ معه الرَّجُلُ، والنبيُّ معه الرَّجُلان، والنبيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، والنبيُّ ليس مَعَهُ أَحَدٌ...» الحديث^(١). فهذا يدلُّ على أنَّ الأنبياء أرسلوا إلى أقوام معيَّنين.

ج - إِنَّ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الرُّسُلَ يُرْسَلُونَ إِلَى قَوْمٍ مُخَالِفِينَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنَّونَ﴾ [الذاريات: ٥٢]، وقوله تعالى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [فصلت: ٤٣].

ويدلُّ على أنَّ الأنبياء يُرْسَلُونَ إِلَى قَوْمٍ مُوَافِقِينَ قَوْلَهُ ﷺ: «العلماءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»^(٢). فَشَبَّهَ الْعُلَمَاءُ بِالْأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّهُمْ يَأْمُرُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُ حَقٌّ^(٣).

د - ومما يدلُّ على أنَّ النبي يُرْسَلُ إِلَى قَوْمٍ وَيَبْلُغُهُمْ وَحْيَ اللَّهِ، أَنَّ هَذَا هُوَ مُقْتَضَى مَعْنَى كَلِمَةِ نَبِيٍّ فَإِنَّ (مَعْنَى نَبِيٍّ: أَنْبَأَ عَنِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَمَعْنَى أَنْبَأَ عَنِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ الْإِرْسَالُ بِعَيْنِهِ)^(٤).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب: من لم يرق (٤ / ١٨٣٦)، برقم (٥٧٥٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (ص: ١٠٣) برقم (٢٢٠).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب في فضل العلم، (ص: ٦٥٥) برقم (٣٦٤١)، والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، (ص: ٦٠٤)، برقم (٢٦٨٢)، وابن ماجه، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، وأحمد في المسند (٣٦ / ٤٥)، برقم (٢١٧١)، والدارمي في المسند (١ / ٣٦١)، برقم (٣٥٤)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣ / ١٠)، برقم (٩٨٢)، وابن حبان في صحيحه (١ / ٢٨٩)، برقم (٨٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣ / ٢٢٠)، برقم (١٥٧٣)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١ / ١٦٠)، برقم (١٦٩)، وحسَّنه الألباني في التعليقات الحسان (١ / ٢٠٤).

(٣) انظر: النبوات (٢ / ٧١٤ - ٧١٨).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٤ / ٤٢٤).

وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً^(١).

والإيمان بالرسول هو: التصديق الجازم بأن الله أرسل الأنبياء والرسول مبشرين ومنذرين.

❦ والإيمان بالرسول يكون إيماناً إجمالياً وإيماناً تفصيلياً:

أما الإيمان التفصيلي: فنؤمن بمن ورد اسمه في القرآن أو في السنة، وأما الإيمان الإجمالي فنؤمن بهم جميعهم قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

ونؤمن أنهم يتفاضلون قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]، فهاتان الآيتان صريحتان في تفاضل الأنبياء والرسول^(٢).

ومِمَّا يَدُلُّ عَلَى تَفَاضُلِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَاهُمْ لَيْلَةَ الْمَعْرَاجِ مُتَفَاوِتِينَ كُلِّ مِنْهُمْ فِي سَمَاءٍ^{(٣)(٤)}.

والرسول أفضل من الأنبياء، ونقل غير واحد من العلماء الإجماع على أنَّ الرسول أَفْضَلُ من النبي، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (ولا خلاف أنَّ الرُّسُلَ أَفْضَلُ مِنْ بَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ)^(٥).

(١) انظر: أعلام الحديث للخطابي (١/ ٢٩٨)، مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٩٠).

(٢) انظر: تفسير السعدي، (ص: ١٠٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٢/ ٩٩١) برقم (٣٢٠٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات (ص: ٨١) برقم (١٦٤).

(٤) انظر الروح لابن قيم الجوزية، (ص: ١١٥)، الصواعق المرسلة الشهادية لسليمان بن سحمان، (ص: ٨٢).

(٥) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٨٧).

والنبي ﷺ هو أفضل الأنبياء والرُّسل بلا شك، فإنَّ الأدلَّة الدالَّة على أفضليته كثيرةٌ جدًّا، منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (٢) [الفتح: ١، ٢]، ومنها: حديث الشفاعة الطويل (١).

وقال ﷺ: «أنا سيِّد ولد آدم يوم القيامة، وأوَّل مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وأوَّل شافعٍ، وأوَّل مُشَفَّعٍ» (٢).

وأنه ﷺ أمَّ بالأنبياء بالصلاة في حادثة الإسراء فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فحانت الصلاة فأممتهم» (٣)، ولما ذكر الله عزَّ وجلَّ عددًا من الأنبياء في سور الأنعام قال بعدها: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَ﴾ [الأنعام: ٩٠]. قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فاهتدى بهدي الرسل قبله، وجمع كل كمال فيهم؛ فاجتمعت لديه فضائل وخصائص فاق بها جميع العالمين، وكان سيِّد المرسلين وإمام المتقين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وبهذا الملحظ استدَلَّ بهذه مَنْ استدلَّ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ) (٤).

- (١) هو حديث طويل وفيه: «فيأتون محمدًا فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، اشْفَعْ لنا إلى ربِّك ألا تترى إلى ما نحن فيه، فأنتلق فأتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربِّي عزَّ وجلَّ، ثُمَّ يفتح الله عليَّ مِنْ محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتح عليَّ أَحَدٌ قبلي، ثُمَّ يقال: يا مُحَمَّدُ ازْفَعْ رَأْسَكَ، سَلِّ نَعْطَهُ، وَاشْفَعْ تَشْفَعْ، فأرفع رأسي، فأقول: آمَنِي يا رَبِّ، آمَنِي يا رَبِّ» أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: قوله: ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (٢) (٣/ ١٤٥٨) برقم: (٤٧١٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (ص: ٩٥) برقم: (١٩٤).
- (٢) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، (ص: ٨٧٢)، برقم (٢٢٧٨).
- (٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال (ص: ٨٤)، برقم (١٧٢)، وانظر: طريق الهجرتين، (ص: ٣٥٠).
- (٤) «تفسير السعدي»، (ص: ٢٦٤).

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى بعد أن ذكر أولي العزم^(١) من الرسل: (ولا خلاف أن محمداً ﷺ أَفْضَلُهُمْ)^(٢).

﴿والبعث بعد الموت﴾

الإيمان بالبعث هو: التصديق الجازم بإخراج الموتى من قبورهم أحياء يوم القيامة؛ لفصل القضاء بينهم ومجازاتهم بأعمالهم.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [النباين: ٧]، وقال جل في علاه: ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٦].

﴿والإيمان بالقدر خيره وشره﴾

الإيمان بالقدر هو: التصديق الجازم بأن الله عليم مقادير كل شيء وأزمانها قبل وقوعها، وأنه كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأنه شاء وقدر، وأنه خلق كل شيء، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة أن للقضاء والقدر أربع مراتب وهي:
أ - العلم: بأن نؤمن بأن الله عنده علم جميع الأشياء، وأنه لا تخفى عليه خافية سبحانه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٦٢].

ب - الكتابة: أن نؤمن بأن الله كتب جميع الأشياء، فكل ما كان وما يكون مكتوب لديه سبحانه وتعالى، كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَاهَا إِنَّ

(١) هم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ. وقيل غير ذلك. انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٨٧)، (٧/ ٣٠٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٨٨)، وقد نقل الإجماع أيضاً القاضي عياض كما في الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٢٢٦).

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ [الحديد: ٢٢].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا اَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(١).

ج - المشيئة: أن نؤمن بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، قال الله تعالى: ﴿وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

د - الخلق: أن نؤمن بأن الله تعالى خالق كل شيء، فلا خالق غيره، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]^(٢).

وقد جمعها بعضهم فقال:
علمٌ كتابُهُ مولانا مشيئته
وخلقه وهو إيجاد وتكوين.



(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في القدر (ص: ٨٥٠) برقم (٤٧٠٠)، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ن (ص: ٧٥٢) برقم (٣٣١٩)، والطيالسي في مسنده (١ / ٤٧١) برقم (٥٧٨)، وأحمد في مسنده (٣٧ / ٣٧٨) برقم (٢٢٧٠٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١ / ٤٨) برقم (١٠٣)، والبخاري في مسنده (٧ / ١٣٧) برقم (٢٦٨٧)، والفريابي في القدر (ص: ٧٦) برقم (٧٢)، والدولابي في الكنى والأسماء (١ / ٣١٤) برقم (٥٥٥)، والشاشي في مسنده (٣ / ١٢٤) برقم (١١٩٢)، والطبراني في مسند الشاميين (١ / ٥٧) برقم (٥٨)، والآجري في الشريعة (١ / ٥١٤) برقم (١٨٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ٣٨٢) برقم (٢٠٨٧٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣ / ١٤٨).

(٢) انظر: شفاء العليل (ص: ٤٩)، التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة للسعدى (ص: ٧٥)، معارج القبول بشرح سلم الوصول لحافظ الحكمي (٣ / ١٠٨٦) وما بعدها.

وَمَنْ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ: الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ؛
مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ

﴿الْشَّيْخُ﴾:

توحيد الأسماء والصفات هو أشرف العلوم، لأن العلم يشرف بشرف معلومه.
ويتضح أهمية توحيد الأسماء والصفات: أن العلم بأسماء الله وصفاته يفتح
للعبد باب معرفة الله، فكلما زادت المعرفة بالأسماء والصفات؛ زادت المحبة
والخشية والخوف من الله تعالى.

والانحراف في باب الأسماء والصفات منكر عظيم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية
رَحِمَهُ اللهُ: (إنكار صفات الله أعظم إلحادًا في دين الرسل من إنكار معاد الأبدان، فإن
إثبات الصفات لله أخبرت به الرسل أعظم مما أخبرت بمعاد الأبدان) (١).

﴿مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ﴾:

التحريف في الصفات هو: تغيير ألفاظ الصفات أو معانيها.

وهو قسمان: تحريف لفظي، وتحريف معنوي.

مثال التحريف اللفظي: قول الجهمية في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى
تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، غَيَّرُوا الحركة في لفظ الجلالة فَقَالُوا: «وَكَلَّمَ اللَّهُ
مُوسَى» بنصب لفظ الجلالة، بحيث يكون موسى هو المتكلم.

ومثال التحريف المعنوي: قول أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة (٢) في قول الله

(١) درء التعارض (٥ / ٣٠٩).

(٢) المعتزلة: هم نفاة الصفات وهم الجهمية والمعتزلة، وصار كثير من العلماء يطلق التعطيل على من
ينكر بعض الصفات كالأشاعرة والماتريدية.

عَزَّجَلَّ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، فَسَّرُوا الاستواء بالاستيلاء، فقالوا: إِنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ؛ وتفسير الاستواء بالاستيلاء باطلٌ مِنْ وُجُوهِ سَيِّئَاتِي ذِكْرَهَا. ﴿وَلَا تَعْطِيلَ﴾

التعطيل في اللغة هو: الهجر والترك، ومنه قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَيُثِّرُ مُعْطَلَةً وَقَصْرٌ مَشِيدٌ﴾ [الحج: ٤٥].

والتعطيل في الاصطلاح هو: نفي أسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، وإنكار قيامها بذات الله تعالى^(١).
﴿والتعطيل ثلاثة أنواع﴾

النوع الأول: تعطيل الصانع عن صنعته وهذا ما يقول به الملاحدة؛ فَإِنَّهُمْ يَنْكُرُونَ أَنَّ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ خَلَقَ هَذَا الْعَالَمَ، وَأَنْكُرُوا أَنْ يَكُونَ لِلْكَوْنِ مُوْجِدٌ.
النوع الثاني: تعطيل الخالق عن استحقاقه للعبودية وهذا ما عليه المشركون، فَأَنْكُرُوا أَنَّ يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ.

النوع الثالث: تعطيل الله عن كماله المقدس بنفي الأسماء والصفات، وينقسم إلى قسمين:

■ الأول: تعطيل كلي. أي: إنكار الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة جميعها.

■ الثاني: تعطيل جزئي، وهو الإيمان بالأسماء ونفي الصفات، أو إثبات بعض الصفات وإنكار بعضها.

انظر: درء التعارض (٧/ ٣٩٦، ١٠/ ٣٠٦)، الصواعق المرسلة (٣/ ١١١٠).

(١) انظر: مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية للسلمان (ص: ٢٤).

﴿ وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ ﴾

والتكليف هو: تعيينُ كَيْفِيَّةٍ لَصِفَةٍ من صفات الله (١).

﴿ وَلَا تَمَثِيلٍ ﴾

والتمثيل: ذكر الصفة مَقَيَّدَةً بمماثل (٢).

والفرق بين التَّكْيِيفِ وَالتَّمَثِيلِ: أَنَّ التَّمَثِيلَ فيه ذِكْرُ الصِّفَةِ مَقَيَّدَةً بمماثل، وَأَمَّا

التكليف ففيه ذِكْرُ الصِّفَةِ بغير تقييد بمماثل.

والتمثيل نوعان:

أ - تمثيل المخلوق بالخالق: وهو إثباتُ شيءٍ للمخلوق مِمَّا اختَصَّ به الخالق، كِفْعَلِ النَّصَارَى الَّذِينَ أَلْهَوْا عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ب - تمثيل الخالق بالمخلوق: إثبات شيءٍ لله تعالى في ذاته أو صفاته مِمَّا هو من خصائص المخلوق، كتمثيل اليهود عندما وَصَفُوا رَبَّهُمْ بِالْعَجْزِ وَالْفَقْرِ وَالنَّدَمِ - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - .

والممثلُ يَعْبُدُ صَنَمًا، قال الإمام ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

لَسْنَا نُشَبِّهَ وَصْفَهُ بِصِفَاتِنَا إِنَّ الْمَشَبَّهَ عَابِدُ الْأَوْثَانِ (٣)

وهذه الأربعة: التَّحْرِيفُ وَالتَّعْطِيلُ وَالتَّكْيِيفُ وَالتَّمَثِيلُ حكمها حرام، بل إِنَّ التَّمَثِيلَ وَالتَّكْيِيفَ هو شركٌ بالله فمن قال: إِنَّ لله صفات كصفات المخلوقين فقد شَبَّهَ الله بِخَلْقِهِ؛ وَمَنْ شَبَّهَ الله بِخَلْقِهِ في صِفَةٍ مِنْ صفاته فقد أَشْرَكَ (٤).

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١ / ٩٧).

(٢) انظر: المصدر السابق (١ / ١١٢).

(٣) نونية ابن القيم (ص: ٢٠٢).

(٤) قال نعيم بن حَمَّاد: (من شَبَّهَ الله بِخَلْقِهِ فقد كَفَرَ) أخرجه الذهبي في العلو (ص: ١٧٢).

بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
[الشورى: ١١]

الشيخ:

في هذه الآية: جمع الله تعالى بين التنزيه والإثبات، ومعلوم أن توحيد الأسماء والصفات مبني على: التنزيه والإثبات.

فالتنزيه في هذه الآية في قول الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، والإثبات في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وطريقة أهل السنة والجماعة في باب أسماء الله وصفاته: أنهم يشبّون الله الصفات إثباتاً بلا تشبيه، وينزهون الله عن صفات النقص تنزيهاً بلا تعطيل.

والتعبير بنفي التمثيل أولى من التعبير بنفي التشبيه، لأن هذا الوارد في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ثم إن التمثيل يقتضي المساواة من كل وجه، بينما التشبيه يقتضي المساواة من وجه دون آخر^(١).

والإثبات عند أهل السنة والجماعة مبني على أصول:

أولاً: الإيمان بما ورد عن الله وعن رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، ويعتقدون أن الأسماء والصفات توقيفية؛ لا يجتهدون في وضع اسم أو صفة إلا بدليل من الكتاب أو السنة.

ثانياً: أنهم يشبّون معاني الصفات، إذ أن الله تعالى خاطب العرب بما يفهمون وبما يعرفون كما قال تعالى: ﴿يَلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، فمثلاً: قول

(١) انظر: الجواب الصحيح (٣/ ٤٤٤، ٤٤٥)، شرح الرسالة التدمرية للشارح (ص: ٣٢٣).

الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، فمفهوم المجيء ومعناه واضح عند العرب، وله معنى لا تُقْبَلُ بالله، وليس مجيء الله تعالى كمجيء المخلوقين، وهكذا في بقية الصفات.

ثالثاً: أن الإثبات يكون مفصلاً غالباً؛ لأن القرآن جاء بالتفصيل في الإثبات، فلا تكاد أن تأتي سورة إلا وفيها ذكر اسم من أسماء الله أو صفة من صفات الله^(١).

وقد يأتي الإثبات مجملاً وهو قليل في القرآن، مثل قول الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فهذا إثبات مجمل وليس فيه تعيين لصفة أو لاسم من الأسماء؛ ولكن الغالب في القرآن أن يأتي الإثبات مفصلاً، فيذكر فيه الاسم أو الصفة كقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ٥٨ ﴿لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ ٥٩ ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوِقَبَ بِهِ، ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ غَفُورٌ﴾ ٦٠ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ٦١ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ٦٢ ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ ٦٣ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ﴾ ٦٤ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ

(١) قال شيخ الإسلام: (والله سبحانه وتعالى بعث رسله بإثبات مفصل، ونفي مجمل، فأثبتوا له الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل، كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعَذَابِهِ﴾ هل تعلم له سميّاً؟)، قال أهل اللغة: ﴿هل تعلم له سميّاً؟﴾ أي نظيراً يستحق مثل اسمه، ويقال مُسَمِّياً يُسَامِيهِ. وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس: هل تعلم له مثلاً أو شبيهاً) التدمرية (ص ٨).

يَا نَاسِ لَرَأَوْفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ [الحج: ٥٨-٦٥] وأيضا في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

وغير ذلك من الآيات التي ذكر فيها الإثبات مفصلاً.

رابعا: قطع الطَّمَع عن إدراك كيفية صفات الله، فكيفية الصفات مجهولة لنا، كما قال الإمام مالك لما سُئِلَ عن قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥؟]، قال: (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة) ^(١).

قوله: (الاستواء معلوم) أي: معروف المعنى في لغة العرب (والكيف مجهول) لأن الله لم يُخبرنا عن كيفية صفاته (والإيمان به واجب) أي: الإيمان بالاستواء المعروف معناه في اللغة (والسؤال عنه بدعة) أي: السؤال عن كيفية الصفة. وَحَكَّمَ الإِمَامُ مَالِكٌ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ بِأَنَّهُ مُبْتَدِعٌ لِأَنَّهُ سَأَلَ عَنْ كَيْفِيَّةِ صِفَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُخْبِرْنَا اللَّهُ تَعَالَى وَلَا رَسُولُهُ ﷺ عَنْ كَيْفِيَّةِ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى.

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٥) برقم (٨٦٧)، وقال الذهبي - عن هذا الأثر -: (هذا ثابت عن مالك)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقول مالك من أنبل جواب وقع في هذه المسألة وأشدّه استيعابا؛ لأنّ فيه نبذ التكيف وإثبات الاستواء المعقول، وقد اتّمت أهل العلم بقوله واستجودوه واستحسنوه) شرح حديث النزول (ص ١٤٥).

وللفائدة انظر: الأثر المشهور عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صِفَةِ الْإِسْتِوَاءِ دراسة تحليلية، للدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.

وقد ذكر شيخ الإسلام اتِّفاق أهل السنة والجماعة على القول بهذا الأثر الوارد عن الإمام مالك^(١).

خامساً: أنهم يثبتون الصفات على وجه الكمال لله تعالى، وهي خاصة بالله عزَّ وجلَّ.
سادساً: أنهم يثبتون أسماء الله على أنها حُسنى؛ أي: بالغة في الحُسْن والجمال والكمال والعظمة والجلال.

❦ والتنزيه عند أهل السنة والجماعة مبنيٌّ على أصول:

أولاً: أن مفهوم التنزيه يأخذونه من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ.
ثانياً: أنهم ينزهون الله تعالى عن النقائص والعيوب^(٢)، سواء كان النقص متصلاً كالموت والعجز والسَّنة والنوم، أو كان منفصلاً كالشريك والصاحبة والظهير والولد والند.

ثالثاً: أن النفي يأتي - غالباً - مجملاً، فالله نزَّه نفسه في القرآن بتنزيه مجمل مثل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٣) [الإخلاص: ٤]. والمقصود بالإجمال: التعميم والإطلاق، والنفي المجمل: هو الذي لا يُتعرَّض فيه لنفي عيوب ونقائص معيَّنة^(٣).

(١) انظر: التسعينية (٢/ ٥٤٤).

(٢) (كل صفة نفاها الله تعالى عن نفسه فإنها متضمنة لشيئين: أحدهما: انتفاء تلك الصفة. الثاني: ثبوت كمال ضدها). تقريب التدمرية (ص: ٤٨).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (ومن أبلغ العلوم الضرورية أن الطريقة التي بعث الله بها أنبياءه ورسله، وأنزل بها كتابه مشتملة على الإثبات المفصل والنفي المجمل، كما يقرر ذلك في كتابه: علمه وقدرته وسمعه وبصره ومشيتته ورحمته وغير ذلك، ويقول في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾^(١٥)، ﴿لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾^(١٦) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ^(١٧) وعلى هذا أهل العلم والإيمان =

وقد يأتي النفي مفصلاً في كتاب الله ومعيناً فيه الصفة المنزّه عنها الله عزّ وجلّ^(١)، وهو قليل مثل: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ [آل عمران: ١٨١] وقوله تعالى: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ﴾ [المؤمنون: ٩١] وقوله تعالى: ﴿مَا أَخَذَ صَحْبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣].

رابعاً: أنهم لا يصفون الله تعالى بالنفي المحض؛ لأنّ النفي المحض عدَمٌ محض، والعدَم المحض ليس بشيء^(٢)، بل ينفون عن الله تعالى ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ ويثبتون كمال ضدّ الصفات المنفية، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]؛ فيثبتون كمال عدله، وقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهِ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ فيثبتون كمال حياته وقيوميته.



أتباع المرسلين من الأولين والآخرين). التسعينية (١/ ١٧٢، ١٧١).

(١) (يأتي التفصيل في الصفات المنفية لأسباب منها:

١- نفي ما ادّعاه في حقّه الكاذبون المفترّون كقوله تعالى: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَمَا كُنَّا مَعَهُ مِنْ إِلَهِ﴾ [المؤمنون: ٩١].

٢- دفع توهم نقص في كماله كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] تقريب التدمرية لابن عثيمين (ص: ٢٠، ١٩).

(٢) انظر: التدمرية لابن تيمية (ص: ٥٧).

فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا يُلْحَدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَآيَاتِهِ

﴿الشَّيْخُ:﴾

الإلحاد لغة: الميل والعدول.

اصطلاحًا: هو الميل في أسماء الله وصفاته عن حقائقها ومعانيها الصحيحة.

﴿أنواع الإلحاد في أسماء الله تعالى:﴾

أحدها: أن يسمي الأصنام بها كتسمية اللات من الإله، والعزى من العزيز^(١).

ثانيها: تسمية الله عَزَّوَجَلَّ بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أبًا، وتسمية الفلاسفة له موجبًا بذاته، أو علة فاعلة.

ثالثها: وصف الله عَزَّوَجَلَّ بما يتعالى عنه ويتقدَّس من النقائص، كقول اليهود: إِنَّهُ فَقِيرٌ، وقولهم: إِنَّهُ اسْتَرَاخَ بَعْدَ أَنْ خَلَقَ خَلْقَهُ، وكقولهم: يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، وأمثال ذلك.

رابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها؛ كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني.

خامسها: تشبيه صفات الله تعالى بصفات المخلوقين؛ تعالى الله عما يقول المشبهة علوًّا كبيرًا^(٢).



(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/٥٩٧).

(٢) بدائع الفوائد (١/١٦٩).

وَلَا يَكْفُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ، لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لَا سَمِيَّ لَهُ،
وَلَا كُفَّاءَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿الشرح﴾:

السمي: هو النظير. فالله لا نظير له يستحق أن يماثله في أسمائه أو في صفاته،
قال الله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (٦٥) [مريم: ٦٥] يعني: شبهًا ومثلاً^(١).
والكفو: النظير^(٢).

والند: هو الشبيه والنظير؛ فالله تعالى لا شبيه له يساويه في أسمائه أو في
صفاته.

﴿وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ﴾:

لا يقاس ولا يُشابه الله بالمخلوقين؛ لا في الذات ولا في الأسماء ولا في
الصفات.

﴿والقياس على أقسام﴾:

قياس تمثيل^(٣): وهذا الذي وقع فيه الممثلة والمشبهة. وهو محرّم بل شرك.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/٥٨٦).

(٢) انظر: تاج العروس (٣٩/٤٠٨).

(٣) عرفه شيخ الإسلام بأنه: (انتقال الذهن من حكم معيّن إلى حكم معيّن لاشتراكهما في ذلك المعنى
المشترك الكلي؛ لأن ذلك الحكم يلزم ذلك المشترك الكلي) الرد على المنطقيين (ص ١٢٠).
وقد بيّن شيخ الإسلام رحمه الله أن استعمال هذا القياس في حق الخالق شرك، قال رحمه الله: (أمّا ما يفعله
طوائف من أهل الكلام من إدخال الخالق والمخلوق تحت قياس شمولي أو تمثيل يتساويان فيه فهذا من
الشرك والعُدل بالله وهو من الظلم وهو ضرب الأمثال لله وهو من القياس والكلام الذي ذمّه السلف
وعابوه) بيان تلبيس الجهمية (٥/٨٢).

وقياس شمول^(١): واستعماله في صفات الله تعالى شرك^(٢).
 وقياس الأولي: وهو أن كُلَّ صِفَةٍ كمالٍ فالخالق أولي بها^(٣).
 فكلُّ صِفَةٍ كمالٍ صَحَّ أن يتصف بها المخلوق فالخالق أولي بها، لأنَّ الله هو
 الخالق وهو المستحقُّ للكمال وَحْدَهُ، وكُلُّ صِفَةٍ نَقْصٌ للمخلوق فالخالق أولي
 بالتنزيه عنها؛ قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]^(٤).



- (١) عرّفه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فقال: (انتقال الذهن من المعين إلى المعنى العام المشترك الكلي المتناول له ولغيره والحكم عليه بما يلزم المشترك الكلي) الرد على المنطقيين (ص: ١١٩).
- (٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٣ / ١٦٤).
- (٣) قال شيخ الإسلام: (فإنه سبحانه لا مثل له، وإنما يستعمل في حَقِّه من هذا وهذا قياس الأولي، مثل أن يقال: كل نقص ينزه عنه مخلوق من المخلوقات، فالخالق تعالى أولي بتنزيهه عنه، وكل كمال مطلق ثبت لموجود من الموجودات، فالخالق تعالى أولي بثبوت الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، لأنه سبحانه واجب الوجود، فوجوده أكمل من الوجود الممكن من كُلِّ وَجْه، ولأنَّه مُبْدِعُ الممكنات وخالقها، فكلُّ كمال لها فهو مِنْهُ وهو مُعْطِيهِ، والذي خلق الكمال وأبدعه وأعطاه أَحَقُّ بأن يكون له الكمال) درء التعارض (٧ / ٣٦٢) وانظر: الرد على المنطقيين (ص ١٥٠).
- (٤) انظر: تفسير الطبري (١٨ / ٤٨٨).

فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ؛ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلاً، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ
رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدِّقُونَ؛ بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ. وَلِهَذَا قَالَ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١)
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢) ﴿[الصفات: ١٨٠ - ١٨٢]، فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ
الْمُخَالَفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النِّقْصِ وَالْعَيْبِ

الشيخ:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٤٠]، فالله جَلَّ جَلَالُهُ هو أعلم
بنفسه، وهو كما وصف نفسه جَلَّ جَلَالُهُ، ووصفه رسوله ﷺ.

والعِزَّةُ هي: القوَّة والغلبة.

وقوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصفات: ١٨١]؛ أي: سلام الله عليهم
في الدنيا والآخرة؛ وذلك لسلامة ما قالوه في ربهم سبحانه^(١).
و﴿الْعَالَمِينَ﴾: جمع عالم، والعالم: ما سوى الله.



(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤٦/٧).

وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ: النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ؛ فَلَا عُذُولَ
لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ الْمُرْسَلُونَ، فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ،
صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ^(١)

﴿الشرح﴾:

﴿وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ: النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ﴾:

مذهب السلف مستنبط من الكتاب والسنة، وأنه مبني على أصليين:

الأصل الأول: الإثبات.

والأصل الثاني: التنزيه.

وشيخ الإسلام ذكر الأدلة من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله ﷺ على
الأسماء والصفات، ويبيِّن أنَّ تلك الأدلة إمَّا أن تكون أدلة إثبات للأسماء
والصفات، وإمَّا أن تكون أدلة تنزيه لله.

﴿فَلَا عُذُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ الْمُرْسَلُونَ، فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ﴾:

سبيل أهل السنة والجماعة والصديقين وأتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام
أنهم يؤمنون بما أخبر الله به عن نفسه وما أخبر به الرسول ﷺ، فالله أصدق حديثاً
وأعلم بنفسه من غيره، والنبى ﷺ هو أعلم الناس بالله، قال ﷺ: «إِنْ أَتَقَاكُمْ
وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا»^(٢).

(١) سيأتي التوسع في الكلام على هذه المفردات في آخر الكتاب.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ»، وأن المعرفة فعل القلب

لقول الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُوَازِئُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (١ / ٣١) برقم (٢٠).

وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ: مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسُهُ فِي (سُورَةِ الْإِخْلَاصِ) الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ^(١)، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ^(١) اللَّهُ الصَّمَدُ^(٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ^(٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ^(٤)﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]

الشيخ:

﴿قُلْ﴾: أي: يا رسول الله: ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: أي: واحد في أسمائه وواحد في صفاته وواحد في ذاته وواحد في أفعاله، لا نظير له ولا مثيل له ولا شريك له ولا ند له. ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾: الصَّمَد: من أسماء الله، وهو من تَصَمَّدَ نَحْوَهُ القلوب بالرَّغبة والرَّهبة وذلك لكثرة حصال الخير، وقال جمهور السلف: الصَّمَد السيد الذي كَمُلَ سُودُّهُ، والعالم الذي كَمُلَ عِلْمُهُ، والقادر الذي كَمَلَتْ قُدْرَتُهُ، والحكيم الذي كَمُلَ حُكْمُهُ، والرحيم الذي كَمَلَتْ رَحْمَتُهُ، والجواد الذي كَمُلَ جُودُهُ^(٢).
﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾: أي: ليس له والد ولا ولد.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾: أي مكافئ أو مماثل أو نظير.
وسورة الإخلاص تساوي ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ اشْتَمَلَ عَلَى ثَلَاثَةِ مَقَاصِدَ:

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (٣/١٦١٦) برقم (٥٠١٥) من حديث أبي سعيد الخدري، وأخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (ص: ٢٨٥) برقم (٨١١) من حديث أبي الدرداء.

(٢) انظر: الصواعق المرسله (٣/١٠٢٧)، وقال ابن تيمية: (والاسم «الصمد» فيه للسلف أقوال متعَدِّدة قد يُظَنُّ أنها مختلفة؛ وليس كذلك؛ بل كُلُّهَا صواب. والمشهور منها قولان: أحدهما: أَنَّ الصَّمَد هو الذي لا جوف له. والثاني: أَنَّهُ السَّيِّدُ الذي يصمد إليه في الحوائج والأوَّل هو قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين وطائفة من أهل اللغة. والثاني قول طائفة من السلف والخلف وجمهور اللُّغَوِيِّين) مجموع الفتاوى (١٧/٢١٥، ٢١٤).

أولاً: علوم الأحكام والشرائع.

ثانياً: علوم التوحيد.

ثالثاً: أخبار الرسل وأتباعهم ودعوتهم للتوحيد، وما يحصل للمؤمنين بهم، وما يحصل للمعاندين لهم في الدنيا والآخرة.

وسورة الإخلاص فيها علوم التوحيد وبالتالي فهي تعدُّ ثلث القرآن^(١).

﴿سُورَةُ الْإِخْلَاصِ قَدْ جَمَعَتْ أَنْوَاعَ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةِ:

توحيد الألوهية: في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

توحيد الربوبية وتوحيد والأسماء والصفات: في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَصَمُّ

[الإخلاص: ٢].

وفيها أيضاً ركنا توحيد الأسماء والصفات وهما: الإثبات والتنزيه^(٢).

(١) قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (وملاك النجاة والسعادة والفوز بتحقيق التوحيد اللذين عليهما مدارُّ كُتُبِ الله تعالى، وبحقيقتهما بعث الله سبحانه وتعالى رُسُلَهُ عليهم الصلاة والسلام وإليهما رغب الرُّسلُ صلوات الله وسلامه عليهم كُلُّهُمْ، مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ.

أحدهما: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمّن إثبات صفات الكمال لله تعالى، وتنزيهه فيها عن التشبيه والتّمثيل، وتنزيهه عن صفات النقص.

والتّوحيد الثّاني: عبادته وحده لا شريك له، وتجريد محبّته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكّل عليه والرّضى به ربّاً وإلهاً وولياً، وأن لا يجعل له عدلاً في شيء من الأشياء.

وقد جمع سبحانه وتعالى هذين النوعين من التوحيد في سورتي الإخلاص وهما: سورة ﴿قُلْ يَكْفُرُ أَفْئِدَتُهُنَّ﴾ المتضمنة للتوحيد العملي الإرادي، وسورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ المتضمنة للتوحيد الخبري العلمي اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن قيم الجوزية (٢/ ٩٤، ٩٣).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله -عن سورة الإخلاص-: (هذه السورة اشتملت على جميع أنواع التنزيه والتحميد على النفي والإثبات ولهذا كانت تعدل ثلث القرآن. فالصمدية تثبت الكمال المنافي للنقائص. والأحدية تثبت الانفراد بذلك) مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٥٢).

وكان النبي ﷺ يقرأ (سُورَةَ الْإِخْلَاصِ) فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ مِنْهَا^(١):
* الوتر^(٢).

* وفي ركعتي الفجر^(٣).

* وفي ركعتي الطواف^(٤).

* وراتبة المغرب^(٥).

* وعند النوم^(٦).

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي نُونِيَّتِهِ (ص: ٢٩٨) -وهو يتكلم عن مواضع قراءة سورة الإخلاص والكافرون-:

وكذلك سنة مغرب طرفان	ولذلك قد شرعاً بسنة فجرنا
تجريدك التوحيد للديان	ليكون مفتتح النهار وختمه
ختم السعي الليل بالآذان	وكذلك قد شرعاً بخاتم وترنا
ف وذاك تحقيق لهذا الشأن	وكذلك قد شرعاً بركعتي الطوا
يتفارقان وليس ينقصان	فهما إذا أخوان مصطحبان لا

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقرأ في الوتر (ص: ٢٤٥) برقم (١٤٢٤)، والترمذي، كتاب الوتر، باب ما جاء ما يقرأ في الوتر (ص: ١٢٣) برقم (٤٦٣)، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب ما جاء فيما يقرأ في الوتر (ص: ٢٠٩) برقم (١١٧٣) كلهم من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/٣٤٦).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليهما وتخفيفهما، والمحافظة عليهما، وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما (ص: ٢٥٨) برقم (٧٢٦).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ (ص: ٤٤٣) برقم (١٢١٨).

(٥) أخرجه النسائي، كتاب الافتتاح، باب القراءة في الركعتين بعد المغرب (ص: ١٦٣) برقم (٩٩٢)، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب ما جاء فيما يقرأ في الركعتين قبل الفجر (ص: ٢٠٥) برقم (١١٤٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (١/٣٢٥).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات (٣/١٦١٧) برقم (٥٠١٧).

وَسُورَةُ الْإِنْخِلَاصِ فِيهَا تَوْحِيدُ الْإِعْتِقَادِ؛ فَهِيَ أَخْلَصَتْ الْإِعْتِقَادَ لِلَّهِ، فَاللَّهُ هُوَ
الْأَحَدُ الْمَتَفَرِّدُ بِالْكَمَالِ الَّذِي لَهُ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ الْكَامِلَةُ الْعُلْيَا.



وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أي: لا يُكْرَهُهُ وَلَا يُثْقَلُهُ

الشيخ:

أعظم آية في كتاب الله تعالى هي آية الكرسي، ويدلُّ على ذلك حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قال: فضرب في صدري، وقال: «والله ليهنك العلم أبا المنذر»^(١).

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود بحق إلا الله، ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الحي: أي: الحي الدائم الباقي الذي له كمال الحياة، والذي لا سبيل للفناء عليه، والقيوم: هو القائم بنفسه المقيم لخلقه، ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ السَّنة: هي مقدَّمات النَّوم، والنَّوم: هو أقوى مِنَ النَّعاس وهو أخو الموت، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ الشَّفَاعَة هي: طلب الخير للغير، وسيأتي التفصيل فيها إن شاء الله. ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ في هذه الآية إثبات الكرسي لله، والكرسي

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي (ص: ٢٨٥) برقم (٨١٠)، وفي هذا الحديث دليل على تفاضل كلام الله تعالى، قال شيخ الإسلام: (لا ينقل عن أحد من السلف والأئمة أنه أنكر فضل كلام الله بعضه على بعض). مجموع الفتاوى (١٧/ ٧٤، ٧٣).

فَسَّرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ بِأَنَّهُ: (مَوْضِعُ قَدَمَيَّ الرَّبِّ) ^(١)، وَمَنِ الْمَعْلُومُ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لَا يَقُولُ بِرَأْيِهِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَقَوْلُهُ هُنَا بِمَنْزِلَةِ الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ ^(٢).
﴿وَلَا يَتُودُّهُ، حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فِيهِ إِثْبَاتُ الْعُلُوِّ لِلَّهِ؛
عُلُوُّ الذَّاتِ وَعُلُوُّ الْقَدْرِ وَعُلُوُّ الْقَهْرِ ^(٣).



-
- (١) أَخْرَجَهُ الدَّارِمِيُّ فِي النُّقْضِ عَلَى الْمُرَيْسِيِّ (٣٩٦/١)، وَعَبَدَ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدُ فِي السَّنَةِ (٣٠١/١)،
وَابْنُ خَزِيمَةَ فِي التَّوْحِيدِ (٢٤٨/١) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي مَخْتَصَرِ الْعُلُوِّ (ص: ١٠٢).
(٢) قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْكُرْسِيُّ» ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَإِجْمَاعُ جُمْهُورِ السَّلَفِ مَجْمُوعُ
الْفَتَاوَى (٥٨٤/٦).
(٣) انْظُرْ: مَخْتَصَرُ الصَّوَاغِقِ الْمُرْسَلَةِ لِلْمَوْصِلِيِّ (١٩٨/١).
وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ:

وَالْفَوْقُ أَنْوَاعٌ ثَلَاثٌ كُلُّهَا اللَّهُ ثَابِتٌ بِلَا نُكْرَانٍ

انْظُرْ: نَوْنِيَّةُ ابْنِ الْقَيْمِ (ص: ٧٥). وَسَيَأْتِي مَزِيدُ تَفْصِيلٍ لَصِفَةِ الْعُلُوِّ.

وَلَهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي لَيْلَةٍ؛ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ^(١)

﴿الشيخ﴾:

من فضائل هذه السورة أنها سبب لحفظ الله تعالى للعبد كما جاء في الحديث، وقد تضمنت آية الكرسي عددًا من الأسماء والصفات:

أما الأسماء فهي: الله، الحي، القيوم، العلي، العظيم.

وأما الصفات: فقد تضمنت آية الكرسي صفات كثيرة لله تعالى منها:

* خمس صفات تضمنتها الأسماء الخمسة وهي: الألوهية والحياة والقيومية والعلو والعظمة.

* السادسة: انفراد الله بالألوهية.

* السابعة: انتفاء السنّة والنوم في حقه لكمال حياته وقيوميته.

* الثامنة: عموم ملك الله.

* التاسعة: انفراد الله بالملك.

* العاشرة: قوة سلطان الله وكماله، مأخوذ من قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي

يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

* الحادية عشرة: إثبات العندية لله.

* الثانية عشرة: إثبات الإذن من قوله: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

* الثالث عشرة: عموم علم الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

(١) وهذا الحديث جزء من قصة أبي هريرة رضي الله عنه مع الشيطان، وقد أخرجها البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلا، فترك الوكيل شيئاً فأجازاه الموكل فهو جائز، وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز (٢/ ٦٨٧) برقم (٢٣١١).

* الرابع عشرة: أن الله لا ينسى ما مضى لقول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

* الخامس عشرة: أن الله لا تخفى عليه الأمور المستقبلية لقوله عزَّجَلَّ: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

* السادس عشرة: كمال عظمة الله لعجز الخلق عن الإحاطة به.

* السابع عشرة: إثبات المشيئة لله في قوله عزَّجَلَّ: ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

* الثامن عشرة: إثبات الكرسي وهو موضع القدمين لله.

* التاسع عشرة والعشرون: إثبات القوة والقدرة لقول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، لأن عظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق، فإذا كانت السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مخلوقاتٍ عظيمة فتدل على عظمة خالقها وقوته وقدرته.

ومما يدل على عظمة العرش والكرسي قوله ﷺ: «ما السماوات السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة»^(١).

والاسم الأعظم هو في آية الكرسي وهو قوله: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(٢)؛ فهذان الاسمان هما الاسم الأعظم^(٣)، وينبغي للإنسان في دعائه أن يتوسَّلَ بهما فيقول:

(١) أخرجه محمد بن أبي شيبة في العرش (ص: ٤٣٢) برقم (٥٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/٦٤٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٣٠٠) برقم (٨٦٢) وصَحَّحَهُ الألباني في السُّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ (١/٢٢٦).

(٢) في آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وفي آل عمران: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢] وفي طه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]. انظر: شرح مشكل الآثار (١/١٦٣).

(٣) يشير الشيخ الشارح -وفقه الله- إلى ما جاء في حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اسم الله الأعظم في

«يا حيُّ يا قيُّوم» ثم يسأل مسأَلته فهذان الاسمان فيهما الكمال الذاتي والكمال السلطاني^(١).

فالذاتي في قوله: ﴿الْحَيُّ﴾، والسلطاني في قوله: ﴿الْقَيُّومُ﴾.
وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقوم على كل شيء، ويقوم به كل شيء من مخلوقاته.



ثلاث سُور: البقرة وآل عمران وطه» أخرجه ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم (ص: ٦٣٥) برقم (٣٨٥٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ١٦٢) برقم (١٧٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢١٥)، والحاكم في المستدرک (١/ ٦٨٤) برقم (١٨٦١)، وتَمَّام في فوائده (١/ ٩٧) برقم (٢٢١) وحَسَنَ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٣٧٢).

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (إذا ناجى رَبَّهُ في السَّحَر واستغاث به وقال: يا حيُّ يا قيُّوم لا إله إلا أَنْتَ برحمتك أَسْتَغِيث: أعطاه الله من التَّمَكِين ما لا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٤٢). وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (والمقصود أَنَّ لاسم الحيِّ القيُّوم تأثيراً خاصاً في إجابة الدَّعَوَات، وكشف الكُرْبَات) زاد المعاد (٤/ ١٨٨).

وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْإِلَهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وَقَوْلِهِ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

﴿الْبَاطِنُ﴾:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْإِلَهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾: فيه إثبات صفة الحياة لله تعالى، وتنزيه الله تعالى عن الموت، وجميع الملل متفقون على إثبات صفة الحياة لله تعالى^(١).
﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: نأخذ من هذه الآية إثبات هذه الأسماء لله تعالى وما تضمنته من صفات، وهذه الأسماء الأربعة قد فسرها النبي ﷺ:

فَالْأَوَّلُ: الذي ليس قبله شيء.

وَالْآخِرُ: الذي ليس بعده شيء.

وَالظَّاهِرُ: الذي ليس فوقه شيء.

وَالْبَاطِنُ: الذي ليس دونه شيء^(٢).

وَيُشْتَقُّ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ صِفَاتُ اللَّهِ تَعَالَى.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وَأَمَّا أَهْلُ الْمَلِكِ فَمُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) الصفدية (١/ ١٢٧).

(٢) روى الإمام مسلم في صحيحه (ص ١٠١٥) برقم (٢٧١٣): عن سهيل قال: كان أبو صالح يأمرنا، إذا أراد أحدنا أن ينام، أن يضطجع على شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ» وكان يروي ذلك عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.

وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحریم: ٢]، وهو: ﴿الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحریم: ٣].

﴿الشیخ﴾:

﴿الحکیم له معنیان﴾:

* المعنى الأول: الْمُحْكِم؛ أي المتقن لجميع الأشياء فجميع المخلوقات خلقها الله وأتقن خلقها.

* المعنى الثاني: الحاكم بين خلقه بأمره الكوني وأمره الشرعي.

وحكم الله نوعان: شرعي، وكوني.

فالكوني: ما يقضي الله به تقديرًا وخلقًا.

والشرعي: ما يقضي به الله شرعًا من الأوامر والنواهي والشرائع.

واسم الحكيم من أسماء الله تعالى الثابتة له بالكتاب والسنة، ويشق من هذا

الاسم صفة الحكمة لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل

عمران: ٦]، وقال جلّ في علاه: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، والآيات في إثبات

هذا الاسم كثيرة جدًا، ومن الأذكار التي علّمها النبي ﷺ للأعرابي أن يقول: «لا

حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم»^(١). وصفة الحكمة ثابتة لله تعالى بالإجماع^(٢).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وهو الحكيم وذاك من أوصافه نوعان أيضًا ما هما عدمان

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (ص: ١٠١٠)

برقم (٢٦٩٦).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (أجمع المسلمون على أن الله تعالى موصوفٌ بالحكمة) منهاج

السنة النبوية (١/ ١٤١) وانظر: مجموع الفتاوى (٤/ ١٩٢).

حُكْمٌ وَإِحْكَامٌ فَكُلٌّ مِنْهُمَا نوعان أيضاً ثابتا البرهان^(١)

وهذه الصفة: أعني: - صفة الحكمة - قد خالف فيها المتكلمون من عِدَّة جهات: **الجهة الأولى:** إطلاق لفظ (الغرض)؛ وهذا اللفظ لم يأت إطلاقه في الكتاب والسنة على الله تعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (وأما لفظ الغرض فالمعتزلة تصرّح به... وأما الفقهاء ونحوهم فهذا اللَّفْظُ يُشْعِرُ عندهم بنوع من النَّقص: إمَّا ظلم وإمَّا حاجة... فعبر أهل السنة بلفظ الحكمة والرَّحمة والإرادة ونحو ذلك ممَّا جاء به النصُّ)^(٢).

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عن هذا اللفظ: (وهذا اللفظ بدعيٌّ لم يرد به كتاب ولا سُنَّة، ولا أطلقه أحدٌ مِنْ أئمة الإسلام وأتباعهم على الله)^(٣).

الجهة الثانية: أنهم يقولون أن إثبات الحكمة يستلزم استكمالها - تعالى - بغيره، **والجواب** أن يقال: أن هذا غلط، لأن الحكمة - كما قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ -: (تتضمن شيئين: أحدهما: حكمة تعود إليه يحبها ويرضاها. والثاني: إلى عباده، هي نعمة عليهم يفرحون بها ويتلذذون بها، وهذا في المأمورات وفي المخلوقات)^(٤).

والحكمة صفةٌ مِنْ صفات الله تعالى، ليست مخلوقة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ كما في الحديث القدسي: «يا عبادي إِنَّكُمْ لَن تَبْلُغُوا ضُرِّي فتَضُرُّوني، وَلَن تَبْلُغُوا نَفْعِي فتَنْفَعُونِي»^(٥)، والله هو الغني سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإثبات الحكمة لله تعالى، لا

(١) نونية ابن القيم (ص: ٢٠٥).

(٢) منهاج السنة النبوية (١/ ٤٥٥).

(٣) مفتاح دار السعادة (٢/ ٤٥٠).

(٤) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٥، ٣٦)، وانظر: النبوات (١/ ٤٤٠)، وما بعدها.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (ص: ٩٧٢) برقم (٢٥٧٧).

يَلْزَمُ منه أن يكون مستكملاً بغيره لأُمُور:

أ - أنا لا نعقل في الشاهد فاعلاً إلا مستكملاً بفعله.

ب - أن من الكمال، أن يكون لا يزال قادراً على الفعل بحكمة.

ج - أن ذلك إنما حصل بقدرته ومشيئته لا شريك له في ذلك، فلم يكن في ذلك محتاجاً إلى غيره، وإذا قيل كمل بفعله الذي لا يحتاج فيه إلى غيره، كان كما لو قيل كمل بصفاته أو كمل بذاته.

د - أن قول القائل: كان قبل ذلك ناقصاً، إن أراد به عدم ما تجدد فلا نُسَلِّمُ أَنَّ عَدَمَهُ قَبْلَ الْوَقْتِ الذي اقتضت الحكمة وجوده فيه يكون نقصاً، وإن أراد بكونه ناقصاً معنى غير ذلك فهو ممنوع، بل يقال عَدَمُ الشَّيْءِ في الْوَقْتِ الذي لم تقتض الحكمة وجوده فيه من الكمال؛ كما أَنَّ وجوده في وقت اقتضاء الحكمة وجوده فيه كمال. فليس عَدَمُ كُلِّ شَيْءٍ نَقْصاً بل عدم ما يصلح وجوده هو النِّقْصُ؛ كما أَنَّ وجود ما لا يصلح وجوده نَقْصٌ، فتَبَيَّنَ أَنَّ وجود هذه الأمور حين اقتضت الحكمة عَدَمَهَا هو النِّقْصُ لا أَنَّ عَدَمَهَا هو النِّقْصُ.

هـ - أنا إذا قَدَّرْنَا من يَقْدِرُ على إحداث الحوادث لحكمة، ومن لا يقدر على ذلك، كان معلوماً ببدئية العقل أَنَّ القادر على ذلك أَكْمَلُ^(١).

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (الحكمة صفته سبحانه، وصفاته ليست غيراً له، فإن حكمته قائمة به، وهو الحكيم الذي له الحكمة، كما أنه العليم الذي له العلم، والسميع الذي له السمع، والبصير الذي له البصر، فثبوت حكمته لا يستلزم استكمالها بغير منفصل عنه، كما أَنَّ كماله سبحانه بصفاته وهو لم

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ١٤٧، ١٤٦)، بتصرف يسير، وانظر: شرح الأصبهانية (ص: ٤١١) وما بعدها.

يَسْتَفِدُّهَا مِنْ غَيْرِهِ^(١).

وحقيقة هذا القول - وهو إنكار تعليل أفعال الله تعالى - هو قول الجهمية، الذين ذَمُّهُمُ السَّلَفُ أَشَدَّ الذَّمِّ^(٢).

الجهة الثالثة: أنهم يقولون - أعني المتكلمين -: إِنَّ فِعْلَهُ لَا يَكُونُ لِمَنْفَعَةٍ رَاجِعَةً إِلَيْهِ وَلَا إِلَى غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى إِيْصَالِ الْمَنْفَعَةِ إِلَى الْغَيْرِ مِنْ غَيْرِ وَاسْطَةِ الْعَمَلِ. فَالْجَوَابُ مَا يَلِي: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا حَكِيمٌ، لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِمَا فِيهِ مَنْفَعَةٌ وَمَصْلَحَةٌ، وَالْفِعْلُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مَنْفَعَةٌ تَعُودُ عَلَى الْفَاعِلِ إِنَّمَا هُوَ نَوْعٌ مِنَ الْعَبَثِ، (ولهذا لم يأمر الله تعالى ولا رسوله ﷺ ولا أحد من العقلاء أحدًا بالإحسان إلى غيره ونفعه ونحو ذلك إلا لما له في ذلك من المنفعة والمصلحة، وإلا فأمر الفاعل بفعل لا يعود إليه منه لَذَّةٌ ولا سرور، ولا منفعة ولا فرح بَوَاجِهٍ مِنَ الْوُجُوهِ لَا فِي الْعَاجِلِ وَلَا فِي الْآجِلِ لَا يَسْتَحْسِنُ مِنَ الْآمِرِ)^(٣).

وقول المتكلمين: إِنَّ فِعْلَهُ لَا يَكُونُ لِمَنْفَعَةٍ رَاجِعَةً إِلَيْهِ، إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مُجْمَلٌ، فَإِنَّهُ إِنْ أُريدَ بِالْمَنْفَعَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُحْتَاجٌ إِلَى خَلْقِهِ فَفَنَفِي الْمَنْفَعَةِ هُنَا صَحِيحٌ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْغَنِيُّ، وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي»^(٤)، وَإِنْ أُريدَ بِالْمَنْفَعَةِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ، وَأَنَّهُ يَجْعَلُ الْعِبَادَ يَفْعَلُونَ مَا يَفْرَحُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَفَنَفِي الْمَنْفَعَةِ هُنَا بَاطِلٌ^(٥).

(١) شفاء العليل (ص: ٢٠٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨ / ٣٨، ١٧ / ١٨٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٨ / ٩٠).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) انظر النبوات (١ / ٤٤٤، ٤٤٥)، وهذه المسألة عظيمة جدًا تستحق الإطالة والتفصيل، قال شيخ

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبا: ٢].
 ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].
 ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [فاطر: ١١].
 وقوله: ﴿لَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

📌 الشَّيْخُ:

في هذه الآيات إثبات صفة العلم لله تعالى، وهي صفة ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة والإجماع.
 أمّا من الكتاب: فالأدلة على صفة العلم من كتاب الله تعالى كثيرة وقد ساق المؤلف رحمه الله طرّفًا منها.
 وأمّا من السنة: فقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ»^(١).
 وأمّا الإجماع فقد نقل غير واحد من العلماء الإجماع على إثبات صفة العلم لله تعالى^(٢).

الإسلام رحمه الله: (هذه المسألة كبيرة، من أجل المسائل الكبار التي تكلم فيها الناس وأعظمها شعوبًا وفروعًا، وأكثرها شبهًا ومحارات؛ فإن لها تعلقًا بصفات الله تعالى وبأسمائه وأفعاله، وأحكامه من الأمر والنهي والوعد والوعيد، وهي داخلة في خلقه وأمره، فكل ما في الوجود متعلق بهذه المسألة) مجموع الفتاوى (٨ / ٨١)، وانظر أيضًا: (٨ / ٩٧).

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿وَيَذَرُوهَا عَنْهَا الْعَذَابُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْبِيعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾^(٨).
 (٣ / ١٤٨٣) برقم (٤٧٤٧). وهو جزء من حديث في باب اللعان.

(٢) قال شيخ الإسلام: (من المعلوم باتفاق المسلمين أن الله حيّ حقيقةً علميّ حقيقةً) مجموع الفتاوى

وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

فهذه الآية العظيمة مِنْ أعظم الآيات تفصيلاً لِعِلْمِهِ المحيط بجميع الأشياء وكتابه المحيط بجميع الحوادث، وِعِلْمِهِ الكامل بالغيوب كُلِّهَا التي يُطْلَع على ما شاء منها مَنْ شاء مِنْ خَلْقِهِ، وكثيرٌ منها طَوَّى عِلْمَهُ عن الملائكة والمرسلين فضلاً عن غيرهم مِنَ العالمين.

وأنه يعلم ما في البراري والقفار، من الحيوانات والأشجار، والرَّمَال والحصى والتراب، وما في البحار من حيوانات ومعادن وغير ذلك مما تحتويه أرجاؤها، ويشتمل عليه ماؤها، كُلٌّ عنده في كتاب مبين، أي: في اللوح المحفوظ، وهذا دليلٌ على عظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولو أَنَّ الخلق اجتمعوا كُلُّهُمْ على أن يحيطوا ببعض صفاته لم يكن لهم قُدْرَةٌ ولا طاقةٌ على ذلك.



وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

الشيخ:

في هذه الآية إثبات اسم الرزاق لله تعالى، كما تضمنت الآية إثبات صفة الرِّزْق والقُوَّة لله تعالى، ويرى أهل السنة أنه لا رَزَّاق إلا الله تعالى سواء كان الرِّزْق حلالاً أو حراماً^(١).

وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣]، وقال عزَّ وجلَّ أيضاً: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود: ٦] فكلُّ رزق يرزقه الخلق إنما هو من الله تعالى، والرِّزْق مِنْ أَحْصَ خصائص الربوبية، وإذا لا خالق إلا الله ولا رَبَّ غَيْرُهُ؛ فلا رازق غَيْرُهُ.

والرِّزْقُ نَوْعَانِ: عامٌّ، وخاصٌّ.

(١) انظر: اعتقاد أئمة الحديث لأبي بكر الإسماعيلي (ص: ٧٧) وقال شيخ الإسلام: (لفظ «الرِّزْق» يراد به ما أباحه الله تعالى للعبد ومَلَكَهُ إِيَّاهُ، ويراد به ما يَتَغَدَّى به العبد.

فالأوَّل: كقوله: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [المنافقون: ١٠]، ﴿وَمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقْنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣]، فهذا الرِّزْق هو الحلال والمملوك لا يدخل فيه الخمر والحرام.

والثَّاني: كقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، والله تعالى يرزق البهائم ولا توصف بأنها تملك ولا بأنه أباح الله ذلك لها إباحة شرعية؛ فإنه لا تكليف على البهائم - وكذلك الأطفال والمجانين - لكن ليس بمملوكٍ لها وليس بمُحَرَّمٍ عليها، وإنما المحرم بعض الذي يَتَغَدَّى به العبد وهو من الرِّزْق الذي عَلِمَ الله أنه يَتَغَدَّى به وقَدَّرَ ذلك بخلاف ما أباحه ومَلَكَهُ) مجموع الفتاوى (٨/ ٥٤٥).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كما في نونيته (ص: ٢١١):

هذا يكون من الحلال كما يكو ن من الحرام كلاهما رزقان

فالعالم: ما يقوم به البدن من طعام وشراب وغيره، وهذا شاملٌ لكلِّ
المخلوقات سواء الإنسان أو الحيوان، أو المسلم أو الكافر.



وَقَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى: ١١]. ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٥٨) [النساء: ٥٨].

الشرح:

والخاص: هو ما يكون به صلاح العبد وصلاح قلبه وهذا لا يكون إلا للمؤمن^(١).
 ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١): في هذه الآية تنزيه مجمل وإثبات مفصل، فالتنزيه المجمل في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، والإثبات المفصل في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١)، فيه إثبات صفة السمع وصفة البصر وهو: سمع وبصر لائق بالله وهاتان الصفتان من الصفات الذاتية.

وصفتا السمع والبصر ثابتتان بالكتاب والسنة والإجماع.

أما من الكتاب فالآيات التي ذكرها المصنف.

ومن السنة - في صفة السمع - قوله ﷺ: «يسمع الله لكم»^(٢).

وفي صفة البصر قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفَضُ

(١) نونية ابن القيم (ص: ٢١١).

والرزق من أفعاله نوعان

وكذلك الرزاق من أسمائه

نوعان أيضاً أذان معروفان

رزق على يد عبده ورسوله

والرزق المعاد لهذه الأبدان

رزق القلوب العلم والإيمان

رزاقه والفضل للمنان

هذا هو الرزق الحلال وربنا

تلك المجاري سؤقه بوزان

والثان سؤوق القوت للأعضاء في

(٢) جزء من حديث طويل رواه الإمام مسلم في صحيحه برقم (٤٠٤). وجاء في بعض ألفاظ الصحيحين:

(سمع الله لمن حمده) رواه البخاري برقم (٧٨٩) ومسلم برقم (٣٩٢).

الْقِسْطُ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ - وفي رواية: النَّارُ - لو كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتِ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»^(١).

وقد أجمع أهل العلم على إثبات هاتين الصفتين لله تعالى على الحقيقة^(٢).



(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله عَلَيْهِ السَّلَام: إِنْ اللَّهُ لَا يَنَامُ، وفي قوله حِجَابُهُ نُّورٌ (ص: ٨٦) برقم (١٧٩).

(٢) وقد نقل الإجماع الأشعري في كتابه رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (ص: ١١٨)، وابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٥/ ١٩٦).

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]. وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُبْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].

وَقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

الشيخ:

في هذه الآيات إثبات المشيئة والإرادة لله تعالى، والفرق بين الإرادة الكونية والشرعية: هو أن الإرادة الكونية لا بُدَّ أن تقع ولكنها ليست بالضرورية محبوبة لله، بل قد يراد أمرٌ هو مكروه لله كالكفر. وأمَّا الإرادة الشرعية: فإنها متعلقة بالمحسوب لله تعالى وإن كان لم يقع.

فالإرادة الشرعية أقرب لمعنى المحبة، والإرادة الكونية أقرب لمعنى المشيئة^(١).

والكونية واقعة لا محالة، والشرعية محبوبةٌ إلا أنها قد لا تقع^(٢).

(١) قال شيخ الإسلام: (لفظ «الإرادة» مجمل له معنيان: فيقصد به: المشيئة لما خلقه، ويقصد به: المحبة والرضا لما أمر به) مجموع الفتاوى (٨/ ١٥٩)، وقال أيضا: (وَأَمَّا السَّلَفُ وَأَتْبَاعُهُمْ: فَيَفْرُقُونَ بَيْنَ الْمَشِيئَةِ وَالْمَحَبَّةِ. وَأَمَّا الْإِرَادَةُ: فَتَكُونُ تَارَةً بِمَعْنَى الْمَشِيئَةِ، وَتَارَةً بِمَعْنَى الْمَحَبَّةِ) منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٦٠).

(٢) سيأتي الكلام على الإرادة والمشيئة مفصلاً.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]. ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]. ﴿فَمَا اسْتَقَمُّوْا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا هُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:
 ٢٢٢]: ﴿سَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ
 يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بُلَيْنٌ مَّرْضُوضٌ﴾ [الصف: ٤]. ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ
 تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].
 وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

الشيخ:

المحبة هي صفة فعلية ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، أمّا من الكتاب فهي
 الآيات التي ساقها المصنّف رحمه الله.
 وأمّا من السنة فالأدلة عليها كثيرة كما في قوله ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى
 جبريل: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ» الحديث^(١).

وأما الإجماع: فقد قال شيخ الإسلام: (والذي دل عليه الكتاب والسنة
 واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها.. أن الله يُحِبُّ وَيُحَبُّ)^(٢).
 وهي واقعة تحت مشيئة الله، فالله يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ
 الْمُتَطَهِّرِينَ وَيُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُحِبُّ وَيُحَبُّ، كما قال جَلَّ جَلَالُهُ:

- (١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٢/ ٩٩٣) برقم (٣٢٠٩) ومسلم، كتاب البر
 والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدا، حَبَّه إِلَى عِبَادِهِ (ص: ٩٨٨) برقم (٢٦٣٧).
 (٢) الاستقامة لابن تيمية (٢/ ١٠٢) وقال شيخ الإسلام: (أَوَّلُ مَنْ أَنْكَرَ الْمَحَبَّةَ فِي الْإِسْلَامِ الْجَعْدُ بْنُ
 دُرْهَمٍ) الاستقامة (٢/ ١٠١).

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقد نفى المعطلة هذه الصفة فزعموا أنَّ معناها الإرادة أي: إرادة الرضى، وهذا تفسيرٌ باللازم، وهو خلاف ظاهر الدليل من الكتاب والسنة، وخلاف اللغة العربية، فإن اللغة العربية لا تُفسَّر المحبة بالإرادة^(١)، وخلاف إجماع الصَّحابة والتابعين، وكل هذه الآيات التي ذكرها المصنّف رَحِمَهُ اللهُ فيها إثبات صفة المحبة^(٢).

﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾: فيه إثبات صفة الرضى وهي من الصفات الفعلية الثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة والإجماع.

أمّا من الكتاب: فكما ذكر المصنّف رَحِمَهُ اللهُ في آيات أخر.

وأمّا من السنة فقوله ﷺ: «إِنَّ الله يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ»^(٣).

وأمّا الإجماع: فقد نقل شيخ الإسلام الإجماع على ثبوت صفة الرضى لله تعالى^(٤).



(١) انظر: لسان العرب (١/٢٨٩)، وخطاب الكتاب والسنة هو باللغة العربية.

(٢) قال شيخ الإسلام: (للناس في هذا الأصل العظيم - يعني: محبة الله تعالى - ثلاثة أقوال: أحدها أن الله تعالى يُحِبُّ وَيُحَبُّ، كما قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوِيٍّ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ فهو المستحق أن يكون له كمال المحبة دون سواه، وهو سبحانه يحب ما أمر به، ويحبُّ عباده المؤمنين، وهذا قول سلف الأمة وأئمتِّها شرح الأصبهانية لابن تيمية (ص: ٣٩).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة (ص: ٦٦١) برقم (١٧١٥).

(٤) قال رَحِمَهُ اللهُ: (ومن المعلوم أنه قد دلَّ الكتاب والسنة واتَّفَق سلف الأمة على أن الله يُحِبُّ وَيَرْضَى ما أمر بِفِعْلِهِ مِنْ وَاجِبٍ وَمُسْتَحَبٍّ) مجموع الفتاوى (١٠ / ٧٥).

وَقَوْلِهِ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]. ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]. ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]. وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]. ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]. ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

الشيخ:

في هذه الآيات إثبات صفة الرحمة، وإثبات سعة رحمة الله، وصفة الرحمة ثابتة لله بالكتاب والسنة والإجماع. أمّا من الكتاب فالآيات التي ذكرها المصنّف رحمه الله. وأمّا من السنة فالأحاديث في إثبات صفة الرحمة كثيرة، منها قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»^(١). وأمّا الإجماع فقد أجمع السلف على إثبات صفة الرحمة لله تعالى^(٢). والرحمة تنقسم إلى قسمين: عامّة، وخاصّة. فالعامّة: هي الشاملة لجميع الخلق، قال عزّ وجلّ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

والخاصّة: هي الخاصة بالمؤمنين: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]^(٣).

- (١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب (وكان عرشه على الماء) (٤/ ٢٣١٦) برقم (٧٤٢٢)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه (ص: ١٠٢٧) برقم (٢٧٥١).
- (٢) انظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه للشيخ محمد أمان الجامي (ص: ٢٨٥).
- (٣) انظر: شفاء العليل (ص: ٢٦٣).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنُهُ﴾ [النساء: ٩٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا أَتَوْا نَمَقْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفْتَهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ أُنْيَعَانَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

📖 الشَّيْخ:

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنُهُ﴾: فيه إثبات صفة الغضب وهي من الصفات الفعلية الثابتة لله بالكتاب والسنة والإجماع.

أَمَّا من الكتاب: فالآيات التي ساقها المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَأَمَّا من السنة: فقولهُ ﷺ: «اَشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ، يَشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَّتِهِ، اَشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

وَأَمَّا الإجماع: فقد نقل ابن تيمية^(٢) وغيره^(٣) الإجماع على إثبات صفة الغضب لله تعالى.

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد (٣/ ١٢٤٣) برقم (٤٠٧٣)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب اشتداد غضب الله على من قتله رسول الله ﷺ (ص: ٦٩٤) برقم (١٧٩٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٧٥).

(٣) انظر: رسالة إلى أهل الثغر (ص: ١٣٠).

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ (٢٨):

فيه إثبات صفة السخط، وهي صفة ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة والإجماع.
أمّا من الكتاب: فكما ذكر المصنّف رَحِمَهُ اللهُ.

وأمّا من السنة: فقوله ﷺ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» (١).

وأمّا الإجماع: فقد أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات هذه الصّفة لله تعالى (٢).

﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفْنَاهُمْ﴾: فيه إثبات صفة الأسف لله، وهي بمعنى: الغضب (٣).

﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ أُنْعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾: فيه إثبات صفة الكراهية لله تعالى وهي ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

أمّا من الكتاب: فكما ذكر المصنّف رَحِمَهُ اللهُ.

وأمّا من السنة: فقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ» (٤).

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات هذه الصّفة لله تعالى (٥).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان (٢٠٢٣/٤) برقم (٦٤٧٨) واللفظ له، ومسلم،

كتاب الزهد والرقائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار (ص: ١١١٦) برقم (٢٩٨٨).

(٢) قال شيخ الإسلام: (ومن المعلوم أنه قد دلّ الكتاب والسنة واتّفاق سلف الأمة على أن الله... قد يريد وجود أمور يبغضها ويسخطها من الأعيان والأفعال كالفسق والكفر) مجموع الفتاوى (١٠/٧٥).

(٣) من معاني الأسف: الغضب والسخط، كما روي عن ابن عباس ؓ. انظر: تفسير الطبري (٢٠/٦١٧).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُ الْكَاسِيَ إِلَّا حَقًّا﴾ (١/٤٤١) برقم

(١٤٧٧) ومسلم، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة (ص: ٦٦١) برقم (٥٩٣).

(٥) قال شيخ الإسلام: (وأنّ المسلمين... متفقون على أن الله لا يحبّ الشرك، ولا تكذيب الرسل، ولا

وَقَوْلِهِ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢﴾ [الصف: ٣].

وَقَوْلِهِ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ

الْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ

آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨]. ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ

الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا﴾ ﴿٣١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١، ٢٢]. ﴿وَيَوْمَ

تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَنَمِ وَنُزِلُ الْمَلَائِكَةِ نَزِيرًا﴾ ﴿٣٥﴾ [الفرقان: ٢٥].

﴿الشَّيْخُ:

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢﴾: فيه إثبات صفة المقت لله

تعالى، وهي ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع^(١).

أَمَّا مِنَ الْكِتَابِ: فكما ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ فِي آيَاتٍ أُخَرِ، كَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا:

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ

ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٣٥].

وَمِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «وَيَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقْتَهُمْ عَرَبَهُمْ

وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»^(٢).

وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ: فَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةُ عَلَى إِثْبَاتِ صِفَةِ الْمَقْتِ لِلَّهِ تَعَالَى^(٣).

يرضئ ذلك، بل هو يُغض ذلك ويمقته ويكرهه) النبوات (١/ ٢٨٨).

(١) قال ابن الأثير: (المقت في الأصل: أشد البغض) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٦٤).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة

وأهل النار (ص: ١٠٧٠) برقم (٢٨٦٥).

(٣) انظر: النبوات (١/ ٢٨٨).

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [البقرة: ٢١٠]. ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا ﴾ [الأنعام: ١٥٨]. ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۖ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢١، ٢٢]. ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ تُنْزِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٥].

﴿ الشَّيْخُ :

في هذه الآيات إثبات صفة الإتيان والمجيء لله تعالى^(١)، وهما من الصفات الفعلية الثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة والإجماع.
أما من الكتاب: فالآيات التي ذكرها المصنّف رحمه الله.
وأما من السنة: فقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا تَلَقَّانِي عَبْدِي بِشَبْرٍ، تَلَقَّيْتُهُ بِذِرَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِبَاعٍ، جِئْتُهُ أَتَيْتُهُ بِأَسْرَعٍ»^(٢).
وقال النبي ﷺ: «حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ، أَوْ فَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ»^(٣).

(١) اجتمعت هاتان الصفتان في حديث واحد رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٧٥) قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا تَلَقَّانِي عَبْدِي بِشَبْرٍ، تَلَقَّيْتُهُ بِذِرَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِبَاعٍ، جِئْتُهُ أَتَيْتُهُ بِأَسْرَعٍ». وانظر: صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة لعلوي السقاف (ص: ٤٧).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى (ص: ١٠٠٥) برقم (٢٦٧٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ (١٣٩٣/٣) برقم (٤٥٨١) ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (ص: ٨٨) برقم (١٨٣).

وأما الإجماع: فقد أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات المجيء والإتيان لله تعالى^(١).

فيجب إثبات المجيء والإتيان لله تعالى، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو مجيءٌ حقيقيٌ يليقُ بالله تعالى.

وهذه صفةٌ من الصفات الفعلية التي يفعلها الله تعالى إذا شاء وأهل السنة لم يُشَبِّهوا مجيءَ الله بمجيء الخلق؛ كما فعلت المشبهة، وكذلك لم يؤوّلوا ويحرّفوا كما فعلت المعطّلة^(٢).

وأهل البدع عطّلوا صفة المجيء، وقالوا أنّ في هذه الآيات ونظائرها - التي فيها صفة المجيء - حذفًا، فقلوه تعالى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ يقولون: وجاء أمر ربك؛ ولا شك أنّ هذا القول باطلٌ لأُمور:

أ - أنّ هذا القول فيه ادّعاء وجود محذوف، ولا دليل على ذلك، بل الكلام مستقيم تام قائم المعنى بدون إضمار، وإضماره مجرد خلاف الأصل فلا يجوز.

ب - أنّه إذا لم يكن في اللفظ دليل على تعيين المحذوف كان تعيينه قولاً على المتكلم بلا علم وكذباً عليه.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (إتيانه ومجيئه ونزوله ليس مثل إتيان المخلوق ومجيئه ونزوله، فهذا أمر ضروري متفق عليه بين علماء السنة ومن له عقل) مجموع الفتاوى (١٦/٤٢٢). وانظر: مختصر الصواعق المرسلّة (٢/٣٤٠).

(٢) قال شيخ الإسلام: (ونسبة صفاته إلى ذاته كنسبة صفة كل موصوف إلى ذاته، ولا ريب أنّه العليّ الأعلى العظيم؛ فهو أعلى من كلّ شيء وأعظم من كلّ شيء، فلا يكون نزوله وإتيانه بحيث تكون المخلوقات تحيط به أو تكون أعظم منه وأكبر هذا ممتنع) مجموع الفتاوى (١٦/٤٢٢).

ج - أن في سياق الآيات ما يُبطل هذا التَّقدير، وهو قوله: ﴿وَجَاءَ رُبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾
[الفجر: ٢٢] فعطف مجيء الملك على مجيئه سبحانه يَدُلُّ على تغاير المجيئين^(١).



(١) مختصر الصواعق المرسلة (٣٣٩/٢) بتصرف، وقد ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ السَّلَفَ أَبْطَلُوا الْقَوْلَ بِأَنَّ الْمَجِيءَ وَالْإِتْيَانَ وَالنُّزُولَ وَالْإِسْتِوَاءَ إِلَى اللَّهِ مَجَازٌ مِنْ أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِ مِائَةِ وَجْهٍ.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]. ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفصص: ٨٨].

﴿الشَّيْخُ:

الْوَجْهُ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ لِلَّهِ تَعَالَى كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ.

أَمَّا مِنَ الْكِتَابِ: فَكَمَا ذَكَرَ الْمَصْنُفُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَأَمَّا مِنَ السُّنَّةِ: فَقَوْلُهُ ﷺ: «جَتَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آتَيْتَهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَتَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آتَيْتَهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِءَاءَ الْكِبَرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ»^(١).

وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ: فَقَدْ أَجْمَعَ السَّلَفُ عَلَى إِثْبَاتِ صِفَةِ الْوَجْهِ لِلَّهِ تَعَالَى^(٢).

وَالْمَعْطَلَّةُ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَقَدْ فَسَّرُوهَا بِالذَّاتِ، فَقَالُوا: وَجْهُ اللَّهِ، أَيْ: ذَاتُ اللَّهِ؛ وَهَذَا خِلَافُ الْأَدِلَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَمِنَ السُّنَّةِ وَخِلَافُ إِجْمَاعِ السَّلَفِ وَخِلَافُ اللَّغَةِ^(٣).

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ إِثْبَاتِ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ رُبِّهِمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (ص: ٨٦) بِرَقْمِ (١٨٠).

(٢) وَقَدْ نَقَلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْإِجْمَاعَ عَلَى إِثْبَاتِ هَذِهِ الصِّفَةِ لِلَّهِ تَعَالَى. انْظُرْ: بَيَانُ تَلْبِيسِ الْجَهْمِيَّةِ (٤/ ٩٢).

(٣) صِفَةُ الْوَجْهِ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى كَمَا ذَكَرَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ يَأْتِي الْوَجْهُ فِي اللَّغَةِ بِمَعْنَى الذَّاتِ، كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَيْضًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

٢٧، ٢٦] وَالْمُرَادُ بِالْوَجْهِ هُنَا الذَّاتُ. انْظُرْ: تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ (٦/ ٢٦١). وَانْظُرْ: مَعْجَمُ مَقَايِيسِ اللَّغَةِ

(٦/ ٨٨)، تَاجُ الْعُرُوسِ (٣٦/ ٥٤٣)، وَلَكِنْ هَذَا لَا يَسُوغُ لِلْمَعْطَلَّةِ نَفْيَ صِفَةِ الْوَجْهِ؛ لِأَنَّهُ تَمَّةٌ أَوَّلَةٌ كَثِيرَةٌ فِي

ثُبُوتِ صِفَةِ الْوَجْهِ مِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ: «وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ» وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ

وغيره، وسيأتي تخريجه مُفَصَّلًا، وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «جَتَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آتَيْتَهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَتَّتَانِ مِنْ

ذَهَبٍ آتَيْتَهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِءَاءَ الْكِبَرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ»

وَقَوْلِهِ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

﴿الشيخ﴾:

صِفَةُ الْيَدَيْنِ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ.

أَمَّا مِنَ الْكِتَابِ: فَكَمَا ذَكَرَ الْمَصْنُفُ رَحِمَهُ اللَّهُ^(١).

وَأَمَّا مِنَ السُّنَّةِ فَالْأَدْلَةُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّ الْمَقْسُطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٍ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا»^(٢)»^(٣).

وَقَدْ نَقَلَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْإِجْمَاعَ عَلَى إِثْبَاتِ صِفَةِ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ تَعَالَى^(٤).

وَقَدْ جَاءَ عَنِ السَّلَفِ نَصُوصٌ كَثِيرَةٌ جَدًّا عَلَى إِثْبَاتِ صِفَةِ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ تَعَالَى^(٥).

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٨٠) وَهَذِهِ النُّصُوصُ لَا تَحْتَمِلُ حَمْلَ الْوَجْهِ عَلَى الذَّاتِ. وَانْظُرْ: مُخْتَصَرُ الصَّوَاغِقِ الْمُرْسَلَةِ (٣٨٦/٢) وَمَا بَعْدَهَا -فَفِيهِ كَلَامُ نَفِيسٍ جَدًّا-.

(١) قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلِهَذَا لَمَّا لَمْ يَكُنْ خَلْقُ الْأَنْعَامِ مَسَاوِيًا لَخْلُقِ أَبِي الْأَنْعَامِ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾ [يس: ٧١] فَأَضَافَ الْفِعْلَ إِلَى الْأَيْدِي وَجَمَعَهَا وَلَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهَا الْبَاءُ؛ فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ فُرُوقٍ تَبْطُلُ إِحْدَاهَا أَحَدَ الْمَوْضِعَيْنِ بِالْآخَرِ، وَتَتَضَمَّنُ التَّشْوِيَةَ بَيْنَهُمَا عَدَمَ مَزِيَّةِ أَبْنَاءِ آدَمَ عَلَى الْأَنْعَامِ، وَهَذَا مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلِ وَأَعْظَمِ الْعُتُوقِ لِلْأَبِ، إِذْ سَاوَى الْمَعْطَلَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِبْلِيسَ وَالْأَنْعَامِ فِي الْخَلْقِ بِالْيَدَيْنِ). مُخْتَصَرُ الصَّوَاغِقِ الْمُرْسَلَةِ (٣٧٤/٢، ٣٧٣).

(٢) وَمَا وَلُّوا: أَيُ: فِي جَمِيعِ مَا كَانَتْ لَهُمْ عَلَيْهِ وَلايَةُ. انْظُرْ: الْكَوْكَبُ الْوَهَّاجُ وَالرُّوْضُ الْبَهَّاجُ (١٨/٢٠).

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَعَقُوبَةِ الْجَائِرِ (ص: ٧١١) بِرَقْمِ (١٨٢٧).

(٤) قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ -فِي مَعْرِضِ رَدِّهِ عَلَى الْمَعْطَلَّةِ-: (مَعَ مَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَفِي اتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَيْمَتِهَا مِنْ وَصْفِهِ بِالْيَدَيْنِ) بَيَانُ تَلْبِيسِ الْجَهْمِيَّةِ (٩٢/٤).

(٥) حَتَّى قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَرَدَ لَفْظُ الْيَدِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَكَلَامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي أَكْثَرِ

﴿ وصفة اليد وردت في القرآن على ثلاثة أوجه:

• وردت بالإنفراد: قال عزَّجَلَّ: ﴿بَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١].

• ووردت بصيغة الثنية: قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]،
وحديث: «إِنَّ الْمَقْسُطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَىٰ مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّجَلَّ،
وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ».

• ووردت بصيغة الجمع: قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ
أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾ [يس: ٧١].



من مائة موضع ورودًا متنوعًا متصرفًا فيه مقرونًا بما يدلُّ على أنها يدٌ حقيقةٌ من الإمساك والطي والقبض والبسط والمصافحة والحيثيات والنَّضْح باليد، والخلق باليدين والمباشرة بهما وكتب «التوراة» بيده وغرس جَنَّةَ عَدْن بِيَدِهِ، وتخمير طينة آدم بِيَدِهِ، ووقوف العبد بين يديه وكون المقسطين عن يمينه وقيام رسول الله ﷺ يوم القيامة عن يمينه، وتخيير آدم بين ما في يديه، فقال اخترتُ يمين ربِّي، وأخذ الصَّدَقَةَ بيمينه يُرَبِّيهَا لصاحبها، وكتابه بيده على نَفْسِهِ أَنْ رَحِمْتَهُ تَغْلِبَ غَضَبُهُ، وأنه مسح ظهر آدم بيده ثُمَّ قال له ويداه مفتوحتان: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي وكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ مباركة، وأنَّ يمينه ملائء -هكذا- لا يغيضها نفقة سحَاء اللَّيْلِ والنَّهَار، وبيده الأخرى الْقِسْط يرفع ويخفض، وأنه خلق آدم مِنْ قَبْضَةٍ قَبْضُهَا مِنْ جميع الأرض، وأنه يطوي السموات يوم القيامة ثُمَّ يأخذهن بيده اليمنى ثُمَّ يطوي الأرض باليد الأخرى، وأنه خطَّ الألواح التي كتبها لموسى بِيَدِهِ. مختصر الصواعق المرسله (٢/ ٣٨٤).

وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]. وَقَوْلِهِ: ﴿وَحَمَلَتْهُ عَلَى ذَاتِ الْوَجِجِ وَدُسْرِ﴾ (٣٢) تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾ [القمر: ١٣-١٤]. ﴿وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (٣٩) [طه: ٣٩].

بِالْشَّيْخِ:

صفة العين ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة والإجماع.
أما من الكتاب: فكما ذكر المصنّف.

وأما من السنة: قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرٍ، أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيَمْنَى، كَانَ عَيْنُهُ عِنَبَةً طَافِيَةً»^(١).

وأما الإجماع: فقد أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات صفة العين لله تعالى^(٢).
وصفة العين وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ:

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (١١) (١٠٧١/٢) برقم (٣٤٣٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال (ص: ٨٣) برقم (١٦٩).

(٢) قال أبو الحسن الأشعري: (وقال أصحاب الحديث: لسنا نقول في ذلك إلا ما قاله الله عزَّ وجلَّ أو جاءت به الرواية من رسول الله ﷺ فنقول: وجهٌ بلا كيف، ويدان وعينان بلا كيف) مقالات الإسلاميين (ص: ٢١٧)، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كلام أبي الحسن في عدَّة مواضع، انظر: الانتصار لأهل الأثر (المعروف بنقض المنطق) لابن تيمية (ص: ٢٤٤)، منهاج السنة النبوية (٣/ ٤٦٥).

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد نطق القرآن والسنة.. بلفظ العين مضافاً إليه مُفْرَدَةً ومجموعة ونَطَقَتِ السُّنَّةُ بإضافتها إليه مثنًى كما قال... النبي ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرٍ» صريحٌ في أنه ليس المراد إثبات عين واحدة ليس إلّا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ عَوْرٌ ظَاهِرٌ -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- وهل يفهم من قول الداعي: «اللهم احْرُسْنَا بعينك التي لا تنام» أنها عينٌ واحدةٌ ليس إلّا؛ إِلَّا ذَهْنٌ أَقْلَفٌ وَقَلْبٌ أَغْلَفٌ الصواعق المرسلة (١/ ٢٥٦-٢٥٩).

وَرَدَّتْ بصيغة الإفراد: قال الله تعالى: ﴿وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنَيْ﴾ ﴿٣١﴾ [طه: ٣٩].
 ووردت بصيغة التثنية: قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعُورَ، أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ
 أَعُورَ الْعَيْنِ الْيَمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»^(١).
 ووردت بصيغة الجمع: قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].
 وفي لغة العرب إذا جاءت الصِّفَةُ بصيغة المفرد فيقصد بها الجنس، وإذا
 جاءت بصيغة الجمع فيقصد به المثنى، وهذه النُّصُوصُ فيها إثبات اليمين
 والعينين الحقيقيتين اللاتئنتين بالله، وهما من الصفات الذاتية^(٢).



(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (ظاهر القرآن بل نصُّه أن الله يَدَّيْنِ، وكان ما ذكر فيه مِنْ لفظ المفْرَد أريد به الجنس، وما ذكر فيه مِنْ لفظ الجمع أريد به المثنى، وكُلُّ هذا هو مِنْ ظاهر الخطاب وفصح اللغة ليس فيه شيء من غريب اللغة وخَفِيَّهَا بل هو جارٍ على الاستعمال الظَّاهر المشهُور) بيان تلبيس الجهمية (٥/٤٨٥)، وانظر: الصواعق المرسلَة (١/٢٥٦).

وَقَوْلِهِ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكَى إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة: ١]. ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].
 ﴿وَإِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ﴿٤٦﴾ [طه: ٤٦]. ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ
 وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتَئِبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].
 وَقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ ﴿١٤﴾ [العلق: ١٤]. ﴿الَّذِي يَرِنَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبَكَ فِي
 السُّجُودِ ﴿٢١٩﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩]. ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
 وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

شرح الشيخ:

في هذه الآيات إثبات صفة السمع والبصر والرؤية لله تعالى، وقد تقدم الكلام عليها بنوع من التفصيل.

والمماثلة المنفية في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ هي مماثلة شيء من المخلوقات لله تعالى سواء في ذاته، أو في صفاته، أو في أفعاله، وليس معناها نفي الصفات عن الله تعالى؛ لأن هذه الصفات واردة في الكتاب والسنة لا سبيل لنفيها أو ردها، بل معناها نفي المماثلة في الصفات، فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ردُّ على المماثلة المشبهة للخلق بالله تعالى، والمشبهة لله تعالى بخلقه، وهذه الآية تثبت تفرده سبحانه وتعالى في ذلك.

وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فيه ردُّ على النفاة المعطلة الذين عطلوا صفات الله تعالى عن معانيها، ونفوا حقيقة ما دلت عليه من المعاني الكريمة.



وَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠].

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ [١٥] وَ﴿وَإَكِيدُوا﴾ [١٦] [الطارق: ١٥-١٦].

الشيخ:

في هذه الآيات إثبات المكر والكيد لله^(١) وهذه من أفعال الله تعالى، وتطلق مقيدة لا مطلقة، فلا يشتق منها اسم^(٢)، وإنما تقيد على حسب ورودها في النص فقط^(٣).
والمعطلة نفوا هذه الصفات، وظنوا أن معاني هذه الصفات مذمومة وبناء عليه قالوا: لا يجوز اتصاف الله سبحانه وتعالى بها، والجواب أن يقال:
أن معاني هذه الصفات - وهي المكر والكيد ونحوهما - تنقسم إلى قسمين

(١) وفيها إثبات المماحلة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]. والمحال: الكيد أو المكر. انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤٥)، النهاية في غريب الحديث (٤/ ٣٠٣)، لسان العرب (١١/ ٦١٩).

(٢) (ومن ظن من الجهال المصنفين في شرح الأسماء الحسنى أن من أسمائه الماكر المخادع المستهزئ الكائد فقد فاه بأمر عظيم تقشعر منه الجلود، وتكاد الأسماع تصم عند سماعه، وغر هذا الجاهل أنه سبحانه وتعالى أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق له منها أسماء، وأسماءه كلها حسنى فأدخلها في الأسماء الحسنى، وأدخلها وقرنها بالرحيم الودود الحكيم الكريم، وهذا جهل عظيم؛ فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقاً، بل تمدح في موضع وتذم في موضع، فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله مطلقاً، فلا يقال: إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٢٩١)، وانظر: بدائع الفوائد (١/ ١٦٢).

(٣) قال ابن القيم رحمه الله: (المكر إيصال الشر إلى الغير بطريق خفي، وكذلك الكيد والمخادعة، ولكنه نوعان: قبيح، وهو إيصال ذلك لمن لا يستحقه، وحسن، وهو إيصاله إلى مستحقه عقوبة له؛ فالأول مذموم والثاني ممدوح، والرب تعالى إنما يفعل من ذلك ما يحمد عليه عدلاً منه وحكمة، وهو تعالى يأخذ الظالم والفاجر من حيث لا يحتسب لا كما يفعل الظلمة بعباده). إعلام الموقعين عن رب العالمين (٥/ ١٥٧). وانظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ١٣٠).

محمود ومذموم.

فإذا كانت تشتمل على الظلم والكذب فمذمومة، وإذا كانت بحق وعَدْل كانت محمودة^(١).

ومن تأمل النصوص وَجَدَ أَنَّ هذه الصِّفَات أُطْلِقَتْ عَلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فِي الموضع اللاتق، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾ ١٤ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ [البقرة: ١٣، ١٤].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَفَقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَلْمُزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩].

وقوله سبحانه: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وهذه الأفعال تطلق على الله كما جاءت في النصوص، وهو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (وصف نفسه بالمكر والكيد، كما وصف عبده

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٢٩٠). وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فلما كان غالب استعمال هذه الألفاظ [يعني: المكر والخداع والكيد والاستهزاء] في المعاني المذمومة ظَنَّ الْمُعْطَلُونَ أَنَّ ذلك هو حقيقتها، فإذا أُطْلِقَتْ لغير الذم كان مجازاً، والحقُّ خلاف هذا الظن، وأنها منقسمة إلى محمود ومذموم، فما كان منها مُتَضَمِّنًا للكذب والظلم فهو مذموم، وما كان منها بحقٍّ وعَدْلٍ ومجازاة على القبيح فهو حسن محمود، فإنَّ المخادع إذا خادع بباطل وظلم، حَسُنَ من المجازي له أن يخدعه بحقٍّ وعَدْلٍ، وذلك إذا مكر واستهزأ ظالماً متعدياً؛ كان المكر به والاستهزاء عدلاً حسناً؛ كما فعله الصحابة بكعب بن الأشرف، وابن أبي الحقيق، وأبي رافع وغيرهم ممن كان يعادي رسول الله ﷺ فخادعوه؛ حتى كُفُوا سِرَّهُ وأذاه بالقتل، وكان هذا الخداع والمكر نصرةً لله ورسوله) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٢٩٠).

بذلك، فقال: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾، وقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ (١٥) و﴿وَإِكِيدُ كَيْدًا﴾ (١٦) [الطارق: ١٥، ١٦]، وليس المكر المكر كالمكر، ولا الكيد كالكيد^(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكذلك ما ادعوا أنه مجازٌ في القرآن كلفظ «المكر» و«الاستهزاء» و«السخرية» المضاف إلى الله وزعموا أنه مسمى باسم ما يقابله على طريق المجاز وليس كذلك؛ بل مسميات هذه الأسماء إذا فُعِلَتْ بِمَنْ لَا يستحق العقوبة كانت ظلماً له، وأما إذا فُعِلَتْ بِمَنْ فَعَلَهَا بالمجني عليه عقوبةً له بمثل فَعَلَهُ كانت عدلاً كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَذَبْنَا لِيُوسُفَ﴾. فكاد له كما كادت إخوته لما قال له أبوه: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾^(٢).



(١) التدمرية (ص: ٢٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١١١/٧).

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنْ يُبَدِّ وَأَخِيرًا أَوْ تُخَفُّهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوَاً قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩].
وَقَوْلِهِ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفْوَاً رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

الحج الشَّيْخ:

في هاتين الآيتين إثبات العفو والقدرة والمغفرة والرحمة لله، وهي صفات ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة والإجماع.

أما من الكتاب فكما ذكر المصنّف رَحْمَةُ اللَّهِ.

وأما من السنة، فعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: صَلَّى رسولُ الله ﷺ على جنازة، فحفظتُ من دعائه وهو يقول: «اللهم، اغفر له وارحمه وعافه واعفُ عنه» الحديث^(١). ففي هذا الحديث إثبات المغفرة والرحمة والعفو لله تعالى.

وأما إثبات صفة القدرة من السنة: فقول النبي ﷺ: «صَعَّ يدك على الذي تألم من جسدك، وقل باسْمِ الله ثلاثا، وقل سَبْعَ مَرَّاتِ أعوذ بالله وقدرته من شَرِّ ما أجدُ وأُحاذِرُ»^(٢).

وأما الإجماع: فقد أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات هذه الصفات لله تعالى^(٣).

قال سبحانه: ﴿بَنَرِكَ أَنْتُمْ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٤)، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلِلَّهِ

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت في الصلاة (ص: ٣٣٨) برقم (٩٦٣).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء (ص: ٨٤٤) برقم (٢٢٠٢).

(٣) قال شيخ الإسلام: (ومن المعلوم باتفاق المسلمين أن الله حيٌّ حقيقة، عليمٌ حقيقة، قديرٌ حقيقة) مجموع الفتاوى (٣/ ٢١٨)، وانظر: الصفات الإلهية للجامي، (ص: ٢٨٥).

(٤) ويستفاد من هذه الآية التي ذكرها المصنّف رَحْمَةُ اللَّهِ: صفة الجلال، قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى:

﴿ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٥) يقول: (ذو العظمة والكبرياء). انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٢٧٨)، وقال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴿[الأعراف: ١٨٠]، وفي هاتين الآيتين إثبات أن الله تعالى
أسماء، وفيها الردّ على من نفى الأسماء عن الله تعالى^(١).



- في نونيته (ص: ٢٠٣) -:

وهو الجليل فكل أوصاف الجلا ل له محققة بلا بطلان

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٢٧) أي: ذو العظمة والكبرياء والمجد، الذي يعظم ويبجل
ويجل لأجله، والإكرام الذي هو سعة الفضل والجود، والداعي لأن يكرم أوليائه وخواص خلقه بأنواع
الإكرام، الذي يكرمه أولياؤه ويجلونه) تفسير السعدي (ص: ٨٣٠).

(١) وهم الجهمية؛ فإنهم نفوا أسماء الله تعالى. انظر: النبوات لابن تيمية (١/ ٢٦٢).

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ [المنافقون: ٨]. ﴿فَعِزَّتِكَ لَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

﴿الشيخ﴾:

في هاتين الآيتين إثبات العِزَّة لله تعالى وهي من الصفات الثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة والإجماع.

أما من الكتاب: فكما ذكر المصنّف رَحِمَهُ اللهُ.

وأما من السنة: فقولهُ ﷺ: «لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد، حتى يضع ربُّ العِزَّة فيها قدمه، فتقول: قط قط وعِزَّتِكَ، ويُزوي بعضها إلى بعض»^(١).
والعِزَّة يراد بها ثلاثة معان: عِزَّة القُوَّة، وعِزَّة الامتناع، وعِزَّة القَهْر، والله تعالى له العِزَّة الكاملة بهذه المعاني الثلاثة^(٢).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وهو العزيز فلن يرام جنابه	أنى يرام جناب ذي السُّلطان
وهو العزيز القاهر الغلاب لم	يغلبه شيءٌ هذه صفتان
وهو العزيز بقُوَّة هي وصفه	فالعِزُّ حيثُ ثلاثٌ معانٍ ^(٣)



(١) أخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته (٤/ ٢٠٨٠) برقم

(٦٦٦١) ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (ص: ١٠٦٦) برقم (٢٨٤٨).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٢٤١).

(٣) نونية ابن القيم (ص: ٢٠٥).

وَقَوْلِهِ: ﴿بَنَزَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٧٨) [الرحمن: ٧٨]. وَقَوْلِهِ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (٦٥) [مريم: ٦٥]. وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (١) [الإخلاص: ٤]. وَقَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢) [البقرة: ٢٢].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا﴾ (٣٣) [الإسراء: ١١١]. وَقَوْلِهِ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) [التغابن: ١]. وَقَوْلِهِ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١) [الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ (٢) [الفرقان: ١-٢].

وَقَوْلِهِ: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (١١) [عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١٢) [المؤمنون: ٩١-٩٢].

﴿الْشَّيْخُ﴾:

في هذه الآيات: نَفْيُ النَّدِّ وَالْمَثَلِ وَالشَّرِيكِ وَالْوَلَدِ عَنْ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

وفيها إِبْتِثَاتُ الْمُلْكِ وَالْقُدْرَةِ لِلَّهِ تَعَالَى.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (٦٥) ﴿أَي: نَظِيرًا. فَلَا نَظِيرَ وَلَا مِثْلَ لِلَّهِ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ آيَاتِ التَّنْزِيهِ الْمَجْمَلِ^(١).

(١) قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ أَبْلَغَ الْعُلُومَ الضَّرُورِيَّةَ أَنَّ الطَّرِيقَةَ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ بِهَا أَنْبِيََاءَهُ وَرُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ بِهَا كِتَابَهُ مُشْتَمِلَةً عَلَى الْإِبْتِهَاتِ الْمَفْصَلِ وَالنَّفْيِ الْمَجْمَلِ، كَمَا يُقَرَّرُ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ: عِلْمُهُ

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَنْخِذْ لَكَ دَاوْلَمَ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] تنزيه مفصل حيث نفى الله الولد والشريك في الملك، وقد سبق الكلام في أن الأصل في النفي أنه يكون مجملًا، ولكن قد يأتي مفصلاً إذا اقتضى الحال ذلك.

وفيه إثبات القدر كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].



وقدرته وسمعه وبصره ومشيتته ورحمته وغير ذلك، ويقول في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، ﴿لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [٢] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [٤] وعلى هذا أهل العلم والإيمان أتباع المرسلين من الأولين والآخرين). التسعينية (١/ ١٧٢، ١٧١).

وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧٦) ﴿[النحل: ٧٤]﴾. وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ (٣٣) ﴿[الأعراف: ٣٣]﴾.

الشيخ:

في الآية الأولى نهى الله تعالى أن تضرب له الأمثال وأن تجعل له أنداد وأشباه^(١)، وقال سبحانه في موضع آخر: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (١١٠) ﴿[طه: ١١٠]﴾، فالله سبحانه وتعالى لا يحيط به أحد من خلقه، ولا يعلم أحد من خلقه كنه ذاته. وفي الآية الثانية ذكر الله تعالى عدداً من المحرمات، قال الإمام ابن القيم رحمه الله - عن هذه الآية -: (فرتب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها وهو الفواحش، ثم ثنى بما هو أشد تحريماً وهو الإثم والظلم، ثم ثلث بما هو أعظم تحريماً منهما وهو الشرك به سبحانه، ثم ربع بما هو أشد تحريماً من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعمُّ القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته، وأفعاله، وفي دينه وشرعه)^(٢).



(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٥٨٨).

(٢) إعلام الموقعين (٢/ ٧٣).

وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣] في سِتَّةِ مواضع^(١).

﴿الْشَّيْخُ﴾:

الاستواء صفةٌ ثابتةٌ لله تعالى في الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وسلف الأمة، وهذه الآيات تدلُّ على استواء الله تعالى على العرش، وقد جاء التّصريح بصفة الاستواء في سبعة مواضع في القرآن الكريم.

والاستواء في الشرع له ارتباطٌ بمعناه اللُّغوي، وقد جاء الاستواء في القرآن غير متعدٍّ بالحرف تارةً، ومتعدٍّ بالحرف تارةً أخرى، فإذا جاء الاستواء في القرآن غير متعدٍّ بالحرف فيكون معناه الكمال والتّمام كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القصص: ١٤].

وإذا جاء الاستواء متعدّياً بالحرف فإنَّ عُدْيَ بـ (إلى) كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩]. أي: قَصَدَ إِلَى السَّمَاءِ، وقيل: ارتفع إِلَى السَّمَاءِ. وإنَّ عُدْيَ بـ (على) كان المعنى العلوُّ والارتفاع، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]^(٢).

(١) وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣].

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩].

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤].

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٣٥٢)، تفسير ابن كثير (١/ ٢١٣)، تفسير السعدي (ص: ٤٨).

ومعنى الاستواء هو: العلوُّ والارتفاع.

ومن معاني الاستواء التي ذكرها أهل العلم: الاستقرار والصعود.

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥]:

(اسْتَقَرَّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ﴾ أَي: اسْتَقَرَّرْتَ) ^(١).

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: (الاستواء معلومٌ فِي اللُّغَةِ وَمَفْهُومٌ. وَهُوَ الْعُلُوُّ

وَالرَّفَاعُ عَلَى الشَّيْءِ وَالِاسْتِقْرَارُ) ^(٢).

وهذا القول أخبر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَوْلٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ^(٣).

وذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ معاني الاستواء عند السلف فقال:

فلهم عبارات عليها أربع	قد حصّلت للفارس الطعان
وهي استقرّ وقد علا وكذلك	ارتفع الذي ما فيه من نُكْران
وكذلك قد صعد الذي هو رابعٌ	وأبو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره	أدري من الجهمي بالقرآن ^(٤)

وَأَمَّا الْمَتَكَلِّمُونَ مِنَ الْجَهْمِيَةِ وَالْأَشَاعِرَةِ وَغَيْرِهِمْ: فَإِنَّهُمْ فَسَّرُوا الْإِسْتِوَاءَ

بِالِاسْتِيْلَاءِ؛ وَهَذَا بَاطِلٌ وَقَدْ رَدَّ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللهُ عَلَى مَنْ فَسَّرَ

الاستواء بالاستيلاء بما يلي:

أ - إِنَّ هَذَا التَّفْسِيرَ لَمْ يَفْسِّرْهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ، وَأَوَّلُ مَنْ عَرَفَ عَنْهُ ذَلِكَ

(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص: ٣٩٤).

(٢) التمهيد (٧/ ١٣١).

(٣) انظر: شرح حديث النزول (ص: ١٤٥).

(٤) نونية ابن القيم (ص: ٨٧).

الجهمية، والمعتزلة فهو تفسيراً أصْلُهُ مِنْ أَهْلِ الْبَدْعِ.

ب - إِنَّ مَعْنَى الْإِسْتِوَاءِ مَعْلُومٌ فِي اللَّغَةِ، وَالْقُرْآنُ نَزَلَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ.

ج - إِنَّ الْإِسْتِوَاءَ سَوَاءٌ كَانَ بِمَعْنَى الْقُدْرَةِ، أَوْ الْقَهْرِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ فَهُوَ عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، وَلَوْ كَانَ اسْتَوَى بِمَعْنَى اسْتَوَى لَجَازَ أَنْ يُقَالَ: اسْتَوَى عَلَى السَّمَاءِ وَاسْتَوَى عَلَى الْبَحَارِ وَعَلَى الْأَرْضِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَهَذَا خِلَافٌ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ؛ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَعْنَى اسْتَوَى خَاصٌّ بِالْعَرْشِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ.

د - أَنَّ تَفْسِيرَ الْإِسْتِوَاءِ بِالْإِسْتِوَاءِ يُشْعِرُ بِمَعْنَى فَاسِدٍ وَلَا يَلِيقُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ: أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ - أَي: الْإِسْتِوَاءَ - يَدُلُّ عَلَى الْمُنَازَعَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَنَازِعْهُ أَحَدٌ فِي الْعَرْشِ^(١).

هـ - إِنَّ مَعْنَى الْإِسْتِوَاءِ مَعْلُومٌ عِلْمًا ظَاهِرًا بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ، فَالِإِتْيَانُ بِتَفْسِيرٍ مُحَدَّثٍ يَدُلُّ عَلَى بَطْلَانِ هَذَا التَّفْسِيرِ الْمُحَدَّثِ^(٢).
وَقَدْ أَجْمَعَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، وَقَدْ نَقَلَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ.

(١) وقد أنكر بعض أئمة اللغة تفسير الاستواء بالاستيلاء كابن الأعرابي -وهو من أئمة اللغة- فقد أخرج اللالكائي بسنده إلى ابن الأعرابي أن رجلاً أتاه فقال له: ما معنى قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾؟ فقال: هو على عرشه كما أخبر عَزَّجَلَّ، فقال: يا أبا عبد الله ليس هذا معناه، إنما معناه استولى، قال: اسْكُتْ ما أنت وهذا؟ لا يقال: استولى على الشيء إلا أن يكون له مضادٌّ، فإذا غلب أحدهما قيل استولى. انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢/ ٣٩٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٤ - ١٤٩) بتصرف. وانظر: مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٣٥٢) وما بعدها، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن قيم الجوزية (٢/ ٩٥) وما بعدها.

قال الدارمي: (ولم ينكر أحدٌ من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة)^(١).
 وقال أيضًا: (وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله في السماء)^(٢).
 وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (أهل السنة والحديث وسلف الأمة متفقون على أنه فوق سماواته على عرشه... وعلى ذلك نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة)^(٣).

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (الإجماع منعقد على أن الله سبحانه استوى على عرشه حقيقة لا مجاز)^(٤)^(٥).

كما حكى الإجماع أيضًا أبو الحسن الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر؛ فقد قال: (وأجمعوا.. أنه تعالى فوق سماواته على عرشه دون أرضه)^(٦).

وهذه عقيدة أهل السنة قاطبة، وعقيدة أبي الحسن الأشعري كذلك، ومع ذلك فقد خالفت الأشعرية إمامهم خاصةً، وسائر أئمة السنة عامةً، وهذا من عجائبهم وتناقضهم؛ لأنهم إما على التفويض الذي هو جهلٌ وتجهيلٌ، وإما على التأويل الذي هو تحريفٌ وتعطيلٌ^(٧).

(١) نقض الدارمي على المريسي للدارمي (١/ ٣٤٠).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٢٨).

(٣) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٨).

(٤) هكذا في المطبوع. ولعل الصواب: مجازًا - بالنصب.

(٥) مختصر الصواعق المرسله (٢/ ٣٥٧).

(٦) رسالة إلى أهل الثغر (ص: ١٣٠).

(٧) وهذا على قاعدة الأشاعرة كما قال شاعرهم:

وكل نصٍّ أوهم التشبيها
 أوله أو فَوْضٌ ورُمّ تنزيها

وقوله: ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرَافِعَكَ إِلَى﴾ [آل عمران: ٥٥]. ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]. وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]. وقوله تعالى: ﴿يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَتْلُجُ الْأَسْبَبَ﴾ (٣٦) ﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذَّابًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]. وقوله: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١٧) ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦-١٧].

الشيخ:

هذه الآيات تدلُّ على اتِّصاف الله بصفة العلوِّ، وصفة العلوِّ صفة ذاتية ملازمة لذات الله، ويدلُّ على ثبوتها الكتاب والسنة والإجماع والفطرة. فأما من الكتاب: فالنصوص التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ اللهُ. وأما من السنة: فأدلة كثيرة منها حديث الجارية أنَّ النبي ﷺ قال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها، فإنها مؤمنة»^(١).

وأما الإجماع: فقد نقل غير واحد من العلماء الإجماع على إثبات علوِّ الله تعالى منهم المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ في هذه العقيدة كما سيأتي إن شاء الله تعالى^(٢).

وهذا البيت اللَّقَاني في منظومته التي سماها: جوهرة التوحيد. انظر: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للبيجوري (ص: ١٠٣).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (وأما علوه على العالم ومبايسته للمخلوقات، فمتفق عليه بين الأنبياء والمرسلين، وسلف الأمة وأئمتها) درء التعارض (٦/ ٢٤٩)، وقال: (ولهذا كان في فطر جميع الأمم

﴿ والعلوُّ على ثلاثة أنواع عند أهل العلم ^(١) :

أولاً: علوُّ الذات: بمعنى أن الله عالٍ على جميع المخلوقات مباينٌ للمخلوق.

ثانياً: علوُّ القَدَر: أن الله تعالى عالٍ في قدره.

والثالث: علوُّ القَهَر: أن الله تعالى قاهر بملكه وسلطانهِ.

وإذا أردت أن تعرف الأشعري أو الماتريدي في دعواه أنه من أهلِ السُنَّةِ

فاغْرِضْ عليه ثلاث مسائل ^(٢):

المسألة الأولى: العلو، تقول: أين الله كما سأل النبي ﷺ الجارية بـ: «أين

الله؟» قالت: في السماء ^(٣)، فإنَّ الأشعري يقول: إن الله لا داخل العالم ولا

خارجه ولا فوقه ولا تحته، وهذه صفة مَنْ لا وجود له، والله كما أخبر سبحانه

عَالٍ عَلَى خَلْقِهِ مَبَايِنٌ لَخَلْقِهِ ^(٤).

المسألة الثانية: الكلام، إذا زعم أن الله لا يتكلَّم حقيقةً، وإنَّما يتكلَّم كلاماً نفسياً

عَبَّرَ عَنْهُ جَبْرِيلُ أَوْ عَبَّرَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ أَوْ حَكَاهُ جَبْرِيلُ فاعرف أنه أشعري ^(٥).

المسألة الثالثة: الرؤية، إذا قال: أن الله يُرَى بلا جهة ولا مقابلة فاعلم أنه

الإقرار بعلو الله على خلقه التسعينية (٩٥٨/٣).

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (فإن من لوازم اسم (العلي): العلو المطلق بكل اعتبار، فله العلو المطلق من

جميع الوجوه: علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات، فمن جحد علو الذات فقد جحد لوازم اسمه العلي)

مدارج السالكين (٥٥/١).

(٢) انظر: حوار مع أشعري لفضيلة الشارح - وقفه الله تعالى - فإنه ذكر الأقوال في هذه المسائل مع الرد عليها.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من

إباحة (ص: ١٩٤) برقم (٥٣٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٦/٣١٠).

(٥) انظر: التسعينية (٢/٤٣٢).

أشعري^(١).

وإنَّ عقيدة أنَّ الله تعالى فوق عباده عال على خلقه مستو على عرشه قد أجمعت عليها الشرائع السماوية والكتب الإلهية والأنبياء والمرسلون^(٢). وأهل الأديان كلُّهم أجمعون مع المسلمين^(٣). وحتى اليهود والنصارى^(٤). بل العرب والعجم^(٥). والآدميون كلهم عربهم وعجمهم مؤمنهم وكافريهم^(٦). واتفقت بذلك كلمة المسلمين والكافرين^(٧). وجميع بني آدم^(٨).

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٤/٤٦٧). وقال فضيلة الشارح -وفقه الله تعالى- (قولهم هذا مخالف للعقل والنقل والفطرة جميعاً، فلا هم قالوا بمذهب أهل السنة، ولا قالوا بمذهب أهل البدعة، بل أحدثوا قولاً ثالثاً خارجاً عن القولين، لأن الرؤية بالأبصار دون مسافة ودون مقابلة ودون جهة محال، وإنما ذلك يتصور في الرؤية القلبية دون الرؤية البصرية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن عقيدتهم في الرؤية متضمنة لإنكار العلو لله تعالى؛ لأنهم لما تابَعوا الفلاسفة ثم المعتزلة في إنكار العلو لله على خلقه وفوقه على عباده، قالوا: إن الله تعالى لا في جهة ولا فوق العالم ولا تحت العالم، ولا داخل العالم، ولا خارج العالم.. إلى آخر هذه القيود التي جعلوها الرؤية بها من المحالات) حوار مع أشعري (ص: ١٠١).

(٢) انظر: خلق أفعال العباد للبخاري (ص: ٣١).

(٣) انظر: الغنية لطالبي طريق الحق عزَّ وجلَّ (١/١٢٥).

(٤) انظر: خلق أفعال العباد (ص: ٣١).

(٥) انظر: تأويل مختلف الحديث (ص: ٣٩٥).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٥/٣٢٠).

(٧) انظر: نقض الدارمي على المريسي (١/٢٢٨).

(٨) انظر: الانتصار لأهل الأثر (ص: ٨٧).

وعليه فطرة المسلمين علمائهم وجُهالهم أحرارهم ومماليكهم ذكراهم وإناثهم بالغيهم وأطفالهم وكلٌّ مَنْ دعا الله^(١).

وأما المخالفون لهذه العقيدة والخارقون لهذا الإجماع والخارجون على هذه الفطرة فِرْقٌ شَتَّى وكُلُّهم معطَّلَةٌ زنادقة فَمِنْهُمْ:

١- الجهمية الأولى: قالوا: إنَّ الله في كُلِّ مكان - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -^(٢).

٢- الصوفية الحلولية: قالوا: الله في كُلِّ شيء - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -^(٣).

وهذا القول يرجع إلى القول الأوَّل؛ فقول الجهمية وهؤلاء الصوفية قولٌ بالحلول المطلق وهو أَخْبَثُ مِنْ قَوْلِ النَّصَارَى^(٤).

٣- الصوفية الاتحادية: قالوا: الله كل شيء - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -^(٥).

وهم أكفر من اليهود والنصارى^(٦).

٤- المعتزلة ومن تبعهم من الماتريدية ومتأخِّرة الأشعرية الكلابيين.

قالوا: إنَّ الله لا فوق العالم ولا تحته ولا يمين العالم ولا شماله ولا أمام

العالم ولا خلفه^(٧).

(١) انظر: التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٥٤).

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٥١).

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣٢٥)، مجموع الفتاوى (٥/ ١٢٦).

(٤) وذلك لأن النصارى جعلوه في عيسى عَلَيْهِ السَّلَام، وأما هؤلاء فجعلوه في كُلِّ شيء ولم يترَّهوا الربَّ جَلَّ وَعَلَا.

(٥) ولذلك قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ: (إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي

كلام الجهمية) مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود (ص: ٣٦١)، خلق أفعال العباد (ص: ٣١).

(٦) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ١٦٨)، مجموع الفتاوى (٢/ ١٧٢).

(٧) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٨٩). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ -معلقاً على هذا القول-:

(فيعلم أهل العقول أنهم لم يثبتوا شيئاً قائماً بنفسه موجوداً) الفتاوى الكبرى (٦/ ٦٢٢)، وقال أيضاً: (هو

وفيما يلي نصوص الأئمة والعلماء في إثبات علو الله تعالى على خلقه وفوقيته واستوائه على عرشه:

قال أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ: (من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفر)^(١).
وقال الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ: (كُنَّا والتابعون متوافرون نقول: إن الله - تعالى ذَكَرَهُ - فوق عرشه)^(٢).

وقال مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ: (الله عَزَّجَلَّ في السماء وَعِلْمُهُ في كُلِّ مكان)^(٣).
وقال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: (على العرش، وعلمه لا يخلو منه مكان)^(٤)،
وسئل رَحِمَهُ اللهُ عَمَّنْ يقول: إِنَّ الله تعالى ليس على العرش. فقال: (كلامهم كُلُّهُ يدور على الكفر)^(٥).

وقال الإمامان الجليلان أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان - رحمهما الله تعالى -:
(أجمع أهل الإسلام على إثبات الصِّفَات لله تعالى وأنه على عرشه بائنٌ مِنْ خَلْقِهِ)^(٦).
وقال ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ: (من لم يَقِرَّ بأنَّ الله تعالى على عرشه قد استوى فوق سبع سماواته، فهو كافرٌ بربِّه يستتاب، فإن تاب، وإلاَّ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وأُلْقِيَ

عند أهل العقول السليمة خيالات باطلة، وأوهام فاسدة، لا تنطبق إلا على المعدوم، بل على الممتنع) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٢٢).

(١) الشرح المبسر على الفقهاء الأيسر والأكبر للشارح (ص: ١٣٥).

(٢) الأسماء والصفات لليهقي (٢/ ٣٠٤).

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر (٧/ ١٣٨).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٤/ ٤٤٥).

(٥) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٢٠٠)، المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة لعبد الإله الأحمد (١/ ٣١٨).

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٨).

على بعض المزابل حَيْثُ لَا يَتَأَذَّى المسلمون، والمعاهدون بتتن ريح جيفته، وكان مَالُهُ فَيْئًا لَا يَرِثُهُ أَحَدٌ مِنَ المسلمين، إذ المسلم لا يرث الكافر كما قال ﷺ^(١).



(١) معرفة علوم الحديث للحاكم (ص: ٨٤).

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝﴾ [الحديد: ٤]. وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاقِعُهُمْ وَلَا خُمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝﴾ [المجادلة: ٧]. وقوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا ۝﴾ [التوبة: ٤٠]. وقوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝﴾ [طه: ٤٦]. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ۝﴾ [النحل: ١٢٨]. ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝﴾ [الأنفال: ٤٦]. وقوله: ﴿كَمْ مِنْ فَتَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فَتَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝﴾ [البقرة: ٢٤٩].

رحم الشيخ:

هذه الآيات تثبت معية الله للخلق، والمعية معناها: مُطْلَق المصاحبة. فلا يلزم من مصاحبة الشيء أن يكون مخالطاً، وهذا مثل ما يقول الإنسان: سافرت والقمر معي، فالقمر مع المسافر في سَفَره، ومصاحبٌ له في السَّفَر، ولا يعني ذلك المخالطة^(١).

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (المعية نوعان: عامة. وهي: معية العلم والإحاطة. وخاصة: وهي معية القُرب. تتضمَّن الموالاة، والنصر، والحفظ. وكلا المعنيين مصاحبة منه للبعد. لكن هذه مصاحبة اِطِّلاع وإحاطة. وهذه مصاحبة موالاة ونصر وإعانة. ف (مع) في لغة العرب تفيد الصُّحبة اللائقة، لا تشعر بامتزاج ولا اختلاط، ولا مجاورة، ولا مجانبة. فَمَنْ ظَنَّ مِنْهَا شَيْئًا مِنْ هَذَا فَمِنْ سُوءِ فَهْمِهِ أَتَى) مدارج السالكين (٢/ ٢٥٤).

﴿ والمعِية على قسَمَين: ﴾

معِيةٌ عامَّةٌ: وهي للخلْق أجمعين، فالله مع عباده يراهم ويطلع عليهم، لا تخفى عليه خافيةٌ كقوله تعالى: ﴿ مَا يَكْثُوثُ مِنْ تَجَوَّى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَائِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرٍ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَهُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧].

ومعِيةٌ خاصَّةٌ: وهذه خاصَّة بالمؤمنين، ومن لوازمها: النصر والتأييد والحفظ للمؤحدين، فالله مع المحسنين ومع المتقين ومع الصابرين كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]. وقال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦] (١).



(١) قال ابن تيمية رحمه الله: (وأما آيات المعِية فنحن نعلم بالاضطرار من لغة العرب أنها لا تقتضي أن الله تعالى مختلط بالخلق ممتزج بهم بل عامَّة ما استعمل فيه لفظ (مع) في القرآن لا يدلُّ على ذلك لا في الله تعالى ولا في حقِّ المخلوق وإنما يدلُّ على المقارنة والمصاحبة وقد قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ» وكون الشيء مقارناً لغيره أو مصاحباً له لا يمنع أن يكون فوقه ولا يجب أن تكون ذاته مختلطة ممتزجة بذاته) بيان تلبس الجهمية (٥/ ٣١٥، ٣١٤).

وقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]. وقوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٠]. وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]. وقوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. وقوله: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. ﴿وَتَذَيَّنْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّقْتُهُ نَحْيًا﴾ [مريم: ٥٢]. وقوله: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠]. ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]. وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢]. ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]. وقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ لَمَّا دَخَلُوا مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]. وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ [الفتح: ١٥]. وقوله: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧]. وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصِّلُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦]. وقوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]. وقوله: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشْيَعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]. ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١١١]. ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [١١٢]

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِيَّتُهُ
وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ [النحل: ١٠١-١٠٣].

﴿الشيخ﴾:

الكلام صفة ذاتية فعلية^(١)، فهي صفة ذاتية من حيث أن الله موصوف بالكلام أزلاً؛ فهو لم يزل ولا يزال موصوفاً بالكلام، وصفة فعلية حيث أن الله يتكلم متى شاء إذا شاء^(٢).

وهي ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، وقد وردت النصوص الكثيرة في إثبات هذه الصفة، فمنها: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ﴾ [البقرة: ٧٥].

وقال النبي ﷺ: «يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ذَرِّيَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ»^(٣)، وقال النبي ﷺ: «احتج آدم وموسى، فقال له موسى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجْتَكَ خَطِيئَتِكَ مِنَ الْجَنَّةِ، فقال له آدم: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اضْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ، ثُمَّ تَلَوْنِي عَلَى أَمْرِ قُدِّرَ

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٢١٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٢١٩)، (١٢/ ٥٦٧).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَوْتَى لَهُ﴾ حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١٢﴾ ولم يقل ماذا خلق ربكم (٤/ ٢٣٣٦) برقم (٧٤٨٣).

عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ»، فقال رسول الله ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى مَرَّتَيْنِ»^(١).
وقال ﷺ: «أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنْ قُرِئَ شَأْنٌ قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي عَزَّجَلَّ»^(٢).

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:
والله جَلَّ جَلَالُهُ مَتَكَلَّمٌ
قد أجمعت رسل الإله عليه لم
فكلامه حَقًّا يقوم به
والله قال وقائل وكذا
ويكَلِّم الثقلين يوم معادهم
وكذا يكلم حزبه في جنة الحية
وكذا يكلم رسله يوم اللقاء
وبالنقل والمعقول والبرهان
ينكره من أتباعهم رجُلان
ولا لم يكن متكلمًا بقرآن
يقول الحق ليس كلامه بالفاني
حَقًّا فيسمع قوله الثقلان
يوان بالتسليم والرضوان
حَقًّا فيسألهم عن التبيان^(٣)
وقد نقل غير واحد من العلماء الإجماع على إثبات صفة الكلام لله تعالى.

- (١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد (٢/ ١٠٥٨) برقم (٣٤٠٩) ومسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (ص: ٩٩٤) برقم (٢٦٥٢).
(٢) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في القرآن (ص: ٨٥٦) برقم (٤٧٣٤)، والترمذي، كتاب ثواب القرآن، (ص: ٦٥٤) برقم (٢٩٢٥)، وابن ماجه، في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (ص: ٥٢) برقم (٢٠١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٠/ ٣٧٩) برقم (٣٩٣٤٢)، وأحمد في المسند (٢٣/ ٣٧٠) برقم (١٥١٩١)، والدارمي في المسند (٤/ ٢١١٠) برقم (٣٣٩٧)، والبخاري في خلق أفعال العباد (ص: ٤٠)، والطبراني في الأوسط (٧/ ٥٩) برقم (٦٨٤٧)، والحاكم في المستدرک (٢/ ٦٦٩) برقم (٤٢٢٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٢٩) برقم (١٦٦)، وصَحَّحَهُ الألباني في صحيح أبي داود (٣/ ١٥٨).
(٣) نونية ابن القيم (ص ٤٥).

قال ابن أبي عاصم رَحِمَهُ اللهُ: (ومما اتفق أهل العلم على أن نسبوه إلى السنة... والقرآن كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَكَلَّمَ اللهُ بِهِ) (١).

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: (وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى متكلمٌ بكلام قائم به، وأن كلامه غير مخلوق) (٢).

فهذه النصوص تدلُّ على أن كلام الله مسموع، وهذا ردُّ على أهل الكلام من الأشاعرة الذين يزعمون أن كلام الله ليس بحرف ولا بصوت.

وقد ضلَّ أهل البدع في إثبات صفة الكلام لله تعالى مِنْ وَجْوهٍ:
الوجه الأول: أنهم يقولون أن كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت، والردُّ عليهم أن يُقال:

أ- إن النصوص الكثيرة من القرآن والسنة وَرَدَتْ في إثبات أن الله تعالى يتكلم بصوت كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ [الشعراء: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢]، وقوله سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ [القصص: ٣٠]. والنداء عند العرب يكون بصوت (٣).

ب - قد أخبر الله جَلَّ وَعَلَا أنه كلَّم موسى فقال سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] فسمع موسى لكلام الله جَلَّ وَعَلَا يدلُّ على أنه

(١) السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٦٤٥).

(٢) شرح العقيدة الأصبهانية (ص: ١١).

(٣) انظر: خلق أفعال العباد (ص: ٩٨)، الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي (ص: ١٦٥)،

(١٦٦)، مجموع الفتاوى (٦/ ٥٣١)، مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٤٦٥).

بَصَوْتٍ؛ إِذْ لَا يُسْمَعُ إِلَّا الصَّوْتُ^(١).

ج - إِنَّ الإِجْمَاعَ وَقَعَ عَلَى أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ، وَالْعَرَبُ لَا تَعْرِفُ مِنَ الْكَلَامِ إِلَّا هَذَا، وَذَكَرَ السَّجْزِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ خِلَافٌ بَيْنَ النَّاسِ عَلَى اخْتِلَافِ نَحْلِهِمْ فِي أَنَّ الْكَلَامَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ، وَإِنَّمَا نَشَأَ الْاِخْتِلَافُ عِنْدَ ظُهُورِ بَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ؛ فَاِتْبَعَتْ هَذِهِ الْبِدْعَةُ، وَنَفَى الْحُرُوفَ وَالصَّوْتُ^(٢).

د - إِنَّ هَذِهِ الْبِدْعَةُ ظَهَرَتْ عَلَى يَدِ الْجَهْمِيَّةِ الَّذِينَ أَطْبَقَ السَّلَفُ عَلَى ذَمِّهِمْ، فَإِنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ أَنْكَرَ صِفَةَ الْكَلَامِ لِلرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا، ثُمَّ تَطَوَّرَتْ هَذِهِ الْبِدْعَةُ عَلَى يَدِ مَنْ بَعْدَهُمْ فَنفَوْا الْحَرْفَ وَالصَّوْتُ^(٣).

الوجه الثاني: قولهم: أَنَّ الْقُرْآنَ قَدِيمٌ، وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقَالَ:

إِنَّ إِطْلَاقَ لَفْظِ (الْقَدِيمِ) عَلَى الْقُرْآنِ لَمْ يُعْرِفْ عَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، بَلِ الْمَعْرُوفُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ^(٤).

الوجه الثالث: قولهم أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى صِفَةٌ أَزَلِيَّةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى، فَإِذَا عَبَّرَ عَنْهَا بِالْعَرَبِيَّةِ فَقُرْآنٌ وَبِالسَّرْيَانِيَّةِ فَإِنْجِيلٌ، وَبِالْعِبْرَانِيَّةِ فَتُورَةٌ. وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقَالَ:

أ - إِنَّ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى بَطْلَانِ هَذَا الْقَوْلِ؛ أَنَّهُ إِذَا عُرِّبَتِ التُّورَةُ؛ لَمْ يَكُنْ مَعْنَاهَا

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦ / ٥٣١)، مختصر الصواعق المرسلة (٢ / ٤٦٥).

(٢) انظر: الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ٨٠، ٨١).

(٣) انظر: التسعينية (١ / ٢٧١)، مختصر الصواعق المرسلة (٢ / ٥٠٢).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٢ / ٥٤). قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (السَّلَفُ قَالُوا: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَقَالُوا لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا إِذَا شَاءَ. فَبَيَّنَّا أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ قَدِيمٌ أَيْ جَنْسُهُ قَدِيمٌ لَمْ يَزَلْ وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِنَّ نَفْسَ الْكَلَامِ الْمَعْيَّنِ قَدِيمٌ وَلَا قَالَ أَحَدٌ مِنْهُمْ الْقُرْآنُ قَدِيمٌ؛ بَلْ قَالُوا: إِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ) مجموع الفتاوى (١٢ / ٥٤).

معنى القرآن، وهكذا في العكس أيضًا.

ب - إنَّ هذا القول هو قول الأشاعرة، فإنهم يرون أنَّ القرآن عبارة عن كلام الله تعالى، وبهذا فَهْمٌ قد خالفوا الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح.

ج - إنَّ من لوازم هذا القول أن يكون الأمر هو النهي، وأن يكون معنى سورة المسد هو معنى سورة الإخلاص، ونحو ذلك من اللوازم الباطلة.

د - إنَّ هذا القول مما يُعْلَمُ فسادُه بالاضطرار، ولا يتصوَّرُ إلَّا كما تُتَصَوَّرُ المستحيلات، وقد أطبق السلف الصالح على إنكاره.

هـ - وأمَّا قولهم على صفة الكلام بأنها أزلية قائمة بذاته، فإنَّ هذا لم يُعْرَفْ عن السلف، وهذا القول يترتب عليه تعطيل الله جَلَّ وَعَلَا عن صفة الكلام، وأنه لا يتكلَّم بمشيئته وقدرته^(١).

فالقُرْآنُ كلام الله أنزل على النبي ﷺ، من الله بدأ وإليه يُرفع في آخر الزمان، فيُرفع في آخر الزمان من المصاحف ويُرفع من الصدور^(٢).

وخالف أهل البدع من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم، فالمعتزلة زعموا أنَّ القُرْآنَ ليس كلام الله، وإنما هو مخلوق عندهم. وحصلت الفتنة لعلماء أهل السنة؛ لأنَّ علماء أهل السنة امتنعوا عن القول بهذه العقيدة الفاسدة: وهي أنَّ

(١) انظر الفتاوى الكبرى (٥ / ١١، ٦ / ٦٣٢)، درء التعارض (٢ / ٣٠٥)، مجموع الفتاوى (٦ / ٥٢٣،

١٧ / ١٨) مختصر الصواعق المرسلة (٢ / ٤٧٥).

(٢) قال عبد الله بن مسعود: (لِيُسْرَيْنَ عَلَى الْقُرْآنِ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَلَا يَتْرَكَ آيَةً فِي مِصْحَفٍ، وَلَا فِي قَلْبِ أَحَدٍ إِلَّا رُفِعَتْ) أخرجه الدارمي (٤ / ٢٢٠٦) برقم (٣٣٨٦).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (وَأَمَّا إِلَيْهِ يَعُودُ: فَإِنَّهُ يَسْرِي بِهِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِنَ الْمِصْحَافِ وَالصُّدُورِ فَلَا يَبْقَى فِي الصُّدُورِ مِنْهُ كَلِمَةٌ وَلَا فِي الْمِصْحَافِ مِنْهُ حَرْفٌ) مجموع الفتاوى (٣ / ١٩٨).

الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ^(١).

والأشاعرة: زعموا أن كلام الله هو كلامٌ نفسيٌّ قائمٌ بنفس الله، والأشعرية متفقون مع المعتزلة في أن هذا القرآن اللفظي هو مخلوق، ويزعمون أن كلام الله القائم بنفسه ليس بمخلوق، المقصود أن هذه الأقوال مخالفة لنصوص الكتاب والسنة وإجماع الصَّحَابَةِ وسلف الأمة.



(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٤/٢٠٧).

وقوله: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ﴾ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]. ﴿عَلَىٰ الْأَرْكَانِ يُنْظَرُونَ﴾ (٢٣) [المطففين: ٢٣]. وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. وقوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (٣٥) [ق: ٣٥]. وهذا الباب في كتاب الله تعالى كثير. ومن تدبر القرآن طالباً الهدى منه؛ تبين له طريق الحق.

﴿الشَّيْخُ﴾:

إنَّ رؤية الله تعالى في الآخرة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، فأما من الكتاب فقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، والزيادة هي النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ الله الكريم كما ثبت ذلك في السنة^(١). وقال سبحانه: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وأما من السنة: فقد قال النبي ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلِبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَرَأُ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ (٢١) [ق: ٣٩]»^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أَنَّ أَنَسًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نَعَمْ، هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيِ الشَّمْسِ بِالظَّهْرِ، ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهِ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «وَهَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهِ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا تُضَارُونَ فِي

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سُبحَانَهُ وَتَعَالَى (ص: ٨٦) برقم (١٨١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر (١ / ١٨٤) برقم (٥٥٤)، ومسلم، كتاب

المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (ص: ٢٢٥) برقم (٦٣٣).

رؤية الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة إلا كما تَصَارُّون في رؤية أَحَدِهِمَا»^(١).

وأحاديث رؤية الله جَلَّوَعَلَا في الدَّارِ الآخِرَةِ متواترة، وقد نصَّ على ذلك جمعٌ مِنَ الأئمة^(٢).

وأما الإجماع: فقد أجمع السلف الصالح على رؤية الله تعالى في الآخرة، ونقل الإجماع غير واحد من أهل العلم، قال الدارمي رَحِمَهُ اللهُ عن أحاديث الرؤية: (ولم يزل المسلمون قديمًا وحديثًا يروونها، ويؤمنون بها، لا يستنكرونها، ولا ينكرونها، ومن أنكرها من أهل الزيغ نسبوه إلى الضلال... فإذا اجتمع الكتاب وقول الرسول وإجماع الأمة، لم يبق لمتأولٍ عندها تأوُّل)^(٣).

وقال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ: (وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة بأعين وجوههم على ما أخبر به تعالى في قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾^(٤) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ^(٥)).

وقال ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ: (العلماء لم يختلفوا أن جميع المؤمنين يرون خالقهم في الآخرة)^(٥).

وقال عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ اللهُ: (وأجمع أهل الحق واتفق أهل التوحيد

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ (٣/ ١٣٩٣) برقم (٤٥٨١) واللفظ له، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (ص: ٨٨) برقم (١٨٣).

(٢) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية (ص: ٢٩٦)، سير أعلام النبلاء (٢/ ١٦٧)، تفسير ابن كثير (٨/ ٢٧٩)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ١٥٩).

(٣) الرد على الجهمية للدارمي (ص: ١٢٢).

(٤) رسالة إلى أهل الثغر (ص: ١٣٤) والأشاعة المتأخرون يخالفونه في كثير من الأقوال -وهذا أحدها-.

(٥) التوحيد لابن خزيمة (٢/ ٥٨٧).

والصدق أن الله تعالى يرى في الآخرة كما جاء في كتابه وصح عن رسوله^(١).
وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: (أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة)^(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث عصابة الإسلام وَيَزَكُ الإيمان وخاصةً رَسُولُ الله على أَنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يرى يوم القيامة بالأبصار عياناً كما يرى القمر ليلة البدر صَحْواً وكما ترى الشمس في الظهيرة)^(٣).

ورؤية الله تكون في الآخرة حيث يراه المؤمنون، فإنَّ المؤمنين يرون الله في الجنة. ولاشكَّ أَنَّ رؤية الله في الجنة هي أعظم النعيم؛ فيرونها أهل الجنة، وقد قال تعالى عن الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُونَ﴾ (١٥) [المطففين: ١٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وأشدُّ شيء في العذاب حجابُه سبحانه عن ساكني النيران^(٤)

وقد خالف المتكلمون من الجهمية والمعتزلة والروافض والخوارج^(٥)، وكلهم اتفقوا على أن الله لا يُرى، وحرَّفُوا آيات الرؤية.
وأما المتكلِّمون من الأشاعرة فزَعَمُوا أَنَّ الله لا يُرى في العلُوِّ ويقولون إنَّ الرؤية لا تتوقَّفُ على وجود آلتها ولا شعاع ولا مُقابَلَة.

(١) عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (ص: ٥٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٦ / ٥١٢).

(٣) حادي الأرواح (ص: ٣٤٢).

(٤) نونية ابن القيم (ص: ٣٤٥).

(٥) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ١٥٣).

❦ والردُّ عليهم من وجوه:

أ - إنَّ هذا القول هو من أقوال الأشاعرة المخالفين لأهل السنة والجماعة، فقد نصَّ غير واحد من علمائهم على هذا.

ب - إن نفي المقابلة في رؤية الله تعالى، إنما هو في الحقيقة موافقة للمعتزلة، فإن المعتزلة لما نفوا رؤية الله تعالى نفوا ما يلزم من الرؤية ومن ذلك نفهم للمقابلة وللجهة^(١).

ج - إن لفظ المقابلة قد جاء في السنة، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال عن آدم عليه السلام: «خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وكلمه قبلًا»^(٢). أي: مقابلة^(٣)، فهذا أصدق الخلق وأعلمهم بالله ﷺ أخبر بأنه حصل مقابلة بين الله جلَّ وعلا وبين آدم عليه السلام.

د - إن المعروف عند أهل اللغة وعند جميع الناس أن الرؤية تكون مقابلة المرئي للرائي^(٤).

ومؤدَّى قولهم هذا: أنهم يثبتون الرؤية القلبية لا الرؤية البصرية. وهذا القول يخالف النصوص فإنَّ النبي ﷺ قال: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عِيَانًا»^(٥)، أي بأعينكم.

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٣/ ٣٤٣)، الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٣٣).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٧٦) برقم (٣٦١). وهو حديث طويل فيه مقال، ولكن الجزء المذكور قال عنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: (صحيح لغيره)، كما في صحيح موارد الظمان (١/ ١٢٩).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٨)، لسان العرب (١١/ ٥٣٨).

(٤) انظر: بيان تلييس الجهمية (٨/ ٥٤)، الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٣٢).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّأْوَرَةٌ ۖ (٢٢) لِّأَنَّهُمْ نَظَرُوا ۚ (٢٣)﴾ (٤/ ٢٣٢٠) برقم (٧٤٣٥).

ثُمَّ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ، وَتُبَيِّنُهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ، وَمَا وَصَفَ
الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ عَزَّجَلَّ، مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاها أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ
بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ.

الشيخ:

السنة هي وحْيٌ كما أن القرآن وحْيٌ، والسنة تُوضِّحُ وتُفَسِّرُ القرآن؛ فتوضح
ما أُجْمِلَ في القرآن وتفسره، مثل: تفصيل مواقيت الصلوات الخمس، وكيفية
الصلاة، والطهارة والزكاة والصيام والحج؛ وهذه وإن ذكرت في القرآن الكريم
إلا أن السنة جاءت بها بالتفصيل، فالسنة تُوضِّحُ المُجْمَلَ من القرآن^(١).

ومقصود المؤلف من هذا: أن يُبين أن بعض الصفات ثبتت بالسنة فقط،
وأما التي ذكرها المؤلف فيما سبق فقد ثبتت في القرآن والسنة، وسيذكر المؤلف
الصفات التي ثبتت في السنة.

ومن أصول مذهب أهل السنة والجماعة: التصديق بما أخبر به النبي ﷺ من
صفات حتى ولو لم ترد في القرآن؛ فهذا سبيل أهل السنة والجماعة؛ فالنبي ﷺ
مُبَلَّغٌ عن الله. وقد قال الله تعالى عن النبي ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ
يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤]، وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]^(٢).

(١) قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وقد اتَّفَقَ الصَّحَابَةُ والتَّابِعُونَ لهم بإحسان وسائر أئمة الدين أن السنة
تُفَسِّرُ القرآن وتُبَيِّنُهُ وتَدُلُّ عليه وتُعَبِّرُ عن مجمله، وأنها تُفَسِّرُ مجمل القرآن من الأمر والخبر) مجموع
الفتاوى (١٧/٤٣٢).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فهدي الله الناس ببركة نبوة محمد ﷺ، وبما جاء به من البينات
والهدي، هداية جلَّتْ عن وصف الواصفين، وفاقَتْ معرفة العارفين، حتى حصل لأمة المؤمنين عموماً،

مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

شرح الشيخ:

النزول صفة ثابتة لله تعالى بالكتاب، والسنة، والإجماع؛ فقد أجمع السلف الصالح على إثبات صفة النزول لله تعالى، إثباتاً يليق بجلاله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، كما هو شأنهم في سائر صفات الله تعالى.

واستدلوا لصفة النزول بأدلة كثيرة منها، قوله ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»^(١).

ونزول الرب عز وجل الوارد في الأحاديث على أنواع، منها: نزوله تعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ونزوله عشية عرفة، وغير ذلك^(٢).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ - عن هذا الحديث -: (وقد رُوِيَ عن النبي ﷺ من رواية جماعة كثيرة من الصحابة، كما ذكرنا قبل هذا، فهو حديث متواتر عند

ولأولي العلم منهم خصوصاً، من العلم النافع، والعمل الصالح، والأخلاق العظيمة، والسنن المستقيمة، ما لو جُمِعَتْ حكمة سائر الأمم، علماً وعملاً، الخالصة من كل شوب، إلى الحكمة التي بعث بها، لتفاوتتا تفاوتاً يمنع معرفة قدر النسبة بينهما، فله الحمد كما يجبُ رَبُّنَا وَيَرْضَى) اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ٧٥).

(١) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل (١ / ٣٤١) برقم (١١٤٥)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه (ص: ٢٦٨) برقم (٧٥٨).

(٢) لمعرفة أنواع النزول والأدلة في ذلك، انظر: صفة النزول الإلهي ورد الشبهات حولها للجعدي (ص: ١٤٩) وما بعدها.

أهل العلم بالحديث^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ أَيضًا: (وأحاديث النزول متواترة عن النبي ﷺ رواها أكثر من عشرين نفسًا من الصحابة، بمحضر بعضهم من بعض، والمستمع لها منهم يصدق المحدث بها ويقره، ولم ينكرها منهم أحدٌ، ورواها أئمة التابعين)^(٢).

ونقل الإجماع غير واحد من أهل العلم في أن أحاديث النزول متواترة^(٣).

ونقل الإجماع على إثبات هذه الصفة غير واحد من أهل العلم^(٤).

وقد أَلَفَ بعض أهل العلم جزءًا في جمع الروايات الواردة في صفة النزول؛ كالذَّارِقُطْنِي رَحِمَهُ اللهُ في كتاب (النزول)، وابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ أَلَفَ كتابًا مستقلًا باسم (شرح حديث النزول)، وابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أَيضًا جمع تلك الروايات^(٥).

وحتى أَحَادِيثَ الآحاد التي يرويها واحد أو اثنان أو ثلاثة؛ فقد اتفق أهل السنة على تَلَقُّيها بالقبُول، فمذهب أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الأخذ بها؛ سواء في الاعتقاد أو في الأحكام^(٦).

بينما أهل الكلام من الأشاعرة ونحوهم يردُّون السنة الأحادية فلا يأخذون بها في الاعتقاد، ويأخذون بها في الأحكام، ثُمَّ إِنَّ السُّنَّةَ المتواترة عند هؤلاء، أو

(١) شرح حديث النزول (ص: ١٠٧).

(٢) التسعينية (٣/ ٩١٤).

(٣) وممن ذكر ذلك أبو زرعة الرازي كما في نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني (ص: ١٧٩)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٢٨)، وعبد الغني المقدسي في الاقتصاد في الاعتقاد (ص: ١٠٠)، والذهبي في العلو (ص: ١٠٠)، وابن عبد الهادي في الصارم المنكي (ص: ٢٢٩)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٧١٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٢٣٤، ٢٣٥)، الصارم المنكي (ص: ٢٢٩).

(٥) انظر: مختصر الصواعق (٢/ ٤٣٠) وما بعدها.

(٦) انظر: جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية لابن تيمية (ص: ٤٣).

السنة الأحادية يعرضونها على العقل، فإذا وافقت عقولهم أخذوا بها، وإذا لم توافق عقولهم ردوها، فجعلوا العقل حكماً على نصوص الشرع^(١).

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (النَّاسُ لَا يَفْصِلُ بَيْنَهُمُ النَّزَاعَ إِلَّا كِتَابٌ مُنَزَّلٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَإِذَا رُدُّوا إِلَى عَقُولِهِمْ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَقْلٌ، وَهَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفُونَ يَدَّعِي أَحَدُهُمْ: أَنَّ الْعَقْلَ أَذَاهُ إِلَى عِلْمٍ ضَرُورِيٍّ يَنَازِعُهُ فِيهِ الْآخَرُ، فَلِهَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَجْعَلَ الْحَاكِمُ بَيْنَ الْأُمَّةِ فِي مَوَارِدِ النَّزَاعِ إِلَّا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ)^(٢). والمتكلمون من الأشاعرة وغيرهم أنكروا هذه الصفة الفعلية - أعني: صفة النزول -، وحرّفوا نصوص حديث النزول إلى نزول أمر الله أو رحمة الله أو لطف الله. وهذا باطلٌ.

ويدلُّ الحديث أنَّ النزول من الله تعالى حقيقيٌّ لأمر:

١- إِنَّهُ أَسْنَدَ النَّزُولَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى صِرَاحَةً، وَلَمْ يَقَيِّدْهَا بِنَزُولِ رَحْمَةٍ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ.

٢- إِنَّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِجَابَةَ الدُّعَاءِ، وَمَغْفِرَةَ الذُّنُوبِ، وَهِيَ مِنْ خَصَائِصِ

الرَّبِّ تَعَالَى.

٣- إِنَّ مِمَّا يُوَكِّدُ أَنَّ النَّزُولَ هُوَ نَزُولُ الرَّبِّ جَلَّ فِي عِلَاحِ قَوْلِهِ ﷺ: «يَنْزِلُ اللَّهُ

إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا

الْمَلِكُ مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَاسْتَجِبْ لَهُ...»^(٣).

٤- إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَتْ خَاصَّةً فِي اللَّيْلِ فَقَطْ؛ بَلْ عَامَّةٌ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

(١) انظر: درء التعارض (٤/١)، بيان تلبس الجهمية (١/٣٣٨)، مختصر الصواعق (١/١٠٧).

(٢) درء التعارض (١/٢٢٩).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه (ص: ٢٦٨) برقم (٧٥٨).

فلا يُمكنُ حَمْلُ الحديثِ على نُزُولِ الرَّحْمَةِ^(١).

٥- إنَّ تأويلَ النَّزُولِ بمزيدٍ لُطْفٍ ونحو ذلك لا يُمكنُ؛ لأنَّ في الحديثِ التَّخْصِصَ بالثُلُثِ الآخرِ بالسَّماءِ الدُّنْيَا، ولطف الله ليس مخصوصاً في الثُّلُثِ الآخرِ في السَّماءِ الدُّنْيَا^(٢).

٦- إنَّه لو كان النَّزُولُ هو نزول الرَّحْمَةِ، ونزلت الرَّحْمَةُ إلى السَّماءِ الدُّنْيَا، ولم تنزل إلينا فأَيُّ مَنفَعَةٍ لنا^(٣)؟.

٧- إنَّ تأويلَ هذا الحديثِ وإنكار نزولِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا مخالِفٌ لما عليه الصَّحَابَةُ رضوان الله عليهم، فلم يثبت عن أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ أَوَّلُ النَّزُولِ، وهم خَيْرُ الْقُرُونِ^(٤).

٨- إنَّ النَّزُولَ في الحديثِ أُضِيفَ إلى الله تعالى، وما يُضَافُ إلى الله تعالى نوعان:

أ - أعيانٌ قائِمةٌ بِنَفْسِهَا: كَبَيَّتِ الله، وناقَة الله، ونحو ذلك فهذه إضافةٌ مخلوقٍ إلى خالِقِهِ وهي تقتضي التَّشْرِيفَ.

ب - إضافةٌ صِفَةٍ إلى موصوفها: كالنَّزُولِ، والرَّضَا، والغضب، ونحو ذلك فهذه لا يمكن أن يكون المضافُ فيه مخلوقاً، بل هو صِفَةٌ قائِمةٌ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى^(٥).

٩- أن هذه الأحاديث جاءت في رواياتٍ صحيحة لا مَطْعَنَ فيها.



(١) انظر: نقض الدارمي على المريسي (١ / ٢١٤)، التمهيد (٧ / ١٤٣).

(٢) انظر: فتح الباري لابن رجب (٩ / ٢٧٩).

(٣) انظر: شرح حديث النزول (ص: ٣٨).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص: ٦٢).

(٥) انظر: مختصر الصواعق المرسله (٢ / ٤٢٢)، شرح الطحاوية (ص: ٣٨٦).

وَقَوْلِهِ ﷺ: «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ...» الْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(١). وَقَوْلِهِ ﷺ: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ؛ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ؛ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(٢).

شرح الشيخ:

حديث: «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ...»: هذا الحديث يثبت لله تعالى صفة الفرح على ما يليق بجلال الله، والمتكلمون لا يثبتون صفة الفرح لله تعالى.

وحديث: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ؛ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ؛ كِلَاهُمَا يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ»: في هذا الحديث إثبات صفة الضحك لله تعالى^(٣)، وهي من الصفات الفعلية، ومعنى الحديث: أَنَّ رجلاً كافراً يقتل رجلاً مؤمناً، ثُمَّ يُسَلِّمُ الْقَاتِلُ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ، فالله يضحك لهذين الرجلين اللذين

(١) البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة (٤/١٩٨٥) برقم (٦٣٠٩)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في الحُضْ على التوبة والفرح بها (ص: ١٠٢٦) برقم (٢٧٤٧).

(٢) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم ثُمَّ يُسَلِّمُ فَيَسْتَدُّ بَعْدَ وَيَقْتُلُ (٢/٨٧٥) برقم (٢٨٢٦)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة (ص: ٧٣٣) برقم (١٨٩٠).

(٣) قال شيخ الإسلام: (فالضحك في موضعه المناسب له صفة مدح وكمال، وإذا قُدِّرَ حَيَانُ أَحَدِهِمَا يَضْحَكُ مِمَّا يَضْحَكُ مِنْهُ؛ وَالْآخَرُ لَا يَضْحَكُ قَطُّ؛ كَانَ الْأَوَّلُ أَكْمَلَ مِنَ الثَّانِي. وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ الرَّبُّ فَيَنْظُرُ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرْجَكُمْ قَرِيبٌ» فَقَالَ لَهُ أَبُو رَزِينِ الْعَقِيلِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يَضْحَكُ الرَّبُّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبِّ يَضْحَكُ خَيْرًا. ففعل الأعرابي العاقل -بَصْحَةَ فطرتِه- ضَحِكَهُ دَلِيلًا عَلَى إِحْسَانِهِ وَإِنْعَامِهِ؛ فَذَلَّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْوَصْفَ مَقْرُونٌ بِالْإِحْسَانِ الْمَحْمُودِ وَأَنَّهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ) مجموع الفتاوى (٦/١٢١).

قَتَلَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ.

وَصِفَةُ الْفَرَحِ وَالضَّحِكِ مِنَ الصِّفَاتِ الثَّابِتَةِ لِلَّهِ تَعَالَى بِالسَّنَةِ^(١).



(١) انظر: النبوات (١/٤٤٩)، مجموع الفتاوى (٦/١٢٢، ١٢١)، مختصر الصواعق المرسلّة (٢/٥١٥).

وَقَوْلُهُ ﷺ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غَيْرِهِ؛ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزْلِينَ أَزْلِينَ فَنُطِيقُ، فَيَظِلُّ بِضَحْكِهِ؛ يَغْلُمُ أَنْ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ»^(١) حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الحمد للشيخ:

العجب صفة فعلية ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة والإجماع.

ومن الأدلة على صفة العجب قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾^(١٣) بقراءة ضم التاء^(٢)، وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَوَّحًا كَمَا تَرَىٰ أَوَّحًا لِّفِي خَلْقِي جَدِيدٍ﴾ [الرعد: ٥] استدل بها بعض السلف على إثبات صفة العجب لله تعالى^(٣).

وقال ﷺ: «عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ»^(٤). وقال

(١) لم أجده بهذا اللفظ، ووجدته بلفظ: (وَعَلِمَ يَوْمَ الْغَيْثِ، يَشْرَفُ عَلَيْكُمْ أَزْلِينَ أَزْلِينَ مَشْفِقِينَ، فَيَظِلُّ بِضَحْكِهِ قَدْ عَلِمَ أَنْ غَيْرَكُمْ إِلَىٰ قُرْبٍ) وهو جزء من حديث طويل رواه أحمد (١٢١/٢) برقم (١٦٢٠٦) وابن أبي عاصم في السنة (٢٨٦/١) برقم (٦٣٦) وغيرهما ولكن إسناده لا يصح، قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: (إسناده ضعيف جدًا) انظر: ظلال الجنة في تخريج السنة (٢٨٩/١). وثبت بلفظ مقارب لما ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ، والصفة الواردة فيه صفة الضحك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فعن أبي رزين، قال: قال رسول الله ﷺ: «ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غَيْرِهِ». قال: قلت: يا رسول الله، أَوَيَضْحَكُ الرَّبُّ؟ قال: «نعم». قلت: (لن نعدم من ربٍّ يضحك خيرًا). أخرجه ابن ماجه، باب فيما أنكرت الجهمية (ص: ٤٨) برقم (١٨١)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٤١٧/٢) برقم (١١٨٨)، وأحمد في مسنده (١١٨/٢٦) برقم (١٦٢٠١) وابن أبي عاصم في السنة (٢٤٤/١) برقم (٥٥٤)، والآجري في الشريعة (١٠٥٦/٢) برقم (٦٣٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٠٧/١٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤١١/٢) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٣٩/٦).

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف. انظر: المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر الأصبهاني (ص: ٣٧٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٤٣٢).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الأسارى في السلاسل (٢/ ٩٢٥) برقم (٣٠١٠).

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «قَدْ عَجَبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ»^(١).

وحديث: «إِنَّ اللَّهَ لَيَعْجَبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبَوَةٌ»^(٢)»^(٣).

وقوله ﷺ: «إِنَّ رَبَّكَ تَعَالَى يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي»^(٤).

وغير ذلك من النصوص الدالة على إثبات صفة العجب لله تعالى، وقد تتابع السلف الصالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ عَلَى إثبات هذه الصفة لله تعالى، وقد نقل غير واحد من العلماء الإجماع على إثبات صفة العجب لله تعالى^(٥).

ومعنى الحديث - الذي ذكره المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ -: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْجَبُ مِنْ

(١) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿يُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (٣/ ١١٦٢) برقم (٣٧٩٨)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، واللفظ له (ص: ٧٩٣) برقم (٢٠٥٤).

(٢) الصَّبَوَةُ: الميل إلى الهوى. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١١).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٨/ ٦٠٠) برقم (١٧٣٧١)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٥٠) برقم (٥٧١)، وأبو يعلى في المسند (٢/ ٣٠٨) برقم (١٧٤٣)، والرويان في المسند (١/ ١٧٥) برقم (٢٢٧)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٣٠٩) برقم (٨٥٣)، وتمام في الفوائد (٢/ ١١٦) برقم (١٣٠٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٤١٧) برقم (٩٩٣). وجوّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ٨٢٤).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا ركب (ص: ٤٥٦) برقم (٢٦٠٢)، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا ركب الناقة (ص: ٧٨٣) برقم (٣٤٤٦)، والنسائي في السنن الكبرى (٨/ ١٠٥) برقم (٨٧٤٨)، وأحمد في المسند (٢/ ١٤٨) برقم (٧٥٣)، وأبو يعلى في المسند (١/ ٢٩٢) برقم (٥٨٢)، والمحامي في الدعاء (ص: ٥٦) برقم (١٤)، وابن حبان في صحيحه (٦/ ٤١٥) برقم (٢٦٩٨) والطبراني في الدعاء (ص: ٢٥٠) برقم (٧٨٤)، والآجري في الشريعة (١/ ١٠٦١) برقم (٦٤٤) وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص: ٢٩٨) برقم (٤٩٩)، والضياء في المختارة (٢/ ٢٩٥) برقم (٦٧٦) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٧/ ٣٥٤).

(٥) انظر: الإبانة الكبرى (٧/ ١٣١)، نقض الدارمي على المريسي (٢/ ٨٧٩)، شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين (ص: ٥٩).

قنوطنا ويأسنا، مع تَغْيَرِ أحوالنا، وأنه تعالى ينظر إلينا ونحن في ضيقٍ وقنوطٍ ويأسٍ، وحالنا آيلٌ إلى تَغْيَرِ أَفْضَلٍ وَأَحْسَنَ مِمَّا هو عليه، ولهذا يضحك الربُّ جَلَّ جَلَالُهُ لَأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الْفَرَجَ قَرِيبٌ.

وقد خالف المتكلمون فنَفَوْا صِفَةَ الْعَجَبِ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى، والردُّ عليهم أنْ يُقال: أن العجب قد يكون مقرونًا بالجهل وهذا محالٌ في حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، فإنه تعالى لا تخفى عليه خافية، وقد يكون العجب خروج الشيء عن نظائره أو خروجه عما ينبغي أن يكون عليه، مع علم المتعجب وهذا ثابتٌ في حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى وهو صِفَةُ كَمَالِ اللَّهِ تَعَالَى^(١).



(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ١٢٣)، شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: ١٧٠)، شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين (ص: ٦٠).

وَقَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؛ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا، - وَفِي رِوَايَةٍ عَلَيْهِ - قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ؛ وَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١).

رحم الشيخ:

في هذا الحديث إثبات صفة القدم على ما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أما الكيفية فهي مجهولة لنا، وخالف المتكلمون كالعامة فزعموا أَنَّ المقصود بالحديث أَنَّ القدم هم طائفةٌ مِنَ النَّاسِ يُلْقَوْنَ فِي جَهَنَّمَ، وهذا خلاف ظاهر النص. وصفة القدم، ثبتت في السنة الصحيحة؛ وأجمع الصحابة وسلف الأمة على إثباتها فلا يجوز العدول عن النصوص إلى آراء البشر وأقسياتهم. ولشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كلامٌ جميلٌ في إثبات صفة القدم والرد على المخالفين، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد غلط في هذا الحديث المعطلون الذين أولوا قوله: «قدمه» بنوع من الخلق، كما قالوا: الذين تقدّم في علمه أَنَّهُمْ أَهْلُ النَّارِ. حتى قالوا في قوله: «رجله»: كما يقال: رجلٌ من جرادٍ. وغلطهم من وجوه: فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «حتى يضع»، ولم يقل: حتى يلقي، كما قال في قوله: «لا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا».

الثاني: أَنَّ قَوْلَهُ: «قدمه» لا يفهم منه هذا، لا حقيقة ولا مجازاً، كما تدل عليه الإضافة. الثالث: أَنَّ أولئك المؤخرين إن كانوا من أصاغر المعدبين فلا وجه لانزوائها

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْمَزِيدُ الْحَكِيمُ﴾ (٤/٢٣٠٥) برقم (٧٣٨٤)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (ص: ١٠٦٦) برقم (٢٨٤٨).

واكتفائها بهم، فإنَّ ذلك إنما يكون بأمرٍ عظيم، وإنَّ كانوا من أكابر المجرمين فهم في الدَّرَك الأسفل، وفي أوَّلِ المعذِّبين لا في أواخرهم.

الرابع: أنَّ قوله: «فينزوي بعضها إلى بعض» دليلٌ على أنها تنضمُّ على من فيها، فتضيِّقُ بهم من غير أن يُلقَى فيها شيء.

الخامس: أنَّ قوله: «لا يزال يُلقَى فيها، وتقول: هل من مزيد؟ حتى يَضَعَ فيها قدمه» جعلَ الوضعَ الغايةَ التي إليها ينتهي الإلقاء، ويكون عندها الانزواء، فيقتضي ذلك أن تكون الغايةُ أعظمَ ممَّا قبلها.

وليس في قول المعطَّلة معنى للفظ «قدمه» إلا وقد اشترك فيه الأول والآخر، والأوَّل أحقُّ به من الآخر. وقد يغلط في الحديث قومٌ آخرون مُمَثِّلَةٌ أو غيرهم، فيتوهَّمون أن «قدم الربِّ» تدخلُ جهنَّمَ. وقد توهَّم ذلك على أهل الإثبات قومٌ من المعطَّلة، حتى قالوا: كيف يدخل بعضُ الربِّ النَّارَ والله تعالى يقول: ﴿لَوْ كَانَتْ هَتُولاَءَ إِلَهَةً مَا وُرِدُوها﴾؟

وهذا جهلٌ ممَّن توهَّمه أو نقله عن أهل السنة والحديث، فإنَّ الحديث: «حتى يضع ربُّ العزة عليها - وفي رواية: فيها -، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: «قَطَّ قَطَّ وعزَّتكَ»، فدَلَّ ذلك على أنها تضايقت على من كان فيها فامتلاَّت بهم، كما أقسم على نفسه إنَّه ليملاَّنَّها من الجِنَّة والناس أجمعين، فكيف تمتلئ بشيء غير ذلك من خالقٍ أو مخلوق؟ وإنَّما المعنى أنه تُوضَع القدمُ المضافُ إلى الربِّ تعالى، فتنزوي وتضيِّقُ بمن فيها.

والواحدُ من الخلق قد يركُضُ متحرِّكًا من الأجسام فيسكن، أو ساكنًا فيتحرَّك، ويركُضُ جبلًا فيتفجَّر منه ماءٌ، كما قال تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (٤١) [ص: ٤٢] وقد يضع يده على المريض فيبرأ، وعلى الغضببان فيرضى^(١).

(١) جامع المسائل - المجموعة الثالثة - لابن تيمية (ص: ٢٣٩-٢٤١).

وَقَوْلِهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لَأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا آدَمُ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْنًا إِلَى النَّارِ...» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(١). وَقَوْلِهِ ﷺ: «مِمَّنْ أَحَدٌ إِلَّا سَيَكْلُمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَاجِبٌ وَلَا تُرْجُمَانٌ»^(٢).

الشيخ:

سبق أن شيخ الإسلام ذكر الآيات في صفة كلام الله، ثم ذكر هنا الأحاديث في إثبات صفة الكلام؛ لأن صفة الكلام من أبرز المسائل التي خالف فيها المتكلمون لمذهب أهل السنة والجماعة، ونحن نعرف كم حصل من الفتنة لعلماء أهل السنة من جرّاء أنهم لم يوافقوا المعتزلة في مسألة خلق القرآن^(٣).

ومعنى هذا الحديث: أن الله جلّ وعلا ينادي آدم قائلاً له - بعد أن يجيبه آدم بقوله: «لَبَّيْكَ»، أي إجابة بعد إجابة: «وَسَعْدَيْكَ»، أي العزة والسعد لك يا الله، وهذا القول من الله بصوت -: «يَا آدَمُ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْنًا إِلَى النَّارِ...» بَعْنًا أي: جماعة للنار؛ إذ لا بد أن يدخل النار جماعة من ذرية آدم، وفي هذا الحديث أيضاً إثبات صفة الصوت، والصوت: دليل على الكلام^(٤).

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَرَزَى النَّاسَ سُكْرِي﴾ (١٤٧٨/٣) برقم (٤٧٤١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب قوله: (يقول الله لأدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين) (ص: ١٠٤) برقم (٢٢٢).
(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٢٣٤٣/٤) برقم (٧٥١٢)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها (ص: ٣٥٥) برقم (١٠١٣).

(٣) انظر الكلام عن هذه الفتنة في: محنة الإمام أحمد بن حنبل لعبد الغني المقدسي، والبداية النهاية (٢٠٧/١٤).

(٤) وقد تقدم بيان صفة الكلام لله تعالى بنوع من التفصيل.

وأما الحديث الثاني^(١) فَإِنَّ معناه: أن الله جَلَّ وَعَلَا سَيُكَلِّمُ كُلَّ واحد من خَلْقِهِ،
أَمَّا المؤمنون فيكَلِّمُهُم بكلام الرِّضَى، وأَمَّا الكافرون فيكَلِّمُهُم بكلام الغَضَبِ،
وذلك في وقتِ الحساب ولا واسطة بين العبد وبين رَبِّهِ، وليس بَيْنَهُمَا تَرْجُمانٌ،
أما كيفية ذلك فالله أعلم بها، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سِتْوَلِيُّ حِسَابِ خَلْقِهِ بِنَفْسِهِ؛ لا
بواسطة أَحَدٍ.



(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ بعد أن ذكر جملة من الأحاديث - وهذا أحدها -: (إلى غير ذلك من الأحاديث الصحاح والحسان التي تصرح بأن جميع الناس ذكورهم وإناثهم مشتركون في هذه الأمور من «المحاسبة» و«الرؤية» و«الخلوة» و«الكلام») مجموع الفتاوى (٤٣٥/٦).

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ أَيضًا: (وقد يراد «بالحساب» أن الله: هل هو الذي يَكَلِّمُهُم أم لا؟ فالقرآن والحديث يدلُّان على أَنَّ الله يَكَلِّمُهُم تكليم توبيخ وتقريع وتبكيث لا تكليم تقريب وتكريم ورحمة وإن كان من العلماء مَنْ أَنْكَرَ تَكْلِيمَهُمْ جُمْلَةً) مجموع الفتاوى (٤٨٧/٦).

وَقَوْلِهِ فِي رُفِيَةِ الْمَرِيضِ: «رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ! تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؛ كَمَا رَحِمْتِكَ فِي السَّمَاءِ؛ اجْعَلْ رَحِمَتَكَ فِي الْأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحِمَتِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَيْنَا هَذَا الْوَجَعِ فَبِئْرًا» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ^(١). وَقَوْلِهِ: «أَلَا تَأْمُنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(٢) وَغَيْرُهُ. وَقَوْلُهُ ﷺ: «وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ»^(٣). وَقَوْلُهُ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللَّهُ؟»، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «أَغْنَيْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٤).

الشيخ:

في هذه الأحاديث إثبات صفتي الاستواء والعلو من السنة النبوية، وقد تقدّمت ذكر الآيات في إثبات صفة الاستواء وصفة العلو.

والحديث الأول: «رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ! تَقَدَّسَ اسْمُكَ»، فمعنى هذا الحديث هو أن النبي ﷺ ينادي ربّه بأنه الذي في السماء، تَقَدَّسَ اسْمُكَ أي: تَطَهَّرَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ، وَأَنْ أَمْرُكَ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ

(١) في سننه في كتاب الطب، باب كيف الرقأ (ص ٦٩٨) برقم (٣٨٩٢) وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود. (ص: ٣١٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع (١٣١٣/٣) برقم (٤٣٥١)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (ص: ٣٧٢) برقم (١٠٦٤).

(٣) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ص: ٥٥) برقم (٨١)، وابن خزيمة في التوحيد (١/٢٤٤) برقم (١٤٩) وصحّح إسناده الذهبي في العلو (ص: ٧٩).

(٤) تقدم تخريجه.

بقدرتك وإرادتك وعلمك.

وأنت يا الله رحيم ندعوك: أن تجعل رحمتك في الأرض كما جعلتها في السماء، ثم يسأل الرسول ﷺ ربه أن يغفر الآثام والخطايا لأنه رب الطيبين، ثم يسأله أن ينزل رحمة من رحماته وشفاء من شفاؤه على المريض حتى يذهب مرضه، وهذا الحديث فيه إثبات صفة العلو.

أما الحديث الثاني وهو: قوله ﷺ: «وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» معناه: أن الله سبحانه وتعالى فوق العرش يعلم كل شيء^(١).

وأما الحديث الثالث وهو: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»، معناه أنه يجب علينا معاشر المؤمنين والمسلمين أن نؤمن بأن الرسول ﷺ أمين الله الذي في السماء، وأن الله في السماء، والحديث فيه إثبات صفة العلو لله تعالى كما يليق بجلاله.

وأما الحديث الرابع: قول النبي ﷺ للجارية: «أَيْنَ اللَّهُ؟» قالت: في السماء، فهذا اختبار للجارية حتى تعتق، فسألها النبي ﷺ: «أَيْنَ اللَّهُ؟» فأجابت أنه: في السماء أي: على السماء، وهذا دليل على أن من الإيمان: الإيمان بأن الله على السماء، وأن إثبات ذلك دلالة على الإيمان، ثم قال النبي ﷺ: «أَعْتَقُهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»^(٢).

ثم سألها النبي ﷺ قائلاً: «مَنْ أَنَا؟» فأجابت: بأنه رسول الله، ولهذا أمر النبي ﷺ بعقها وأخبر أنها مؤمنة، لأنها تعتقد أن الله في السماء، وتعتقد أن الرسول ﷺ هو رسول الله.

وهذا الحديث: رواه الإمام مسلم في صحيحه، ومع ذلك فأهل البدع يحرقون

(١) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٥٢٠).

(٢) تقدم تخريجه.

هذا الحديث بتأويلاتٍ فاسدة كاسِدةٍ بليدةٍ، وهذا سبيلُ أهل البدع أنهم يُشابهون اليهود؛ فيحرِّفون الكلمَ عن مواضعه، وبعض أهل البدع يُردُّونَ هذا الحديث ويزعمونَ أنه لم يثبت عن النبي ﷺ؛ مع أنه في صحيح الإمام مُسلم.



وَقَوْلِهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الْإِيمَانِ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ» ^(١) حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الشيخ:

هذا الحديث فيه إثبات صفة المعية في السنة النبوية، وقد تقدّم إثبات هذه الصفة في القرآن، ومعنى الحديث: أَنَّ أَفْضَلَ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ.

والمعية نوعان:

النَّوعُ الْأَوَّلُ: مَعِيَّةُ حِفْظٍ وَتَأْيِيدٍ وَنَصْرٍ، وَهَذِهِ لِلْمُؤْمِنِ ^(٢).

النَّوعُ الثَّانِي: مَعِيَّةُ إِطْلَاعٍ، وَهَذِهِ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ ^(٣).

وليس معنى الحديث: أَنَّ اللَّهَ مَعَنَا بِذَاتِهِ كَمَا يَقُولُهُ الصُّوفِيَّةُ ^(٤) الْحُلُولِيَّةُ ^(٥)؛

فَاللَّهُ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ عَالٍ عَلَى خَلْقِهِ ^(٦).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣٣٦/٨) برقم (٨٧٩٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٢٤/٦). وَضَعَفَهُ الْأَلْبَانِي فِي ضَعِيفِ الْجَامِعِ (ص: ١٤٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠٤/٥).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٠٣/٥).

(٤) الصوفية: طائفة من أهل البدع، سُمُّوا بِذَلِكَ نِسْبَةً إِلَى لِبَسِ الصُّوفِ عَلَى الصَّحِيحِ، وَهُمْ أَصْنَافٌ: فَمِنْهُمْ مَنْ يَعْتَقِدُ بِالْحُلُولِ وَالْإِتِّحَادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَعَبَّدُونَ لِلَّهِ بِالسَّمَاعِ وَالرَّقْصِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْبِدْعِ.

انظر: مقالات الإسلاميين (ص: ٢٨٨)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٧٢)، الموفي بمعرفة التصوف والصوفي للأدفي (ص: ٥) وما بعدها، هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل (ص: ١٩) وما بعدها.

(٥) الحلول: هو اعتقاد أن الله يحل في المخلوقات -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-. قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (الحلول المطلق وهو أن الله تعالى بذاته حالٌّ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَهَذَا تَحْكِيهِ أَهْلُ السَّنَةِ وَالسَّلَفُ عَنْ قَدَمَاءِ الْجَهْمِيَّةِ وَكَانُوا يَكْفُرُونَ بِهِمْ بِذَلِكَ) مجموع الفتاوى (٤٦٦/٢).

(٦) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة؛ من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال؛ فإذا قِيدَتْ بِمَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي ذَلَّتْ عَلَى

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (معية الله تعالى مع عبده نوحان: عامة وخاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين، وليس ذلك بطريق الاشتراك اللفظي بل حقيقتها ما تقدم من الصحبة اللائقة، وقد أخبر الله تعالى أنه مع خلقه مع كونه مستويًا على عرشه وقرن بين الأمرين كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝﴾ [الحديد: ٤]، فأخبر أنه خلق السماوات والأرض، وأنه استوى على عرشه، وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه كما في حديث الأوعال: «والله فوق عرشه يرى ما أنتم عليه» فَعُلُوُّهُ لا يناقض معيَّته، ومَعِيَّتُهُ لا تُبْطِلُ عُلُوَّهُ، بل كلاهما حقٌّ.

فَمِنَ الْمَعِيَّةِ الْخَاصَّةِ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝﴾ [البقرة: ١٥٣] ﴿وَلِإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝﴾ [العنكبوت: ٦٩] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ ۝﴾ [النحل: ١٢٨] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۝﴾ [البقرة: ١٩٤] ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۝﴾ [التوبة: ٤٠].

وَمِنَ الْعَامَّةِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧ الآية] (١).



المقارنة في ذلك المعنى. فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا. ويقال: هذا المتاع معي لمجامعته لك؛ وإن كان فوق رأسك. فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة. ثم هذه «المعية» تختلف أحكامها بحسب الموارد) مجموع الفتاوى (١٠٣/٥) وانظر: مختصر الصواعق المرسلة (٢/٤٥٥).
(١) مختصر الصواعق المرسلة (٢/٤٥٧، ٤٥٦).

وَقَوْلِهِ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ؛ فَلَا يَنْصُقَنَّ قَبْلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(١). وَقَوْلُهُ ﷺ: «اللَّهُمَّ! رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ! رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ! فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى! مُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا. أَنْتَ الْأَوَّلُ؛ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ؛ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ؛ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٢). وَقَوْلُهُ - لَمَّا رَفَعَ أَصْحَابُهُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ - : «أَيُّهَا النَّاسُ! ازْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا؛ إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا؛ إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيْ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنْتِ رَاحِلَتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(٣).

الشيخ:

هذه الأحاديث الثلاثة تُثبت قرب الله تعالى من عباده، ففي الحديث الأول يبين ﷺ أن الله تعالى قبل وجه المؤمن في الصلاة، وأنه تعالى قريب من عبده

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب لا يبصق عن يمينه في الصلاة (١/١٤٨) برقم (٤١٠)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر (ص: ١١٢١) برقم (٣٠٠٨).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (ص: ١٠١٥) برقم (٢٧١٣).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير (٢/٩٢٠) برقم (٢٩٩٢)، ومسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (ص: ١٠١٢) برقم (٢٧٠٤).

الذي يُصَلِّي؛ مع كونه تعالى على العرش استوى.
وفي الحديث الثاني: إثبات أن الله تعالى مع كونه ظاهرًا أي: أنه فوق كُلِّ شيء؛ فهو عالٍ على خلقه ومع ذلك هو قريبٌ مِنَّا جَلَّ وَعَلَا^(١).
الحديث الثالث: فيه إثبات قرب الله تعالى، مأخوذٌ مِنْ قول النبي ﷺ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقٍ رَاحِلَتِهِ»، فهذا يُثَبِّتُ قُرْبَ اللَّهِ تَعَالَى مع عُلُوِّه واستوائه على عرشه.

ويزعم أهل البدع: أن هذا فيه تناقضا كيف أن الله تعالى في عُلُوِّه ومُسْتَوٍ على عرشه وهو قَبْلُ المصَلِّي؟
فالجواب على ذلك أن يقال:

أولاً: أنه لا يجوز قياس صفة الخالق على صفة المخلوق.

ثانياً: من الأمثلة التي توضح ذلك هو: أن الإنسان إذا نظر في الصباح الباكر إلى الشمس من جهة الشرق فَإِنَّ الشمس تستقبله، والشمس في السماء، فهذا إذا كان يَصْحُ في مخلوق، فالله قَادِرٌ على كُلِّ شيء، فَإِنَّ الله تعالى على عرشه وهو قريبٌ مِنْ عِبَادِهِ مُطَّلِعٌ عليهم.



(١) قال شيخ الإسلام -معلقاً على هذا الحديث-: (حَقُّ على ظاهره وهو سبحانه فوق العرش وهو قَبْلُ وجه المصلي؛ بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات. فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه وكانت أيضاً قبل وجهه. وقد ضرب النبي ﷺ المثل بذلك - والله المثل الأعلى- ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وإمكانه؛ لا تشبيه الخالق بالمخلوق) مجموع الفتاوى (١٠٧/٥).

وَقَوْلِهِ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ؛ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»^(١)، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيِيهِ؛ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(٢).

الشيخ:

هذا الحديث يدلُّ على إثبات رؤية الله تعالى، وقد تقدَّم إثبات الرؤية من القرآن، وهذا الحديث يدلُّ صراحةً على أنَّ المؤمنين سيرون ربَّهم في الجنة كما يرون القمر ليلة البدر، وحينما يكون القمرُ بدرًا يراه كُلُّ أَحَدٍ ساطعًا؛ لا يخفى على ذوي العيون المبصرة، والتمثيل هنا يُراد به تمثيل الرؤية للرؤية لا تمثيل المرئي بالمرئي^(٣).

والرؤية ثابتةٌ بالكتاب والسنة وإجماع السلف^(٤).

ومعنى قوله: «لَا تُضَامُونَ»، أي لا ينضم بعضهم إلى بعض، فكلُّ واحدٍ من المؤمنين يرى الله جَلَّ وَعَلَا وهو في مكانه^(٥)، مثل ما يرى القمر ليلة البدر، والله المثل الأعلى.

(١) لفظ الصحيحين (كما ترون هذا القمر) وكان القمر بدرًا كما قال جرير رَحِمَهُ اللهُ وهو راوي الحديث.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر (١/ ١٨٤) برقم (٥٥٤)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (ص: ٢٢٥) برقم (٦٣٣).

(٣) انظر: التدمرية (ص: ٧٨).

(٤) تقدم الكلام على رؤية الله في الجنة بنوع من التفصيل.

(٥) جاء في بعض الروايات (لا تضامون) بتخفيف الميم ومعناه: (لا يضيء بعضهم بعضًا في رؤيته) قاله الخطابي كما في أعلام الحديث (١/ ٤٣٠)، وانظر: فتح الباري لابن رجب (٤/ ٣٢١).

إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ،
فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ
اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ: تَحْرِيفٍ وَلَا تَغْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ: تَكْثِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.

الشيخ:

يقصد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِمَا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ
مِنَ الصِّفَاتِ، كَمَا يُؤْمِنُونَ بِالصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى؛ إِذْ أَنَّ السُّنَّةَ
وَحْيٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ حَفِظَ السُّنَّةَ كَمَا حَفِظَ الْقُرْآنَ.
وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى الْإِيمَانِ بِالصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ فِي السُّنَّةِ؛
كَمَا أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.
قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَهْلُ السُّنَّةِ مَجْمِعُونَ عَلَى الْإِقْرَارِ بِالصِّفَاتِ
الْوَارِدَةِ كُلِّهَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِيمَانِ بِهَا وَحَمْلِهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا عَلَى
الْمَجَازِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يُكَيِّفُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ)^(١).



(١) التمهيد (٧/ ١٤٥)، وانظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٢٦٣).

بَلْ هُمُ الْوَسْطُ فِي فِرْقِ الْأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسْطُ فِي الْأُمَمِ، فَهُمْ وَسْطٌ فِي:
 بَابِ صِفَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ
 الْمُشَبَّهَةِ^(١). وَهُمْ وَسْطٌ فِي بَابِ أَعْمَالِ اللَّهِ تَعَالَى بَيْنَ الْقَدَرِيَّةِ^(٢) وَالْجَبَرِيَّةِ^(٣).

﴿الشرح﴾:

لما انتهى المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ مَبِثِّ الصِّفَاتِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا السَّنَّةُ نَاسَبَ
 بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَبَيِّنَ مُحَاسِنَ أَهْلِ السَّنَةِ، وَمِنْ مُحَاسِنِ أَهْلِ السَّنَةِ أَنَّهُمْ وَسْطٌ بَيْنَ
 سَائِرِ الْفِرَقِ، كَمَا أَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ دِينٌ وَسْطٌ بَيْنَ سَائِرِ الْأَدْيَانِ.
 وَمِنْهُدَى أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ وَسْطٌ فِي الْأُمُورِ الْآتِيَةِ^(٤):

(١) المشبهة: فرقةٌ مِنَ الْفِرَقِ الْهَالِكَةِ، تُشَبَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِخَلْقِهِ، وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ بِالتَّشْبِيهِ الرُّوَافِضُ، وَمِنْ زَعَمَاءِ
 الْمَشَبَّهَةِ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ، وَبِيَانُ بْنُ سَمْعَانَ، قَالَ نُعَيْمٌ فِي حَمَادٍ: (مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ تَعَالَى بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ).

انظر: الفرق بين الفرق (ص ٢١٤)، التبصير في الدين (ص ١١٩)، الملل والنحل (١/ ٩٢).

(٢) القدريّة: طائفةٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ، يَقُولُونَ أَنَّ الْعِبَادَ يَخْلُقُونَ أَعْمَالَهُمْ، فَاتَّبَعُوا خَالِقًا مَعَ اللَّهِ، وَيُطْلَقُ
 عَلَيْهِمْ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهَذَا الْقَوْلُ -أَعْنِي: الْقَوْلُ أَنَّ الْعِبَادَ يَخْلُقُونَ أَعْمَالَهُمْ- مِنْ أَصُولِ الْمُعْتَزِلَةِ.

انظر: الفصل (٥ / ٥٧)، الملل والنحل (١ / ٤١).

(٣) الجبريّة: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ أَنَّ الْعِبَادَ مُجْبُورُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَأَنَّ الْأَعْمَالَ مُضَافَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا
 تَنْسَبُ الْأَعْمَالُ إِلَى الْعِبَادِ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ، وَصَاحِبُ هَذَا الْقَوْلِ هُوَ الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ، وَقَدْ تَبَعَهُ بَعْضُ
 الْفِرَقِ الْكَلَامِيَةِ فِي ذَلِكَ.

انظر: مقالات الإسلاميين، (ص: ٢٧٩)، الملل والنحل (١ / ٧٢).

(٤) انظر: الصفديّة (٢ / ٣١٣). وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ هِيَ الْأُمَّةُ الْوَسْطَى فِي

جَمِيعِ أَبْوَابِ الدِّينِ، فَإِذَا انْحَرَفَ غَيْرُهَا مِنَ الْأُمَمِ إِلَى أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ كَانَتْ هِيَ فِي الْوَسْطِ).

كَمَا كَانَتْ وَسْطًا فِي بَابِ أَسْمَاءِ الرَّبِّ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ بَيْنَ الْجَهْمِيَّةِ الْمُعْطَلَةِ، وَالْمَشَبَّهَةِ الْمُمَثِّلَةِ.

وَكَانَتْ وَسْطًا فِي بَابِ الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ بَيْنَ مَنْ عَبَدَهُمْ وَأَشْرَكَهُمْ بِاللَّهِ كَالنَّصَارَى، وَبَيْنَ مَنْ قَتَلَهُمْ وَكَذَّبَهُمْ.

أَوَّلًا: في الصِّفَات؛ فمذهب أهلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَسَطٌ بَيْنَ الْمَعْطَلَةِ الَّذِينَ يَنْفُونَ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتَ وَيُعْطِلُونَ اللَّهَ تَعَالَى عَنْ كَمَالِهِ الْمُقَدَّسِ، وَبَيْنَ الْمَشَبَّهَةِ الَّذِينَ يَشَبِّهُونَ صِفَاتِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ، فَمَنْ شَبَّهَ صِفَاتِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ^(١)، فَالْمَشَبَّهُ يَعْبُدُ صَنْمًا، وَالْمَعْطَلُ يَعْبُدُ عَدَمًا^(٢).

ثَانِيًا: فِي بَابِ الْقَدَرِ؛ وَأَفْعَالِ الْمَخْلُوقِينَ؛ فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَسَطٌ بَيْنَ الْجَبَرِيَّةِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْعَبْدَ مُجْبُورٌ عَلَى أَفْعَالِهِ لَا إِرَادَةَ لَهُ وَلَا اخْتِيَارَ لَهُ وَلَا مَشِيئَةَ لَهُ؛ بَلْ هُوَ بِمَنْزِلَةِ الشَّجَرِ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ، وَبَيْنَ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ الْعَبْدَ مُسْتَقِلٌّ بِفِعْلِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَعْلَمُ مِنَ الْعَبْدِ الْفِعْلَ حَتَّى يَقَعَ مِنْهُ، وَأَنَّ الْعَبْدَ

فَأَمَّنُوا بِهِمْ وَصَدَّقُوهُمْ وَنَزَّلُوهُمْ مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْعِبَادَةِ.

وكَانَتْ وَسَطًا فِي الْقَدَرِ بَيْنَ الْجَبَرِيَّةِ الَّذِينَ يَنْفُونَ أَنَّ يَكُونَ لِلْعَبْدِ فِعْلٌ أَوْ كَسْبٌ أَوْ اخْتِيَارُ الْبَتَّةِ، بَلْ هُوَ مُجْبُورٌ مَقْهُورٌ لَا اخْتِيَارَ لَهُ وَلَا فِعْلَ، وَبَيْنَ الْقَدَرِيَّةِ النَّفَاةِ الَّذِينَ يَجْعَلُونَهُ مُسْتَقِلًّا بِفِعْلِهِ، وَلَا يَدْخُلُ فِعْلُهُ تَحْتَ مَقْدُورِ الرَّبِّ تَعَالَى، وَلَا هُوَ وَاقِعٌ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ.

فَأَثْبَتُوا لَهُ فِعْلًا وَكَسْبًا وَاخْتِيَارًا حَقِيقَةً، هُوَ مُتَعَلِّقُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ وَاقِعٌ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ، فَمَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا تَتَحَرَّكُ ذَرَّةٌ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَالْعِبَادَةُ أَوْضَعُ وَأَعْجَزُ أَنْ يَفْعَلُوا مَا لَمْ يَشَأْ اللَّهُ وَلَا قُدْرَهُ وَلَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ.

وكَذَلِكَ هُمْ وَسَطٌ فِي الْمَطَاعِمِ وَالْمُشَارِبِ بَيْنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الطَّيِّبَاتُ عِقُوبَةً لَهُمْ، وَبَيْنَ النَّصَارَى الَّذِي يَسْتَحِلُّونَ الْخَبَائِثَ، فَأَحَلَّ اللَّهُ لَهُذَا الْأُمَّةَ الْوَسْطَ الطَّيِّبَاتِ وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ. وَكَذَلِكَ لَا تَجِدُ أَهْلَ الْحَقِّ دَائِمًا إِلَّا وَسَطًا بَيْنَ طَرَفِي الْبَاطِلِ، فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَسَطٌ فِي النَّحْلِ، كَمَا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ وَسَطٌ فِي الْمَلَلِ) مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ (٣/١٥١٣، ١٥١٢).

(١) قَالَ نَعِيمُ بْنُ حَمَادٍ (مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ) أَخْرَجَهُ الذَّهَبِيُّ فِي الْعُلُو (ص: ١٧٢) بِرَقْمٍ (٤٦٤) وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي مَخْتَصَرِ الْعُلُو (ص: ١٨٤).

(٢) انْظُرْ: الْجَوَابَ الصَّحِيحَ (٤/٤٠٦)، الصَّوَاغِقُ الْمُرْسَلَةُ (١/١٤٨).

خالقُ لفعله؛ ولذلك أطلق أهل العلم على هؤلاء: أنهم مجوس هذه الأمة^(١).

ووجه كونهم مجوس هذه الأمة أنهم أثبتوا أنَّ العباد يخلقون مع الله^(٢)، كما أنَّ المجوسي يُثبت أكثر من خالق مع الله تعالى - تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا -، والمقصود بالقدرية هنا المعتزلة.

ثالثًا: في باب الوعيد؛ فهم وسط بين مذهب المرجئة الذين ينفون وقوع العقاب على المؤمن ولو كان مرتكبًا للآثام، لأنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، وبين الوعيدية من الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد من فعل الذنوب من المؤمنين في النار^(٣).

رابعًا: في باب أسماء الإيمان؛ فهم وسط بين مذهب الخوارج الذين جعلوا مرتكب الكبيرة كافرًا، فأطلقوا عليه اسم الكفر، والمعتزلة الذي جعلوا صاحب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين؛ لا هو مؤمن ولا هو كافر، وبين المرجئة الذين يزعمون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، وأنَّ إيمان أفجر الناس كإيمان الصَّحابة بل كإيمان أبي بكر وعمر وإيمان جبريل عليه السَّلام.

(١) وروى مرفوعًا، واختلف في صحته، وممن أثبت ابن القُطَّان في بيان الوهم والإيهام (٤٤٦/٥) والألباني في صحيح سنن أبي داود (١٤٣/٣)، وممن صَعَّفَه ابنُ الجوزي في العلل المتناهية (١٤٥/١) وابنُ حَجَرٍ في إتحاف المهرة (٤٦٤/٨)، ورويت هذه المقولة عن السَّلف. انظر: مجموع الفتاوى (٤٥٢/٨)، زاد المعاد (٥٣٢/٣).

(٢) لأنهم يقولون إنَّ العباد يخلقون الشرَّ. انظر: التسعينية (١٠٠٩/٣).

(٣) قال ابن أبي داود في منظومته الحاثية:

ولا تمتد رأي الخوارج إنه	مقال لمن يهواه يُزوي ويفضح
ولا تك مُزجياً لمؤيا بدنه	ألا إنما المُزجي بالدين يمزح

انظر: التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحاثية للدكتور عبد الرزاق البدر (ص: ٩٣).

وخامساً: في باب صحابة الرسول ﷺ؛ فهم وسط بين الرافضة الذين غلّوا في علي عليه السلام وفي أبناء الحسين حتى صرفوا حقوق الله إلى علي وآل بيته، فغلّوا فيهم حتى عبدوهم؛ فيزعمون أن الإمام يعلم الغيب^(١)، وأنه يعرف ما كان وما سوف يكون، وبين الخوارج الذين كفّروا أصحاب النبي ﷺ، لا سيما عثمان وعلي ومن كان معهما^(٢).

والتعطيل في اللغة: الخلو والترك والهجر، وفي الاصطلاح: نفي الأسماء والصفات أو نفي بعضها وإنكار قيامها بذات الله. والتعطيل أربع مراتب:

المرتبة الأولى: وصف الله بسلب النقيضين، وهو مذهب غلاة المعطلة، فإنهم يقولون: لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت، لأننا لو وصفناه بالإثبات لشبهناه بالمخلوقات، ولو شبهناه بالنفي لشبهناه بالمعدومات^(٣).

المرتبة الثانية: نفي الصفات الثبوتية مع الأسماء؛ والاختصار على الصفات السلبية، وهو مذهب المعطلة من الفلاسفة والجهمية، وهؤلاء كلهم ينفون الأسماء والصفات^(٤).

المرتبة الثالثة: الإيمان بالأسماء الحسنى، ونفي الصفات التي وردت في الكتاب والسنة، وهذا قول المعتزلة^(٥).

(١) انظر: منهاج السنة (٨/ ١٤٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٧٣).

(٣) انظر: التدمرية (ص: ١٦).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص: ١٧).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص: ١٨).

المرتبة الرابعة: إثبات الأسماء الحُسنى؛ وإثبات بعض الصفات، ونفي بقية الصفات الواردة في الكتاب والسنة، وهذا ما عليه أهل الكلام من الأشاعرة والماتريدية^(١).

وأما التشبيه في اللغة: فهو: المساواة، وفي الاصطلاح: مساواة غير الله بالله في صفاته. وحكم التشبيه كُفْرٌ؛ فَمَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ^(٢).

وفرق التشبيه في القديم هم أوائل الرافضة مثل: الهشامية نسبةً إلى هشام بن الحكم، والداودية نسبةً إلى داود الجواربي هذا في الرافضة؛ والكرامية نسبةً إلى مُحَمَّد بن سعيد بن كَرَّام وكان فقيهاً على مذهب أبي حنيفة لكنه فارق أصول أهل السنة والجماعة وقال بتشبيه صفات الله بصفات خلقه.

وأما حكم التشبيه وحكم التعطيل، فالتعطيل منه ما يكون كفراً وهو تعطيل الله عن الصفات الثبوتية، وتعطيله عن أسمائه وصفاته، كما عليه غلاة المعطلة فهذا كُفْرٌ؛ أمَّا التعطيل الجزئي وهو تعطيل بعض الصفات فهذا ليس بكفر، لأنَّ مَنْ قال بهذا التعطيل كان عن شُبْهَةٍ، وكان عن تأويل، وأراد التنزيه فوقع في إنكار الصفات^(٣).

(١) انظر: المصدر السابق (ص: ٣١).

(٢) كما قال نعيم بن حماد (مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ) وتَقَدَّمَ هذا الأثر.

(٣) سئل العلامة الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: عن حكم إنكار شيء من أسماء الله تعالى أو صفاته؟ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(الإنكار نوعان:

النوع الأول: إنكار تكذيب، وهذا كفر بلا شك، فلو أن أحداً أنكر اسماً من أسماء الله، أو صفة من صفاته الثابتة في الكتاب والسنة، مثل أن يقول: ليس لله يد، فهو كافر بإجماع المسلمين؛ لأن تكذيب خبر الله ورسوله كفر مخرج عن الملة.

النوع الثاني: إنكار تأويل، وهو أن لا يجدها، ولكن يؤوّلها وهذا نوعان:

والجهمية: نسبة إلى الجهم بن صفوان، وهو تلميذ الجعد بن درهم؛ مؤسس فرقة التَّعْطِيل وهم الجهمية، والجعد بن درهم كان يُجالس اليهود ويأخذ عنهم بعض أقوالهم واعتقاداتهم، فَمِمَّا أَخَذَ عَنْهُمْ تَعْطِيلُ اللَّهِ عَنْ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَأَخَذَهَا الْجَعْدُ عَنْ أَبَانَ^(١) بْنِ سَمْعَانَ، وَأَخَذَهَا أَبَانَ عَنْ طَالُوتِ بْنِ أَخْتِ لَيْدِ بْنِ الْأَعْصَمِ، وَأَخَذَهَا طَالُوتُ مِنْ لَيْدِ بْنِ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِي السَّاحِرِ الَّذِي سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ.

ومن أسباب افتراق هذه الأمة تأثيراتٌ خارجيةٌ وتأثيراتٌ داخلية، فمنَ ضِمْنِ التأثيرات الخارجية تأثير اليهود؛ فقد أسهموا في تأسيس فرقة التَّعْطِيل؛ وأسهموا كذلك في تأسيس فرقة السَّبْيَةِ الْغُلَاةِ فِي عَلِيِّ ﷺ وفي آل بيته، وكذلك النصارى لهم تأثير وقد أسهموا في تأسيس فرقة الْقَدَرِيَّةِ وَالْمَشْبَهَةِ.



الأول: أن يكون لهذا التأويل مُسَوِّغٌ في اللغة العربية فهذا لا يوجب الكفر. الثاني: أن لا يكون له مُسَوِّغٌ في اللغة العربية فهذا مُوجِبٌ للكفر، لأنه إذا لم يكن له مُسَوِّغٌ صار تكذيباً، مثل أن يقول: ليس لله يد حقيقة، ولا بمعنى النعمة، أو القوة، فهذا كافر؛ لأنه نفاه نفيًا مطلقاً فهو مَكْذُوبٌ حقيقةً، ولو قال في قوله تعالى: ﴿بِئْسَ يَدَاهُ مَبْسُوثَتَانِ﴾ المراد بيديه السماوات والأرض فهو كافر، لأنه لا يَصِحُّ في اللغة العربية، ولا هو مقتضى الحقيقة الشرعية فهو منكر مَكْذُوبٌ. لكن إن قال: المراد باليد النعمة أو القوة فلا يكفر لأن اليد في اللغة تطلق بمعنى النعمة قال الشاعر:

وكم لظلام الليل عندك من يد تحدث أن المانويَّةَ تكذب

من «يد» أي: من نعمة؛ لأن المانوية يقولون: إن الظلمة لا تحدث الخير وإنما تحدث الشر. فتاوى ابن عثيمين (١/١٧٧، ١٧٦).

(١) وقيل إن اسمه: بيان بن سمعان. انظر: البداية والنهاية (١٣/١٩٩، ١٤٧)، وحاشية المحقق على الفتوى الحموية (ص: ٢٣٤).

وَفِي: بَابِ وَعِيدِ اللَّهِ بَيْنَ الْمُرْجَةِ، وَبَيْنَ الْوَعِيدَةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ.

الشيخ:

المراد بالوعيد هو: ما جاء فيه وعيدٌ من الله تعالى، إما في خروج من الإسلام، أو بالحكم على أنه فاسق، أو على أنه كافر، وأما في الآخرة: الوعيد بدخول النار أو التخليد فيها.

وَالْمُرْجَةُ يَنْفُونَ الْعِقَابَ عَنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ، فَمَجْرَدُ أَنَّهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَهُوَ مَوْءُونٌ عَنْهُمْ، وَإِيْمَانُهُ كِإِيْمَانِ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ، وَكِإِيْمَانِ الْمَلَائِكَةِ؛ لِأَنَّهُمْ اشْتَرَكُوا فِي التَّصْدِيقِ وَالْإِيْمَانِ، وَالْمُرْجَةُ يَقْتَصِرُونَ عَلَى التَّصْدِيقِ الْقَلْبِيِّ، وَيُخْرِجُونَ الْعَمَلَ مِنَ الْإِيْمَانِ، وَبِالتَّالِي النَّاسَ عَنْهُمْ سَوَاسِيَةً فِي الْإِيْمَانِ، لَا فَرْقَ بَيْنَ الْفَاجِرِ وَالتَّقِيِّ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْعَاصِيِ وَالْمُطِيعِ، وَأَنَّ كُلَّهُمْ سَوَاءٌ فِي الْإِيْمَانِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُرْجَةُ.

وَقَابِلُهُمُ الْوَعِيدَةُ وَهُمْ: الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ فزعموا: أَنَّ مِنْ ارْتَكَبَ كَبِيرَةً مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ كَانَ يَزْنِي أَوْ يَسْرِقُ أَوْ يَقْتُلُ، فَإِنَّ حُكْمَهُ فِي الدُّنْيَا عِنْدَ الْخَوَارِجِ أَنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ وَكَفَرَ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ عَنْهُمْ: خَالِدٌ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ.

وَأَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ: فَيُؤَافِقُونَ الْخَوَارِجَ فِي حُكْمِ الْآخِرَةِ، فَيَقُولُونَ أَنَّ صَاحِبَ الْكَبِيرَةِ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ، وَلَكِنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا يَقُولُونَ: هُوَ فِي مَرْتَلَةٍ بَيْنَ الْمَرْتَلَتَيْنِ؛ لَا مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ. وَالْقَدَرِيَّةُ يَعْنِي بِهِمُ: الْمُعْتَزِلَةُ.

وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الشَّرِيعَةَ جَاءَتْ بِالرَّغْبِ وَالتَّرْهِيبِ، وَجَاءَتْ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، فَالْمُرْجَةُ اقْتَصَرُوا عَلَى الْوَعْدِ وَتَرَكُوا الْوَعِيدَ، وَالْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ اقْتَصَرُوا عَلَى الْوَعِيدِ وَتَرَكُوا الْوَعْدَ، وَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَسَطٌ فِي ذَلِكَ.

وَفِي: بَابِ الْإِيمَانِ وَالَّذِينَ، بَيْنَ الْحُرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزَلَةِ وَبَيْنَ الْمُرْجِيَّةِ وَالْجَهَنَّمِيَّةِ.

الشيخ:

الْحُرُورِيَّةُ هم الخوارج نسبةً إلى البلد الذي خرجوا منه، وهي قريةٌ في العراق تُسَمَّى حَرُوراء^(١).

وَوَجْهُ كون أهل السنة وسطاً بين هؤلاء وهؤلاء؛ ذلك أن الخوارج كفّروا المسلم الذي يرتكب الكبيرة وأطلقوا عليه الكُفْر؛ وأما المرجئة فلا يطلقون الكُفْر على المسلم مهما ارتكب من نواقض الإيمان ونواقض الإسلام، ما دام أنه مُصدِّقٌ ويقول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ وأما أهل السنة والجماعة فقالوا: هو مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته. وهو ناقص الإيمان.



(١) انظر: معجم البلدان (٢/ ٢٤٥)، وقد ضبطها بفتحيتين وسكون الواو (حَرُوراء).

وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الرَّوَافِضِ، وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ.

الشيخ:

إن من أصول مذهب أهل السنة والجماعة محبة أصحاب النبي ﷺ وإنزالهم منزلتهم، وأن أفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنه، وأن ما وقع بينهم من خلاف فهم فيه مأجورون؛ فالمجتهد له أجران، والمخطئ له أجر واحد، وأن الخلاف بينهم نشأ عن اجتهاد، فينبغي للمسلم أن ينزلهم منزلتهم، ويقوم بحقهم؛ هذا مذهب أهل السنة والجماعة.

وخالف في ذلك الرافضة حيث أنهم سبوا أصحاب محمد ﷺ ما عدا نفرًا قليلًا منهم.

والرافضة قيل عنهم رافضة: لرفضهم خلافة الشيخين أبي بكر وعمر، وقيل: لرفضهم زيد بن علي^(١).

ومصطلح الرافضة يطلق على فرق عديدة^(٢):

(١) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ومن زمن خروج زيد افترت الشيعة إلى رافضة، وزيدية، فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما رفضه قوم، فقال لهم: رفضتموني، فسئوا رافضة لرفضهم إياه، وسُمِّيَ مَنْ لَمْ يرفضه من الشيعة زيدياً؛ لانتسابهم إليه) منهاج السنة (١/ ٣٥).

(٢) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (والشيعة هم ثلاث درجات، شرها الغالية الذين يجعلون لعلي شيئاً من الإلهية أو يصفونه بالنبوة، وكُفِرَ هؤلاء بَيْنَ كُلِّ مسلم يعرف الإسلام، وكفرهم من جنس كفر النصاري من هذا الوجه، وهم يشبهون اليهود من وجوه أخرى).

والدرجة الثانية: وهم الرافضة المعروفون، كالإمامية وغيرهم، الذين يعتقدون أن علياً هو الإمام الحق بعد النبي ﷺ بنص جلي أو خفي، وأنه ظلم ومُنِعَ حقه، ويبغضون أبا بكر وعمر ويشتمونهما، وهذا هو عند الأئمة سيما الرافضة؛ وهو بغض أبي بكر وعمر وسبهما.

* منهم الغلاة كالإسماعيلية، والبهرة، والدروز، والعلويين النصيريين^(١)، هؤلاء غلاة الرافضة^(٢).

* ومنهم دون ذلك في الغلو كالاثني عشرية ويسمّون بالجعفرية^(٣).

والدرجة الثالثة: المفضّلة من الزيدية وغيرهم، الذين يفضلون عليّاً على أبي بكر وعمر، ولكن يعتقدون إمامتهما وعدالتهما ويتولونهما، فهذه الدرجة وإن كانت باطلة، فقد نسب إليها طوائف من أهل الفقه والعبادة، وليس أهلها قريباً ممن قبلهم بل هم إلى أهل السنة أقرب منهم إلى الرافضة؛ لأنهم ينازعون الرافضة في إمامة الشيخين وعدلتهما وموالاتهما، وينازعون أهل السنة في فضلتهما على علي، والنزاع الأول أعظم، ولكن هم المرقاة التي تصعد منه الرافضة فهم لهم باب (الفتاوى الكبرى ٦/ ٣٧٠، ٣٦٩).

(١) هذه الفرق الأربع تندرج تحت مسمى الباطنية، والباطنية: لقب يشمل العديد من المذاهب والطوائف تشترك في تأويل النصوص، وأن لها معنى ظاهراً وباطناً، وأن النصوص والشعائر الدينية، والأحكام العملية هي رموز وأسرار، وأن عامة الناس هم الذين يقنعون بالظواهر، ولا ينفذون إلى المعاني الخفية التي هي من شأن أهل العلم الحق.

انظر: الفرق بين الفرق (ص: ٢٦٥)، فضائح الباطنية للغزالي (ص: ١١)، الملل والنحل (١/ ٢٠١)، مذاهب الإسلاميين للبدوي (٢/ ٧٥١).

(٢) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (وفي الملاحدة المتسبين إلى الأئمة من فيه بدع من الغلو يشبه غلو النصاري؛ كمن يدّعي الإلهية من الإسماعيلية كبني عُبيد القَدّاح كالحاكم وغيره ويدّعي الإلهية في علي بن أبي طالب أو غيره كدعوى النصيرية وهؤلاء كفّار عند المسلمين) الجواب الصحيح (٢/ ٤٠٢-٤٠٤).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: (هؤلاء القوم المُسمّون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفّر من اليهود والنصارى؛ بل وأكفّر من كثير من المشركين وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفّار التتار والفرنجة وغيرهم؛ فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالة أهل البيت وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ﷺ) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٤٩).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (وكذلك من يدّعي عصمة بني عبيد أو عصمة الاثني عشر أو عصمة بعض المشايخ. فإن النصاري يدعون عصمة الحواريين الاثني عشر وهؤلاء يدعون عصمة الأئمة الاثني عشر، وهؤلاء يسندون أصل دينهم إلى قول الحواريين المعصومين عندهم ويقولون أنهم

* ومنهم دون ذلك في الغلو وهم: الزيدية^(١).

وكل هؤلاء الفرق يجمعهم الغلو في عليّ وفي آل بيت النبي ﷺ، والزعم أن عليًا أحقُّ بهذا الأمر من أبي بكر وعمر؛ لكن الزيدية هم أحسن حالًا؛ لأنهم لا يسُبُّون أبا بكر وعمر، ويعتقدون صحّة خلافة أبي بكر وعمر؛ لكن يرون أن الأولي والأحقّ في ذلك هو عليّ بن أبي طالب.

والرّوافض^(٢) على طريقة المعتزلة في العقيدة؛ ففي التوحيد يثبتون الأسماء ويعطّلون الصّفات، وفي باب القدر قدريّة، وفي باب الإيمان على طريقة الوعيدية^(٣).

معصومون في النّقل عن المسيح وفي الفتيا وإنّ ما قالوه فقد قاله المسيح عَلَيْهِ الصّلاة والسّلام، وهؤلاء يقولون عن أولئك أنّهم معصومون في النّقل والفتيا وإنّ ما قالوه فقد قاله الرّسول عَلَيْهِ الصّلاة والسّلام) الجواب الصحيح (٢/ ٤٠٥، ٤٠٤).

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: (وأما شيعة علي فكثيرٌ منهم -أو أكثرهم- يذمُّ عثمان، حتّى الزيدية الذين يترحمون على أبي بكر وعمر، فيهم من يسبُّ عثمان ويذمُّه، وخيارهم الذي يسكت عنه فلا يترحم عليه ولا يلعنه) منهاج السنة النبوية (٦/ ٢٠٠).

(٢) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (فإنّ هاتين الفرقتين -يعني: الرافضة والجهمية- هما أعظم الفرق فسادًا في الدين وأصلهما من الزنادقة المنافقين ليستا من ابتداع المتأولين مثل قول الخوارج والمرجئة والقدرية فإن هذه الآراء ابتدعتها قوم مسلمون بجهلهم قصدوا بها طاعة الله فوقوا في معصيته، ولم يقصدوا بها مخالفة الرسول ولا محادّته بخلاف الرّفّض والتجهم؛ فإنّ مبدأهما من قوم منافقين مكذّبين لما جاء به الرّسول مبغضين له) الصواعق المرسلة (٤/ ١٤٠٤).

(٣) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: (الرافضة القدماء لم يكونوا جهمية، بل كانوا مثبتة للصّفات وغاليهم يصرّح بلفظ الجسم وغير ذلك، كما قد ذكر الناس مقالاتهم، كما ذكره أبو الحسن الأشعري وغيره في كتاب المقالات، والجهمية لم يكونوا رافضة، بل كان الاعتزال فاشيًا فيهم، والمعتزلة كانوا ضدّ الرافضة وهم إلى النّصب أقرب، فإنّ الاعتزال حدّث من البصرة والرّفّض حدّث من الكوفيين، والتشيع كثر في الكوفة وأهل البصرة كانوا بالضدّ).

فلما كان بعد زمن البخاريّ من عهد بني بُوَيّه الدّيلم فشا في الرّافضة التجهم وأكثر أصول المعتزلة،

وَأَمَّا الْخَوَارِجُ فَقَدْ كَفَرُوا عَلِيًّا وَمَنْ كَانَ مَعَهُ وَكَفَرُوا عِثْمَانَ، وَكَفَرُوا مُعَاوِيَةَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ، وَالْخَوَارِجُ قَابَلُوا الرَّافِضَةَ؛ فَالرَّافِضَةُ تَغْلُو فِي عَلِيٍّ وَفِي آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْخَوَارِجُ يَكْفُرُونَ عَلِيًّا.

وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَهُمْ وَسَطٌ؛ فَهُمْ يُحِبُّونَ الصَّحَابَةَ وَيُحِبُّونَ آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيُحِبُّونَ عَلِيًّا وَيُزَلُّونَهُ مِنْزِلَتَهُ، وَيُحِبُّونَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا يُكْفِرُونَ أَحَدًا مِنْهُمْ.



وظهرت القرامطة ظهورًا كثيرًا وجرى حوادث عظيمة. والقرامطة بنوا أمرهم على شيء من دين المجوس، وشيء من دين الصابئة، فأخذوا عن هؤلاء الأضليين النور والظلمة، وعن هؤلاء العقل والنفس، ورتبوا لهم دينًا آخر ليس هو هذا ولا هذا، وجعلوا على ظاهره من سيما الرافضة ما يظنُّ الجهال به أنهم رافضة. وإنما هم زنادقة منافقون، اختاروا ذلك؛ لأنَّ الجهل والهوى في الرافضة أكثر منه في سائر أهل الأهواء (الفتاوى الكبرى ٣٦٩/٦).

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (والرافضة المتقدمون لم يكونوا جهمية معطلة، وأما المتأخرون منهم من حدود أواخر المائة الثالثة فَضَمُّوا إِلَى بدعة الرِّفْضِ التَّجْهِمَ والقَدَر؛ فَتَغَلَّظَ أَمْرُهُمْ وَظَهَرَ مِنْهُمْ حَيْثُ تَدَّ القَرَامِطَةُ وَالبَاطِنِيَّةُ واشتهرت الزندقة الغليظة والتفان الأعظم في أمرائهم وعلمائهم وعامتهم، وأخذوا من دين المجوس والصابئة والمشركين ما خلطوه في الإسلام، وهم أعظم الطوائف نُفُورًا عَنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ وَحَدِيثِهِ وَأَثَارِ أَصْحَابِهِ لِمُضَادَّةِ ذَلِكَ لِبِدْعَتِهِمْ كَنُفُورِ الْجَهْمِيَّةِ عَنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَخْبَارِهَا) الصواعق المرسلة (١٤٠٦، ١٤٠٥/٤).

وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ: الْإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ،
وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ: مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَوْقَ
سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ.

الشيخ:

❦ قوله (فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ):

فيه إثبات العلو لله تعالى، فالله فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ بَاطِنٌ مِنْ خَلْقِهِ.
ويلاحظ أن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ دَائِمًا يُكْرِر هذه القضايا:
قضية العلو والاستواء، وقد ذكرها في مبحث الأدلة من القرآن وفي مبحث
الأدلة من السنة وذكرها في هذا الموضع؛ فقد كَرَّرَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.
وكذلك كَرَّرَ المَعِيَّةَ، وَكَرَّرَ الكلام على القرآن وأنه كلام الله، وليس
بمخلوق، فَإِنْ قِيلَ: لِمَاذَا شيخ الإسلام كَرَّرَ هذه الصِّفَات، وَلَمْ يَكْرَرْ بَقِيَّةَ
الصِّفَات؟ مع أنه ذَكَرَ جُمْلَةً كَثِيرَةً مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ (١)؟
الجواب: لأن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ يَنَظُرُ الْأَشَاعِرَةَ، وَهذه المسائل
هي أصول مذهب الأشاعرة؛ وقد انحرفوا في هذه المسائل؛ فَهَمَّ ضَلُّوا فِي بَابِ
الكلام؛ فيقولون: أَنَّهُ كَلَامٌ نَفْسِيٌّ وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ.
وَضَلُّوا فِي الْعُلُوِّ؛ فيقولون: أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ؛ وَلَيْسَ دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا
خَارِجَ الْعَالَمِ. وكذلك فِي الرُّؤْيَا؛ يقولون: أَنَّ اللَّهَ لَا يُرَى فِي الْعُلُوِّ.



(١) وقد تجاوزت أربعين صفة.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا؛ يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ. كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [الحديد: ٤]. وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ. فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللَّغَةُ. وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ. وَخِلَافُ مَا فَطَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْخَلْقَ. بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، ثُمَّ هُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ، أَيْنَمَا كَانَ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيِّمٌ عَلَيْهِمْ مُطَّلِعٌ إِلَيْهِمْ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي الرُّبُوبِيَّةِ.

﴿الشيخ﴾:

يتكلم شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَا النَّصِّ عَنْ صِفَةِ الْعُلُوِّ، وَصِفَةِ الْإِسْتَوَاءِ، وَصِفَةِ الْمَعِيَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي زَمَانِهِ كَانُوا يَكْثُرُونَ الْكَلَامَ عَلَى هَذِهِ الْمَسَائِلِ، فَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ يُكْرِّرُ هَذِهِ الصِّفَاتَ (١).

وعقيدة أهل السنة والجماعة أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، وَهُوَ مَعَ الْخَلْقِ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَهُوَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ بِتَأْيِيدِهِ وَحِفْظِهِ وَنَصْرَتِهِ لَهُمْ.

ولا يلزم من مصاحبة الشيء أَنْ يَكُونَ مُخَالَطًا، وَهَذَا مِثْلُ مَا يَقُولُ الْإِنْسَانُ: سَافَرْتُ وَالْقَمَرُ مَعِي، فَالْقَمَرُ مَعَ الْمُسَافِرِ فِي سَفَرِهِ، وَمَصَاحِبٌ لَهُ فِي السَّفَرِ، وَلَا يَعْنِي ذَلِكَ الْمَخَالَطَةُ.

(١) وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهَا مَعَ الرَّدِّ عَلَى بَعْضِ الشُّبُهَاتِ حَوْلَهَا.

ويوضح - هذه المسألة - ما قاله شيخ الإسلام - أيضًا - فقد قال: (ولا يحسب الحاسب أن شيئاً من ذلك يناقض بَعْضُهُ بَعْضًا البتّة، مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه في الظاهر قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله ﷺ: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبيل وجهه» ونحو ذلك، فإن هذا غلطٌ.

وذلك أن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة كما جمع بينهما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]. فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنّا، كما قال النبي ﷺ في حديث الأوعال: «والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه»^(١).

وذلك أن كلمة «مع» في اللغة إذا أطلقت، فليس في ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسية أو محاذاة عن يمين وشمال، فإذا قُيدَتْ بمعنى من المعاني دَلَّتْ على المقارنة في ذلك المعنى، فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا، أو النجم معنا. ويقال: هذا المتاع معي لمجامعته لك، وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة.

ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلما قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] دَلَّ ظاهر الخطاب على أن حُكْمَ هذه المعية ومقتضاها أنه مُطَّلَعٌ عليكم، شهيدٌ عليكم ومهيمنٌ عالمٌ بكم. وهذا معنى قول السلف: «إنه معهم بعلمه»، وهذا ظاهرُ الخطاب وحقيقته^(٢).

(٢) الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٥٢١، ٥٢٠).

(١) تقدم تخريجه.

وَكُلُّ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ؛ مِنْ: أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ مَعَنَا؛ حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ. لَا يَخْتِاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ.

❦ الشَّيْخُ:

❦ قوله: (حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ)

ردُّ على مَنْ قال: إِنَّ الْعُلُوَّ عُلُوٌّ مَعْنَوِي وليس علوًّا حسيًّا. والمتكلمون قَالُوا: إنَّ العلو هو: علو المكانة. أي: أن الله تعالى مكانته عالية.

وهذا من شبهات المتكلمين^(١)، فهم يقولون: إذا أثبتنا أن الله في العلو لزم أن يكون محاطًا بالأمكنة، وهذه شبهة مبنية على قياس الخالق على المخلوق^(٢)؛ فَإِنَّ الله تعالى عالٍ بائنٌ من خلقه جَلَّ وَعَلَا، وقد أجمع المسلمون على إثبات علو الله تعالى^(٣).



(١) انظر في الرد على شبهات المتكلمين: درء التعارض (٢/ ٢٨٨) وما بعدها.

(٢) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: (أما ما يفعله طوائف من أهل الكلام من إدخال الخالق والمخلوق تحت قياس شمولي أو تمثيل يتساويان فيه فهذا من الشرك والعدل بالله وهو من الظلم وهو ضرب الأمثال لله وهو من القياس والكلام الذي ذمَّ السَّلَفُ وعابوه) بيان تليس الجهمية (٥/ ٨٢).

(٣) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (ولهذا كان في فطر جميع الأمم الإقرار بعلو الله على خلقه)، التسعينية (٣/ ٩٥٨). وقال أيضًا: (القول بأن الله تعالى فوق العالم معلومٌ بالاضطرار من الكتاب والسنة وإجماع سَلَفِ الأُمَّة)، درء التعارض (٧/ ٢٦).

وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِّنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»^(١)، وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لَا يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلَيَّ فِي دُنُوهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

﴿الْمُتَشَبِّهِ﴾:

يَبِينُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَنَّ مِنْ فُرُوعِ الْإِيمَانِ قُرْبَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَّا، وَلِذَلِكَ فَهُوَ يَجِبُ مَنْ دَعَاهُ وَسَأَلَهُ، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ؛ وَهُوَ كَوْنُهُ قَرِيبًا مِنَّا، وَكَوْنُهُ يَجِبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاهُ، كَمَا فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمَصْنُفُ رَحِمَهُ اللَّهُ دَلِيلًا عَلَى هَذَا الْقُرْبِ، وَهُوَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِّنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»، وَلَكِنْ قُرْبَ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَ كَقُرْبِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا نَخُوضُ فِي كَيْفِيَةِ الصِّفَاتِ، وَلَا نَقِيسُ صِفَاتِ اللَّهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ.



(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (ص: ١٠١٢) برقم (٢٧٠٤).

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ
بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ.

وَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ
كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً، لَا كَلَامَ غَيْرِهِ.

رحمہ اللہ الشیخ:

❦ قوله: (مِنْهُ بَدَأَ):

أي: بدأ من الله. أي: تَكَلَّمَ اللهُ به، وسمعه جبريل، وبلغه جبريل إلى النبي ﷺ.

❦ وقوله: (وَإِلَيْهِ يَعُودُ):

أي: إليه يُرْفَعُ في آخر الزمان، فيُرفع في آخر الزمان من المصاحف ويُرفع من
الصدور^(١).

❦ قوله: (هُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً):

يردُّ على مَنْ قال: إِنَّهُ كَلَامٌ بِالْمَعْنَى؛ وهم الكَلَّابِيَّة، والأشعرِيَّة، والماترِيدِيَّة^(٢).



(١) قال عبد الله بن مسعود: (لِيُسْرَيْنَ عَلَى الْقُرْآنِ ذَاتُ لَيْلَةٍ وَلَا يَتْرَكَ آيَةً فِي مَصْحَفٍ، وَلَا فِي قَلْبِ أَحَدٍ إِلَّا رَفَعَتْ) أخرجه الدارمي (٢٢٠٦/٤) برقم (٣٣٨٦).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (وَأَمَّا إِلَيْهِ يَعُودُ: فَإِنَّهُ يَسْرِي بِهِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِنَ الْمَصَاحِفِ وَالصُّدُورِ فَلَا يَبْقَى فِي الصُّدُورِ مِنْهُ كَلِمَةٌ وَلَا فِي الْمَصَاحِفِ مِنْهُ حَرْفٌ) مجموع الفتاوى (١٩٨/٣).

(٢) وقد سبق الكلام على هذه الصفة وردُّ بعض الشبهات حولها.

وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ، أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ.

بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَقِيقَةً، فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

رحم الشيخ:

الذي يقول أن القرآن حكاية عن كلام الله تعالى هو ابن كُلاب، والذي يقول أن القرآن عبارة عن كلام الله تعالى هم الأشاعرة؛ فيقولون إن هذا القرآن عبارة عن كلام الله عبَّر عنه جبريل^(١).

(فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ مُبْتَدِئًا):

الكلام يضاف إلى من قاله ابتداءً وأنشأه، لا مَنْ بَلَّغَهُ، مثاله: إذا قال شخص كلامًا، ثُمَّ بَلَّغَ شَخْصًا آخَرَ هَذَا الْكَلَامَ، فَهَلْ يُنْسَبُ الْكَلَامُ إِلَى الْمُنْشِئِ - الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ هَذَا الْكَلَامَ - أَوْ يُنْسَبُ إِلَى الْمُبَلِّغِ؟

الجواب: ينسب إلى المنشئ، وفي هذا ردُّ على الكلائية والأشاعرة.

ومن جميل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَا الْبَابِ الْعَظِيمِ قَوْلُهُ:

(أَهْلُ السَّنَةِ يَقُولُونَ: الْكَلَامُ كَلَامٌ مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لَا كَلَامٌ مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

فَالرَّجُلُ إِذَا بَلَّغَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)^(٢))

(١) انظر: التسعينية (٢/ ٤٣٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١/ ٢١) برقم (١)،

ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ»، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال

(ص: ٧٣٨) برقم (١٩٠٧).

كان قد بَلَغَ كلام النبي ﷺ بحركاته وأصواته، وكذا إذا أنشد شعر شاعر كامرئ القيس أو غيره، فإذا قال:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

كان هذا الشعر شعر امرئ القيس، وإن كان هذا قد قاله بحركاته وأصواته، وهذا أمر مستقرٌّ في فطر الناس كُلِّهم، يَعْلَمُونَ أَنَّ الكلام كلام مَنْ تَكَلَّمَ به مبتدئاً، أمراً بأمره ومخبراً بخبره ومؤلفاً حروفه ومعانيه، وغيره إذا بَلَغَ عنه عِلْمُ الناس أن هذا كلامٌ للمبْلَغ عنه لا للمبْلَغ، وهم يُقَرِّقُونَ بين أن يقوله المتكَلِّم به والمبْلَغ عنه، وبين سماعه من الأوَّل وسماعه من الثاني، ولهذا كان من المستقرِّ عند المسلمين أَنَّ القرآن الذي يسمعونَه هو كلام الله، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ مع عِلْمِهِمْ بَأَنَّ القارئ يقرأه بصوته، كما قال النبي ﷺ: «رَبِّتُوا القرآن بأصواتكم»^(١)، فالكلامُ كلام الباري والصَّوتُ هو صَوْتُ القارئ^(٢).

فالقرآن كلام الله بحُرُوفِهِ وَمَعَانِيهِ، لا بالمعاني كما يقوله بعض أهل البدع، ولا بالحروف كما يقوله السَّالِمِيَّة، فَإِنَّ السَّالِمِيَّة يقولون: حروفه من الله، وأنَّ الحروف قديمة^(٣)، وأمَّا أهل السنَّة وَالْجَمَاعَة فيقولون: إِنَّ الله تَكَلَّمَ بالقرآن لفظاً ومعنى، والكَلَابِيَّة يقولون: إِنَّ الله تَكَلَّمَ بالمعنى دُونَ اللَّفْظ.



(١) أخرجه أبو داود برقم (١٤٦٨)، وابن ماجه برقم (١٣٤٢)، وأحمد في المسند (٤٥١/٣٠) برقم (١٨٤٩٤) وصَحَّحَهُ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٠٤/١).

(٢) التسعينية (٩٦٣-٩٦٥).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٥٢٧/١٢)، شرح الأصبهانية لابن تيمية (ص: ٣٩٣).

وَقَدْ دَخَلَ أَيضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَيْنَانَا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَخَوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةً الْبَذَرِ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتٍ ^(١) الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿ الشَّيْخُ: ﴾

يُكَرِّرُ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ مَسْأَلَةَ الرُّوْيَةِ لِلرَّدِّ عَلَى الْأَشَاعِرَةِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ: أَنَّ الرُّوْيَةَ هِيَ رُؤْيَةٌ قَلْبِيَّةٌ وَلَيْسَتْ رُؤْيَةٌ عَيْنِيَّةٌ. ومذهب أهل السنة والجماعة: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ بِأَعْيُنِهِمْ وَبِأَبْصَارِهِمْ، وَأَنَّ هَذَا مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ مَنْ كَذَّبَ بِوُقُوعِ الرُّوْيَةِ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مَكْذُوبٌ لِلْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَمَنْ كَذَّبَ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ فَقَدْ كَفَرَ؛ لَكِنْ لَا يُحْكَمُ عَلَى الَّذِي يُنْكَرُ الرُّوْيَةَ بِعَيْنِهِ أَنَّهُ كَافِرٌ، لَكِنْ يُقَالُ: أَنَّ هَذِهِ الْمَقَالَةَ كُفْرِيَّةٌ لِأَنَّهَا تَتَضَمَّنُ إِنْكَارَ كَلَامِ اللَّهِ وَإِنْكَارَ كَلَامِ الرَّسُولِ ﷺ، لَكِنْ لَا يُحْكَمُ عَلَى أَحَدٍ بِعَيْنِهِ حَتَّى يُقَامَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ وَيُوضَّحَ لَهُ الْمَحْجَّةُ ^(٢).

﴿ وَالرُّوْيَةُ فِي الْآخِرَةِ: ﴾

▪ إِمَّا أَنْ تَكُونَ عَامَّةً.

▪ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ خَاصَّةً.

(١) العرصات: جمع عرصه، وهي كل موضع واسع لا بناء فيه. النهاية في غريب الحديث (٢٠٨/٣).

(٢) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (والذي عليه جمهور السلف أَنَّ مَنْ جَحَدَ رُؤْيَةَ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فَهُوَ كَافِرٌ؛ فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ لَمْ يَتْلُغْ الْعِلْمَ فِي ذَلِكَ عُرِفَ ذَلِكَ كَمَا يَعْرِفُ مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَصَرَ عَلَى الْجُحُودِ بَعْدَ بُلُوغِ الْعِلْمِ لَهُ فَهُوَ كَافِرٌ) مجموع الفتاوى (٤٨٦/٦).

فالرؤية العامة: تكون في أرض المحشر في العرصات، فيراه الكُفَّار، ويراه المنافقون، ويراه المؤمنون؛ لكن رؤية الكُفَّار ورؤية المنافقين رؤية غَضَب^(١).
والرؤية الخاصة: هي رؤية المؤمنين ويكون ذلك في الجنة، ورؤية الله هي أعلى النعيم، وهذه لا تكون إلا للمؤمنين.



(١) وهذا أحد الأقوال في المسألة، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (والأقوال الثلاثة في رؤية الكُفَّار: أَحَدُهَا: أَنَّ الكُفَّار لا يرون رَبَّهُمْ بحال لا المظهر للكُفْر ولا المُسِرُّ له وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين وعليه يدلُّ عموم كلام المتقدمين وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد وغيرهم.
الثاني: أنه يراه مَنْ أظهر التَّوْحِيد من مؤمني هذه الأُمَّة ومنافقيها وغبرات مِنْ أهل الكتاب وذلك في عرصة القيامة ثم يحتجب عن المنافقين.
الثالث: أَنَّ الكُفَّار يرونه رؤية تعريف وتعذيب -كاللصِّ إذا رأى السُّلطان- ثُمَّ يحتجب عنهم لِيُعْظَم عذابهم وَيَشْتَدَّ عقابهم وهذا قول أبي الحسن بن سالم وأصحابه وقول غيرهم) مجموع الفتاوى (٦/٤٨٧).

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ، فَأَمَّا الْفِتْنَةُ: فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيَقَالُ لِلرَّجُلِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم ٢٧]، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَالْإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي. وَأَمَّا الْمُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: آه آه؛ لَا أَذْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُ، فَيُضْرَبُ بِمِزْرَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَاحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ؛ لَصَعِقَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى^(١).

الحمد للشيخ:

انتقل شيخ الإسلام إلى بيان اليوم الآخر، فبدأ بالكلام عن القيامة الصغرى وهي: التي تكون في القبر؛ وذلك لأن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فعن مولى عثمان قال: كان عثمان، إذا وقف على قبر بكى حتى يبلى لحيته، ف قيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ القبر أوَّلُ منزلٍ من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشدُّ منه».

(١) ما ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هو جزء من حديث البراء بن عازب الطويل، أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد (ص: ٤٣٠) برقم (١٢١٩)، وأحمد في المسند (٤٩٩/٣٠) برقم (١٨٥٣٤)، والرويان في المسند (٢٦٣/١) برقم (٣٩٢)، والأجري في الشريعة (١٢٩٤/٣) برقم (٨٦٤)، وابن منده في الإيمان (٩٦٢/٢) برقم (١٠٦٤)، والحاكم في المستدرک (٩٣/١) برقم (١٠٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦١٠/١) برقم (٣٩٠) وصححه الألباني في أحكام الجنائز (ص: ١٥٩).

قال: وقال رسول الله ﷺ: «ما رأيتُ منظرًا قَطُّ إِلَّا والقبر أفضع منه»^(١).

وفتنة القبر هي: سؤال الملكين الميت: مَنْ رَبُّكَ؟ وما دينك؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟.

فمن الإيمان بالله: الإِيْمَانُ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ من فتنة القبر.

ومن المعلوم أن الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان، ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بنعيم القبر وعذابه، ويكون النعيم والعذاب للروح والجسد^(٢)، وليس المراد بمن دفن فقط؛ بل كُلُّ مَنْ مات ولو ابتلعه حوت، أو أكلته السباع، فَإِنَّهُ سَيُفْتَنُ، وأما كيفية ذلك فالله أعلم بها.

وبعض الملاحدة الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوسات ينكرون هذه الفتنة فيقولون: نحن نضع الميت ثم نفتح قبر الميت بعد مُدَّة فلا نجده لا في نعيم ولا نجده في عذاب.

فالجواب هو: أَنَّ هذا العذاب أو هذا النعيم فوق عالم الْحِسِّ وفوق عالم الإدراك، وأخبر النبي ﷺ أَنَّ بعض المخلوقات يسمعون تعذيب الميت؛ لكن مِنْ لُطْفِ اللَّهِ أَنَّا لَا نَسْمَعُ تعذيب الميت؛ ولو سمعناه لم نهأ بعبثٍ في حياتنا الدُّنْيَا^(٣).

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٨)، وابن ماجه برقم (٤٢٦٧)، وأحمد في المسند (٥٠٣/١) برقم (٤٥٤) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٥٢٧/٢).

(٢) قال شيخ الإسلام: (مذهب سلف الأمة وأئمتها أَنَّ الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معدبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانا فيحصل له معها النعيم والعذاب) مجموع الفتاوى (٢٨٤/٤).

(٣) ومن الأدلة على ذلك قول رسول الله ﷺ: «إذا وضعت الجنازة، فاحتملها الرِّجَالُ على أكتافهم، فإن كانت صالحة قالت: قَدْ مُنِّي، قَدْ مُنِّي، وإن كانت غير صالحة قالت: يا وَيْلَها، أين يذهبون بها؟ يسمع صوتها كُلُّ شيءٍ إِلَّا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق» رواه البخاري برقم (١٣٨٠).

وعن أبي أيوب ؓ، قال: خرج النبي ﷺ وقد وَجَبَتِ الشَّمْسُ، فَسَمِعَ صَوْتًا فقال: «يهود تُعَذَّبُ في

ومما يَدُلُّ على ذلك ما رواه زيد بن ثابت، قال: بينما النبي ﷺ في حائطٍ لبني النَجَّار، على بَعْلَةٍ له ونحن معه، إذ حَادَتْ به فكَادَتْ تُلْقِيهِ، وإذا أَقْبَرُ سِتَّةَ أو خمسة أو أربعة فقال: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟» فقال رَجُلٌ: أنا، قال: «فمَتَى مات هؤلاء؟» قال: ماتوا في الإِشْرَاق، فقال: «إِنَّ هَذِهِ الْأَمَّةَ تَبْتَلِي فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسَمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ»، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فقال: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» قالوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فقال: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. الحديث^(١).

وهذه الفتنة عامَّةٌ لِكُلِّ مَنْ مات؛ وَيُسْتَنْتَى مِنْهَا الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ^(٢)، وكذلك الشهيد في سبيل الله^(٣)، والمرابط^(٤)، فَإِنَّهُمْ لَا يَفْتَنُونَ وَلَا يُسْأَلُونَ فِي الْقَبْرِ، واختلف أهل العلم في الصغير هل يُسأل ويُفْتَن؟ فمنهم من قال: إنه يُفْتَنُ وَيُسأل في قبره، ومنهم من قال: لا يُسأل ولا يُفْتَنُ في قبره لعدم حصول التكليف^(٥).

قُبُورِهَا» أخرجه البخاري برقم (٢٨٦٩).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (ص: ١٠٧٢) برقم (٢٨٦٧).

(٢) انظر: جامع المسائل (المجموعة الثالثة) (ص: ٢٣٨)، الروح لابن القيم (ص: ٢٤٣).

(٣) ويدل عليه حديث أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بِالْمُؤْمِنِينَ يَفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: (كُفَى بِبَارِقَةِ السَّيْفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً) أخرجه النسائي، كتاب الجنائز، الشهيد (ص: ٣٢٧) برقم (٢٠٥٣)، وفي الكبرى (٢/ ٤٧٤) برقم (٢١٩١)، وابن أبي عاصم في الجهاد (٢/ ٥٧٠) برقم (٢٣٠) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٤٣).

(٤) ويدلُّ عليه قوله ﷺ: «رَبَّاطٌ يَوْمَ وَلِيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَنُ» أخرجه مسلم برقم (١٩١٣).

(٥) انظر الكلام على هذه المسألة في جامع المسائل (المجموعة الثالثة) (ص: ٢٣٨).

❦ وقد خالف بعض المنحرفين مذهب أهل السنة والجماعة في فتنة القبر:

فمنهم: الملاحدة؛ فإنهم أنكروا أن يكون فتنة، أو وقوع السؤال في القبر.

ومنهم: طائفة من الفلاسفة؛ فإنهم زعموا أن العذاب هو روحاني وليس بجسماني.

ويقولون: أنه لا توجد جنة حقيقية أو نار حقيقية في الآخرة؛ وإنما الجنة هي

الراحة النفسية والنعيم النفسي، والنار هو العذاب النفسي، فليس هناك جنة محسوسة

ولا ناراً محسوسة.

ومنهم: المعتزلة؛ فإنهم ضلُّوا في هذا الباب أيضاً^(١).



(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٤، ٢٨٣) فإنه ذكر الأقوال الباطلة في المسألة ثم ذكر مذهب أهل السنة والجماعة والأدلة عليه.

فَتُعَادُ الْأَرْوَاحُ إِلَى الْأَجْسَادِ، وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا فِي كِتَابِهِ،
وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ، فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ
لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرُلًا.

رحم الشَّيْخ:

﴿قوله (غُرُلًا):﴾

يعني: غير مختونين، والقيامة الصغرى: هي الموت. فمن مات فقد قامت
قيامته؛ وأما القيامة الكبرى فهي تكون حين البعث.

فنقول: ما ثبت في الكتاب والسنة وجب تصديقه والإيمان به؛ سواء أدركته
عقولنا وحواسنا أم لم تدركه.

ونحن نؤمن بكثير من المسائل وهي خلاف المحسوس، فنؤمن بوجود الروح،
والروح لا تقع تحت الحس، ونؤمن بوجود العقل ولم نشاهده ولكن نرى آثاره^(١).
فليس كل ما لم يقع تحت الحواس نحكم بأنه غير موجود؛ فإن حواسنا
ضعيفة محدودة.

وأحوال القبر، وأمور الآخرة، هي من أمور الغيب التي نؤمن بها.



(١) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يخبرون الناس بما تقصر عقولهم عن معرفته لا بما يعرفون
أنه باطل ممتنع؛ فيخبرونهم بمحيرات العقول لا محالات العقول) (الجواب الصحيح (٢/ ٤١٥، ٤١٤)).

وَتَذْنُو مِنْهُمْ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ.

الشيخ:

بعدما انتهى المؤلف عن القيامة الصغرى؛ بدأ بالقيامة الكبرى، وذكر رَحْمَةُ اللَّهِ أَنَّ فِي الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى تَذْنُو الشَّمْسُ مِنَ الْخَلْقِ بِقَدَرِ مِيلٍ، كَمَا جَاءَ عَنْ سَلِيمِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي الْمَقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَذْنُو الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمَقْدَارِ مِيلٍ» - قَالَ سَلِيمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةُ الْأَرْضِ، أَمْ الْمِيلُ الَّذِي تَكْتَحِلُ بِهِ الْعَيْنُ - قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ الْجَمَامَا» قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ (١).

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْلَمُ مِنْ حَرَارَةِ الشَّمْسِ فَيُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، ففَاضَتْ عَيْنَاهُ» (٢).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة (ص: ١٠٧٠) برقم (٢٨٦٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين (١/ ٤٢٤) برقم (١٤٢٣)، ومسلم، كتاب

الزكاة، (ص: ٣٦١) برقم (١٠٣١).

وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ فِيهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (١٠٣) [المؤمنون: ١٠٣، ١٠٢].

📖 الشَّيْخُ:

من الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالموازين، والموازين: جمع ميزان. وقد دَلَّ على إثباته القرآن والسنة والإجماع^(١)، والميزان له لِسَانٌ وَكِفَّتَان.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٦) ﴿هُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٨) [القارعة: ٦ - ٩]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وأما من السنة، فيدُلُّ عليه قوله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحانه الله ويحمده، سبحانه الله العظيم»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «إنه ليأتي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرءوا: ﴿فَلَا تَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾» (١٠٥)»^(٣).
وقوله ﷺ: «ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق»^(٤).

(١) نقل ابن بطّة الإجماع على إثبات الميزان. انظر: الإبانة الكبرى (ص: ٩٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم فصلي أو قرأ، أو سبح، أو كبر، أو حمد، أو هلّل، فهو على نيته (٤ / ٢٠٨٦) برقم (٦٦٨٢). ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والتحميد (ص: ١٠١٠) برقم (٢٦٩٤).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ص: (١٠٤٧) برقم (٢٧٨٥).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق (ص: ٨٧١) برقم (٤٧٩٩)، والترمذي، كتاب

وقد جاءت النصوص في الميزان تارةً بالجمع، وبالإفراد تارةً أخرى، فجمع بعض العلماء ذلك فقال: إِنَّ الموازين جُمِعَتْ باعتبار الموزون لأنَّه متَعَدَّد، وأفرد باعتبار أنَّ الميزان واحدٌ، أو ميزان كُلِّ أُمَّة، وقيل: غير ذلك^(١)، والله أعلم. والميزان هو ميزان حقيقي حسي، وليس معنويًا كما تقوله المعتزلة. والذي جاء في السنة: أنه حقيقي حسي يُرى؛ فتوزن به الأعمال، وتوزن به الأشخاص، حتى أن الرجل البدين الثقيل الجسم يكون وزنه ضعيفًا في الميزان.



البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق (ص: ٤٥٤) برقم (٢٠٠٣)، وأحمد في مسنده (٤٥ / ٤٨٧) برقم (٢٧٤٩٦)، والبخاري في الأدب المفرد، (١٠٣ / ١) برقم (٢٧٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٢ / ٣٦٣) برقم (٧٨٢)، والبزار في مسنده (١٠ / ٣٥) برقم (٤٠٩٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١١ / ٢٥٧) برقم (٤٤٢٨)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (ص: ٣٩) برقم (٥٦)، وابن حبان في صحيحه (٢ / ٢٣٠) برقم (٤٨١)، والآجري في الشريعة (٣ / ١٣٣١) برقم (٨٩٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧ / ١٠٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠ / ٣٦٨) برقم (٧٦٣٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣ / ١٧٩). (١) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (٢ / ١٣٩).

وَتُنَشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ، فَأَخِذْ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَأَخِذْ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ (١٣) أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

﴿الشيخ﴾:

ومن الأمور المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر: نشر الدواوين أي: فتحها وتوزيعها. والدواوين هي: صحائف الأعمال التي كتبها الملائكة على الإنسان، فما من إنسان إلا ومعه ملكان عن يمينه وعن شماله، أحدهما يَكْتُبُ الحسنات والآخر يَكْتُبُ السيئات: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ (٧) ﴿فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ (١١) ﴿[الانشقاق: ٧ - ١١]. وقال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلْتَنِي لَأُوْتِيَ كِتَابَهُ﴾ [الحاقة: ٢٥].

﴿والناس على قسمين:

أولاً: أهل اليمين.

ثانياً: أهل الشمال، وهم من يؤتون كتابهم مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ (٢).

(١) قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ -في تفسير هذه الآية-: (وذلك أن جعل يده اليمنى إلى عنقه، وجعل الشمال من يديه وراء ظهره، فيتناول كتابه بشماله من وراء ظهره، ولذلك وصفهم جل ثناؤه أحياناً، أنهم يؤتون كتبهم بشمالهم، وأحياناً أنهم يؤتونها من وراء ظهورهم) تفسير الطبري (٢٣٩/٢٤).

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (الظاهر أن هذا الاختلاف اختلاف صفات؛ فالذي يأخذ كتابه من وراء ظهره هو الذي يأخذ كتابه بشماله؛ فيأخذ بالشمال، وتجعل يده من الخلف؛ فكونه يأخذه بالشمال؛ لأنه من أهل الشمال، وكونه من وراء ظهره؛ لأنه لما استدبر كتاب الله، وولَّى ظهره إِيَّاهُ في الدُّنْيَا؛ صار مِنْ

فيجب أن نؤمن بأن الله تعالى سيحاسب جميع الخلائق على أعمالهم يوم القيامة، وأنَّ صحائف أعمالهم تُنشر، وَمِنْهُمْ مَنْ يأخذ كتابه بيمينه وهم أهل السَّعَادَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يأخذ كتابه بشماله أو مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ وهم أهل الشَّقَاوَةِ.



العدل أن يجعل كتاب أعماله يوم القيامة خَلْفَ ظَهْرِهِ؛ فعلى هذا؛ تخرج اليد الشمال حتى تكون من الخلف. والله أعلم) شرح الواسطية (٢/١٥١، ١٥٠).

وَيَحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلْقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيَقَرُّهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وَصَفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلَا يُحَاسِبُونَ مُحَاسَبَةً مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا حَسَنَاتٍ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدَّدُ أَعْمَالُهُمْ، وَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا وَيُجْزَوْنَ بِهَا.

❦ الشَّيْخُ:

ومن الأمور المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر أيضًا: الحساب، وهو محاسبة الله للخلائق على أعمالهم.

❦ والحساب ثابت بالكتاب والسنة والإجماع:

فَأَمَّا الْكِتَابُ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧، ٨].

وَأَمَّا السُّنَّةُ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عَمَلِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ»^(١).

والنصوص في السنة الدالة على الحساب كثيرة، وقد نقل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ إجماع أهل السنة والجماعة على إثبات الحساب يوم القيامة^(٢).

وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَخْلُو بِالْمُؤْمِنِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَتْفَهُ وَيَسْتَرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ

(١) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة (ص: ٥٤٤) برقم (٢٤١٧)، والدارمي في مسنده (١/ ٤٥٢) برقم (٥٥٤). وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٥٧٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٤٨٦).

رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٨﴾ [هود: ١٨]»^(١).

وَأَمَّا مُحَاسَبَةُ الْكَافِرِ^(٢) فَإِنَّهُ يُوقَفُ عَلَى عَمَلِهِ ثُمَّ يُنَادَى عَلَى رِعْوَسِ الْأَشْهَادِ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٨﴾ [هود: ١٨]، وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ فِي حَقِّ اللَّهِ الصَّلَاةُ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ»^(٣).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابَ الْمَظَالِمِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٢/ ٧٣٢﴾ بِرَقْمِ (٢٤٤١) وَمُسْلِمٌ، كِتَابُ التَّوْبَةِ، بَابُ قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ وَإِنْ كَثُرَ قَتْلُهُ (ص: ١٠٣٣) بِرَقْمِ (٢٧٦٨).
(٢) قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «(الْحِسَابُ) قَدْ يَرَادُ بِهِ الْإِحَاطَةُ بِالْأَعْمَالِ وَكِتَابَتُهَا فِي الصُّحُفِ وَعَرْضُهَا عَلَى الْكُفَّارِ وَتَوْبِيخُهُمْ عَلَى مَا عَمِلُوهُ وَزِيَادَةُ الْعَذَابِ وَتَقْصِيهِ زِيَادَةَ الْكُفْرِ وَنَقْصُهُ؛ فَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ الْحِسَابِ ثَابِتٌ بِالِاتِّفَاقِ، وَقَدْ يَرَادُ «بِالْحِسَابِ» وَزِنَ الْحَسَنَاتِ بِالسَّيِّئَاتِ لِيَتَبَيَّنَ أَيُّهُمَا أَرْجَحُ: فَالْكَافِرُ لَا حَسَنَاتَ لَهُ تَوْزَنُ بِسَيِّئَاتِهِ؛ إِذْ أَعْمَالُهُ كُلُّهَا حَابِطَةٌ وَإِنَّمَا تَوْزَنُ لِتُظْهَرَ خُفَّةُ مَوَازِينِهِ لَا لِيَتَبَيَّنَ رَجَحَانِ حَسَنَاتٍ لَهُ.
وَقَدْ يَرَادُ «بِالْحِسَابِ» أَنْ اللَّهَ: هَلْ هُوَ الَّذِي يَكَلِّمُهُمْ أَمْ لَا؟ فَالْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ يَدْلَانِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَكَلِّمُهُمْ تَكْلِيمَ تَوْبِيخٍ وَتَقْرِيعٍ وَتَبْكِيَةٍ لَا تَكْلِيمَ تَقْرِيبٍ وَتَكْرِيمٍ وَرَحْمَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ أَنْكَرَ تَكْلِيمَهُمْ جَمْلَةً، مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى (٦/ ٤٨٧).

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، كِتَابَ الصَّلَاةِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «كُلُّ صَلَاةٍ لَا يَتِمُّ صَاحِبُهَا تَتِمُّ مِنْ تَطَوُّعِهِ» (ص: ١٥٢) بِرَقْمِ (٨٦٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ، كِتَابُ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ (ص: ١١٢) بِرَقْمِ (٤١٣)، وَالنَّسَائِيُّ، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ الْمُحَاسَبَةِ عَلَى الصَّلَاةِ (ص: ٨٠) بِرَقْمِ (٤٦٦)، وَابْنُ مَاجَةٍ، كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالسُّنَّةِ فِيهَا، بَابُ مَا جَاءَ فِي (أَوَّلِ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةُ) (ص: ٢٥٤) بِرَقْمِ (١٤٢٥)، وَالطَّيَالِسِيُّ فِي مُسْنَدِهِ (٤/ ٢١٣) بِرَقْمِ (٢٥٩٠)، وَأَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (١/ ٢٩٩) بِرَقْمِ (٩٤٩٤)، وَالمُرُوزِيُّ فِي تَعْظِيمِ قَدْرِ الصَّلَاةِ (١/ ٢١١) بِرَقْمِ (١٨٢)، وَأَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ (٥/ ٤٥٣) بِرَقْمِ (٦١٩٧)، وَالطَّحَاوِيُّ فِي شَرْحِ مُشْكَلِ الْأَثَارِ (٦/ ٣٨٧) بِرَقْمِ (٢٥٥٣)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (٢/ ٣٥٠) بِرَقْمِ (٢١٩٩)، وَالحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (١/ ٣٩٤) بِرَقْمِ (٩٦٥)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي السَّنَنِ الْكُبْرَى (٢/ ٧٤٨) =

وَأَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ فِي حَقِّهِ الْمَخْلُوقِينَ هُوَ الدِّمَاءُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَىٰ بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ»^(١).

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِلا حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ وَهُمْ السَّبْعُونَ أَلْفًا، وَمِنْهُمْ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ رضي الله عنه؛ وَجَاءَ فِي صِفَاتِهِمْ: أَنَّهُمْ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتُونُونَ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ^(٢).



برقم (٤٠٠٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٧ / ٤).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الديات وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ (٤ / ٢١٤١) برقم (٦٨٦١)، ومسلم، كتاب القسامة والمحاريب والقصاص والديات، باب المجازاة بالدماء في الآخرة، وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة (ص: ٦٤٤) برقم (١٦٧٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتو (٤ / ١٨٢٥) برقم (٥٧٠٥) واللفظ له، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (ص: ١٠٣) برقم (٢٢٠).

وَفِي عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ: الْحَوْضُ الْمَوْزُودُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، مَأْوُهُ: أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ
اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، طُولُهُ: شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ: شَهْرٌ، وَأَنِيَّتُهُ: عَدَدُ نُجُومِ
السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.

🖋️ الشَّيْخُ:

❦ الحوض ثابت بالسنة والإجماع^(١):

فأما من السنة: فقوله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، مأوه أبيض من اللبن، وريحه
أطيب من المسك، وكيانه كنجوم السماء، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا»^(٢).
وقال ﷺ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ»^(٣).

وقد ورد في السنة ما يدل على عَظَمَةِ هذا الحوض وَضَخَامَتِهِ، فَمِنْ ذَلِكَ
قَوْلُهُ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ»، وقال ﷺ: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةٍ»^(٤)
وصنعاء مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ»^(٥). ومن شرب منه

(١) نقل ابن تيمية الإجماع على إثبات الحوض. انظر: مجموع الفتاوى (١١ / ٤٨٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض (٤ / ٢٠٥٧) برقم (٦٥٧٩) واللفظ له، ومسلم،
كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته (ص: ٨٧٧) برقم (٢٢٩٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض (٤ / ٢٠٥٦) برقم (٦٥٧٥)، ومسلم، كتاب
الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته (ص: ٨٧٦) برقم (٢٢٨٩).

(٤) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام. انظر: معجم البلدان (١ / ٢٩٢). وقال ابن حجر:
(وأيلة مدينة كانت عامرة وهي بطرف بحر القلزم من طرف الشام وهي الآن خراب يمر بها الحاج من مصر
فتكون شماليهم ويمر بها الحاج من غزة وغيرها فتكون أمامهم... وبينها وبين المدينة النبوية نحو الشهر
بسير الأثقال إن اقتصرنا كل يوم على مرحلة وإلا فدون ذلك وهي من مصر على أكثر من النصف من
ذلك) فتح الباري (١١ / ٤٧٠).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، (٤ / ٢٥٠٧)، برقم (٦٥٨٠).

لم يظماً أبداً؛ كما أخبر بذلك النبي ﷺ (١).

ولكلّ نبيّ حوض، والحوض هو مجمع الماء، ونبينا محمد ﷺ حوضه أكبر حوض، وأكبر واردٍ يرده الناس، ومكانه هو في أرض المحشر في عرصات القيامة. فَإِنَّ النَّاسَ إِذَا خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ عَطَشُوا يُرِيدُونَ عَلَى الْحَوْضِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا، وآيته كنجوم السماء، وماؤه أشدّ بياضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ مِنْ رَائِحَةِ الْمِسْكِ، وهذا تكريمٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، ولأتباعه من المسلمين الموحّدين.

❦ مسألة: هل الحوض هو الكوثر؟

بعض أهل العلم قالوا: إن الحوض هو الكوثر، وأن الكوثر هو الذي ذكر في قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (١)، والصواب: أن الكوثر هو نهرٌ في الجنة وأن مادة حوض النبي ﷺ هي من نهر الكوثر والله أعلم (٢).



(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) قال شيخ الإسلام: (والكوثر المعروف إنما هو نهرٌ في الجنة كما قد وردت به الأحاديث الصحيحة الصريحة) مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٢٩).

وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمَحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرَّيْحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرِكَابِ الْإِبِلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَلَالِبُ تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

🖋️ الشَّيْخُ:

🕌 الصِّرَاطُ ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ:

فَأَمَّا الْكِتَابُ؛ فَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] أَيِ: الْمُرُورِ عَلَى الصِّرَاطِ، عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ^(١).
وَأَمَّا مِنَ السُّنَّةِ؛ فَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ﷺ: «وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْبُزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا، قَالَ: وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِبُ مُعَلَّقَةٌ بِأُمُورَةٍ بِأَخْذٍ مِنْ أُمُرْتُ بِهِ، فَمَخْدُوشُ نَاجٍ، وَمَكْدُوشٌ فِي النَّارِ»^(٢).

وَنَقَلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْإِجْمَاعَ عَلَى إِثْبَاتِ الصِّرَاطِ^(٣).

وَصِفَتُهُ: أَنَّهُ أَدْقُ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ، عَلَيْهِ كَلَالِبُ تَخْطِفُ النَّاسَ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٥٢)، تفسير السعدي (ص: ٤٩٨).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (ص: ٩٧) برقم (١٩٥).

(٣) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٩٢).

بأعمالهم، والناس يَمُرُّون على هذا الصراط على قدر أعمالهم؛ فمنهم: من يَمُرُّ كالبرق في سرعته، ومنهم مَنْ يَعْذُو عَذْوًا، ومنهم مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا، ومنهم من يُخْطَفُ فَيُلْقَى في النَّارِ فَيُعَذَّبُ بِقَدْرِ عَمَلِهِ^(١).
وعلى المسلم الموحِّد أن يؤمن بأن الله خلق جِسْرًا وَضَعَهُ فوق جَهَنَّمَ، يَمُرُّ عليه جميع الخلائق، والنَّاسُ مختلفون في المرور عليه بقدر أعمالهم، والسَّعِيدُ هو من يجتاز هذا الصِّراط، والشَّقِيقُ هو من لا يستطيع أن يجتاز هذا الصِّراط فيسقط بعد ذلك في جهنَّمَ نَسْأَلُ الله العفو والعَافِيَةَ.



(١) وفي حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «المؤمن عليها كالطرف والبرق كالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فجاج مسلّم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا» أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٩) واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٣).

فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصَّرُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ،
فَإِذَا هُذَّبُوا وَنُقُوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ.

﴿التَّبَيُّنُ﴾:

ومن الأمور المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالقنطرة^(١)، والقنطرة:
هي موضع بين الجنة والنار؛ فيقتصر الناس بعضهم من بعض، وتزول عنهم
الأحقاد والبغضاء، حتى يكونوا مُهيئين لدخول الجنة.



(١) ويدل عليها قوله ﷺ: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حَبَسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقَاصُّونَ مِظَالِمَ
كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُوا وَهُذَّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا أَحَدُهُمْ
بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا» أخرجه البخاري، كتاب المِظَالِمِ، باب قصاص المِظَالِمِ
(٧٣١/٢) برقم (٢٤٤٠).

وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الْأُمَمِ أُمَّتُهُ ﷺ
وَلَهُ فِي الْقِيَامَةِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ: أَمَّا الشَّفَاعَةُ الْأُولَى؛ فَيَشْفَعُ لِأَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّى
يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الْأَنْبِيَاءُ؛ آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى
ابْنُ مَرْيَمَ - عَلَيْهِمُ مِنَ اللَّهِ السَّلَامُ - الشَّفَاعَةُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ ﷺ. وَأَمَّا
الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ
خَاصَّتَانِ لَهُ. وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ
وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَغَيْرِهِمْ، يَشْفَعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا،
وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا، وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ،
بَلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ.

الشيخ:

الشَّفَاعَةُ لُغَةً: مِنَ الشَّفَعِ ضِدُّ الْوَتَرِ.

وَاصْطِلَاحًا: التَّوَسُّطُ لِلْغَيْرِ بِجَلْبِ خَيْرٍ أَوْ دَفْعِ ضَرٍّ^(١).

وَالشَّفَاعَةُ ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ فَأَمَّا الْكِتَابُ: فَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فَفِي الشَّفَاعَةِ بَلَا إِذْنٍ يَدُلُّ عَلَى

ثُبُوتِ الشَّفَاعَةِ بَعْدَ الْإِذْنِ^(٢).

وَمِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «وَأُعْطِيَتِ الشَّفَاعَةُ»^(٣).

(١) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (١/ ١٦٩).

(٢) انظر: شرح الواسطية للهراس (ص: ٢١٦).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»

وأما الإجماع: فقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: (ومذهب سَلَفِ الأُمَّةِ وأئِمَّتِهَا وسائر أهل السُنَّةِ والجماعة: إثبات الشَّفاعةِ) ^(١)، وذكر رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ أحاديث الشفاعة بَلَغَتْ حَدَّ التَّوَاتُرِ ^(٢).

❦ وللشفاعة شرطان:

الأول: إِذْنُ الله تعالى للشافع في أَنْ يَشْفَعَ، لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ ^(٣) [النجم: ٢٦].

الثاني: رضا الله عن المشفوع له، لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وهذان الشرطان لا بد من توافرها كي تقبل الشفاعة ^(٣).

❦ أركان الشفاعة:

١ - المشفوع له: وهو الطالب.

٢ - المشفوع إليه: وهو الذي بيده دفع المضرة وجلب المنفعة.

٣ - الشافع أو الشفيع: وهو الوسيط بينهما.

وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ: هُوَ نَبِينَا مُحَمَّدٌ ﷺ، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

قال: قال رسول الله ﷺ: «أَتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُسْتَفْتَحُ، فيقول الخازن:

(١/ ١٥٥) برقم (٤٣٨) واللفظ له، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (ص: ١٨٩) برقم (٥٢١).

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١١٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (٧/ ٤٨٦).

(٣) انظر: المصدر السابق (٧/ ٧٧)، نونية ابن القيم (ص: ٢٩٩)، أعلام السنة المنشورة لحافظ حكيم (ص: ٧٤).

من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»^(١). وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته ﷺ لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة»^(٢).

❦ أنواع الشفاعة:

أولاً: شفاعته ﷺ لأهل الموقف؛ فيدل عليه حديث الشفاعة الطويل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِلَحْمٍ فَرَفَعَ إِلَيْهِ الدَّرَاعَ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَذَرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يَسْمَعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيُلْغِ النَّاسُ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يَطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرُونَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغْنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنْ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَاكَ عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتَهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً» (ص: ٩٧) برقم (١٩٧).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (ص: ٢٩٩) برقم (٨٥٥).

قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، فيقول لهم: إن ربّي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّي قد كنت كذبت ثلاث كذبات نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى فيأتون، موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربّي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّي قد قتلت نفسي لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى ابن مريم، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيا، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمدًا فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي عز وجل، ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا، لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه، واشفع تُشفع فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب

ثم قال: والذي نفسي بيده، إنَّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنة، كما بين مَكَّة وَحِمَيْر^(١) - أو كما بين مَكَّة وَبُصْرَى^(٢) - ^(٣). وهذه هي الشفاعة العظمى، قال تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (٧٨) [الإسراء: ٧٩] قال ابن عباس: هذا المقام المحمود مقام الشفاعة^(٤).

وهذا الحديث يدلُّ على أنَّ الأنبياء ليسوا معصومين من الصغائر، ولكنَّهم معصومون من الكبائر، ولا يخطئون فيما يبلغون عن دين الله تعالى. ثانياً: شفاعته ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة؛ ويدلُّ عليه قوله ﷺ: «أنا أوَّلُ شافعٍ في الجنة، لم يُصدَّق نبيٌّ من الأنبياء ما صدَّقت، وإنَّ من الأنبياء نبياً ما يُصدِّقه من أمته إلا رجُلٌ واحدٌ»^(٥).

ثالثاً: شفاعته ﷺ في السَّبعين ألفاً الذين تقدَّم ذكرهم في الحديث، وفيه «يقال: يا محمد أدخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِي مَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ»^(٦).

(١) حَمِير: موضع غربي صنعاء. انظر: معجم البلدان (٢/٣٠٧).

(٢) بصرى: في موضعين: إحداهما بالشام من أعمال دمشق، والأخرى: من قرى بغداد. والمرادة بالحديث هي الأولى. انظر: معجم البلدان (١/٤٤١)، فتح الباري (١١/٤٧١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: قوله: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (٢) (٣/١٤٥٨) برقم: (٤٧١٢) واللفظ له، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (ص: ٩٥) برقم: (١٩٤).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٥/٤٤).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ: «أنا أوَّلُ النَّاسِ يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً» (ص: ٩٧) برقم (١٩٦).

(٦) تقدم تخريجه قريباً وهم جزء من حديث الشفاعة الطويل.

رابعاً: شفاعته ﷺ في عمّه أبي طالب، والدليل على هذه الشفاعة ما رواه سعيد بن المسيب، عن أبيه أنه أخبره: أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: «يا عمّ، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله»، فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطّلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطّلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «أما والله لأستغفرنّ لك ما لم أنه عنك»، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية^(١).

والنبي ﷺ يشفع له لا لإخراجه من النار؛ وإنّما لتخفيف العذاب عنه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ، وذكر عنده عمّه، فقال: «لعلّه تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه، يغلي منه دماغه»^(٢)، فإنّ الله جلّ وعلا قد كتب على كلّ نفسٍ إنسانية ماتت على الكفر بعد قيام الحجّة عليها أنها لا تخرج من النار، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وهذه الشفاعات الأربع خاصّة بنبيّنا ﷺ^(٣). وأمّا أبوا النبي ﷺ فقد ماتا

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله (٤٠٣/١) برقم (١٣٦٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع (ص: ٣٧) برقم (٢٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب (١١٨٥/٣) برقم (٣٨٨٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب شفاعته النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (ص: ١٠١) برقم (٢١٠).

(٣) وذكر ابن أبي العز في شرح الطحاوية أنّ من أنواع الشفاعة: (شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوّت حسناتهم

على الكُفر كما دَلَّتْ على ذلك النُّصوص. فَمِنْ ذَلِكَ:

١- أنه قد جاء في الأحاديث الصحيحة الصريحة ما يدلُّ على أنَّ أبوي النبي ﷺ قد ماتا على الكفر، فمن ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه، أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: «في النَّار» فلما قَفِيَ دعاه، فقال: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اسْتَأذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذَنْ لِي»^(٢).

فهذان الحديثان يَدُلَّانِ على أَنَّهُمَا مَاتَا على غير الإيمان، قال القاضي عياض: (اسْتِزْنَانُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ وَالْإِذْنُ فِي ذَلِكَ، دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، وَصِلَةِ الْأَبَاءِ الْمُشْرِكِينَ... وَشَكَرَ اللَّهُ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ الَّذِي حَرَمَتْهُ)^(٣)، وقال النووي عن حديث أنس السَّابِقِ: (فِيهِ أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ وَلَا تَنْفَعُهُ قَرَابَةُ الْمُقَرَّبِينَ)^(٤).

٢- نقل الإجماع غير واحد من العلماء على أنَّ أبا النبي ﷺ مات كافراً، قال ابن الجوزي عن والد النبي ﷺ: (وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ مَاتَ كَافِرًا)^(٥). وقال إبراهيم الحلبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَغَيْرُ خَفِيٍّ أَنَّ الْأُمَّةَ مُجْمَعُونَ مِنْ لَدُنْ رَسُولِ اللَّهِ

وسيناتهم) انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ (ص: ٢٠٥).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين (ص: ٩٩) برقم (٢٠٣).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه عَزَّ وَجَلَّ في زيارة قبر أمه (ص: ٣٤٢) برقم (٩٧٦).

(٣) إكمال المعلم (٣ / ٤٥٢).

(٤) شرح النووي على مسلم (٣ / ٧٩).

(٥) الموضوعات (١ / ٢٨٣).

ﷺ إلى يومنا هذا على كُفْر قُصَيٍّ^(١) فَمَنْ بَعْدَهُ، وَإِنْ أَبَوِي النَّبِيِّ ﷺ مَاتَا عَلَى الْكُفْرِ^(٢).

٣- إن الأحاديث الواردة في أن الله تعالى أحيا والدي النبي ﷺ حتى أسلما، إن ذلك لم يثبت بل كذب، قال شيخ الإسلام: (أهل المعرفة متفقون على أن ذلك كذب مختلق)^(٣).

٤- إِنَّ وَالِدِي النَّبِيِّ ﷺ لو كانا مؤمنين لاشتَهَرَ ذلك، بل كانا أَحَقَّ بِالشُّهَرَةِ من عَمِّي النَّبِيِّ ﷺ الْعَبَّاس وَحَمْزَةُ ؓ فَذَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُمَا لَمْ يُؤْمِنَا^(٤).
خامساً: الشفاعة لمن استحق دخول النار أَلَّا يَدْخُلَهَا^(٥) فقد استدَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى هَذَا النَّوعِ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّفَاعَةِ بِعُمُومَاتِ الْأَدِلَّةِ كَقَوْلِهِ ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَايِرِ مِنْ أُمَّتِي»^(٦).

وقوله ﷺ: «وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ»^(٧).
سادساً: الشَّفَاعَةُ فِي مَنْ دَخَلَ النَّارُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا مِنَ الْمَوْحِدِينَ، وَهَذِهِ تَكُونُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، فَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا تَكُونُ لِلنَّبِيِّ ﷺ حَدِيثُ الشَّفَاعَةِ وَفِيهِ:

(١) يعني: قصي بن كلاب من أجداد النبي ﷺ.

(٢) رسالة في حق أبي الرسول ﷺ لإبراهيم الحلبي، (ص: ٢٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٢٤).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٣٢٦).

(٥) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا النوع لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه. وأكثر الأحاديث صريحة في أَنَّ الشَّفَاعَةَ فِي أَهْلِ التَّوْحِيدِ مِنْ أَرْبَابِ الْكِبَايِرِ إِنَّمَا تَكُونُ بَعْدَ دُخُولِهِمُ النَّارَ، وَأَمَّا أَنْ يَشْفَعَ فِيهِمْ قَبْلَ الدُّخُولِ فَلَا يَدْخُلُونَ. فَلَمْ أَظْفَرْ فِيهِ بِنَصٍّ) تهذيب سنن أبي داود (٣/ ٣١٣).

(٦) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في الشفاعة (ص: ٨٥٧) برقم (٤٧٤١)، والترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (ص: ٥٤٩) برقم (٢٤٣٥)، وأحمد في المسند، (٤٣٩/٢٠) برقم (١٣٢٢٢) وصححه ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٠)، والألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ١٦٠).

(٧) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (ص: ٩٧) برقم (١٩٥).

«فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، قل تسمع، سل تعطه، اشفع تُشفع، فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فيحد لي حدًا، فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة».

ويدل على أنها تشمل المؤمنين أيضًا قول النبي ﷺ: «فو الذي نفسي بيده، ما منكم من أحدٍ بأشدَّ مناشدةً لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلُّون ويحجُّون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار إلى نصف ساقه، وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا ما بقي فيها أحدٌ ممَّن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدًا ممَّن أمرتنا، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممَّن أمرتنا أحدًا، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرًا»^(١).

سابعًا: الشفاعة في رفع درجات المؤمنين، قال النبي ﷺ في دعائه لأبي عامر: «اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس»^(٢).

وقوله ﷺ: «اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه»^(٣).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، (ص: ٨٨) برقم (١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزاة أوطاس (٣/ ١٣٠٥) برقم (٤٣٢٣)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين (ص: ٩٤٦) برقم (٢٤٩٨).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر (ص: ٣٢٤) برقم (٩٢٠).

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

قال ابن عباس رضي الله عنه: (إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته وإن كانوا دونه في العمل، لتقر بهم عينه، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] الآية (١) (٢).

وذكر بعض العلماء من أنواع الشفاعة؛ الشفاعة فيمن تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فإذا تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع لهم أن يدخلوا الجنة (٣).
ومن أسباب نيل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم أمور منها:

أن يموت المؤمن وهو موحد لا يشرك بالله شيئاً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: قلت: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله، خالصاً من قبل نفسه» (٤).

ومنها: أن يموت في المدينة النبوية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها» (٥).

(١) السلسلة الصحيحة (٥/٦٤٧).

(٢) للاستزادة انظر: إثبات الشفاعة للذهبي، شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٢٠٢) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة لحافظ بن أحمد الحكمي (ص: ٧٦)، الشفاعة للوادعي.

(٣) انظر: البداية والنهاية (٢٠/١٨٩)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٢٠٥).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٤/٢٠٥٤) برقم (٦٥٧٠).

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل المدينة (ص: ٨٧٩) برقم (٣٩١٧)، وابن

ومنها: أن يصبر على لأواء المدينة، قال رسول الله ﷺ: «لا يصبر أحد على لأوائها، فيموت، إلا كنت له شفيعاً - أو شهيداً - يوم القيامة إذا كان مسلماً»^(١).

ومنها: سؤال الله الوسيلة للنبي ﷺ، قال ﷺ: «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى عليّ صلاةً صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»^(٢).

ومنها: كثرة الصلاة، فعن خادم للنبي ﷺ، رجل أو امرأة، قال: كان النبي ﷺ مما يقول للخادم: «ألك حاجة؟» قال: حتى كان ذات يوم فقال: يا رسول الله، حاجتي قال: «وما حاجتك؟» قال: حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة، قال: «ومن ذلك عليّ هذا؟» قال: ربّي قال: «إمّا لا، فأعني بكثرة السجود»^(٣).

والصّادق المصدوق ﷺ حريص على أمته، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لكلّ نبيّ دعوة مستجابة، فتعجل كلّ نبيّ دعوته، وإنّي اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»^(٤).

ماجه، كتاب فضل الحج والعمرة، باب فضل المدينة (ص: ٥٢٨) برقم (٣١١٢)، وأحمد في المسند (٣١٩/٩) برقم (٥٤٣٧) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٣/٢).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب الترغيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها، (ص: ٤٩٧) برقم (١٣٧٤).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل له الوسيلة (ص: ١٤٦) برقم (٣٨٤).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤٧٩/٢٥) برقم (١٦٠٧٦) وصححه إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٩/٥).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته (ص: ٩٨) برقم (١٩٩).

❦ أقسام الناس في الشفاعة:

القِسْم الأول: قَوْمٌ عَلَوْا فِي إثباتها حتى طلبوها من الأموات، ومن أهل القبور ومن الأصنام والأشجار والأحجار، قال الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُشْرِكُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (يونس: ١٨).

القِسْم الثاني: طائفةٌ غَلَّتْ فِي نفي الشفاعة كالمعتزلة والخوارج، فإنهم نفوا الشفاعة في أهل الكبائر، وخالفوا الأدلة من الكتاب والسنة التي أثبتت الشفاعة.

القِسْم الثالث: أهل السنة والجماعة فإنهم أثبتوا الشفاعة على الوجه الذي ذكره الله تعالى، وآمنوا بها من غير إفراط ولا تفريط، وهم وَسَطٌ فِي باب الشفاعة بين الغالين فيها والنَّافِينَ لها.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ كَيْفَ نَجْمَعُ بَيْنَ مَا وَرَدَ مِنْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَشْفَعُ لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَبَيْنَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (٤٨) [المدثر: ٤٨]؟

الجواب: الجمع مِنْ وَجْهَيْنِ:

الوجه الأول: المراد بقوله تعالى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (٤٨) [المدثر: ٤٨] أي: الخروج من النار، وأبو طالب لم يخرج من النار، وَإِنَّمَا خَفَّفَ عَنْهُ الْعَذَابُ، فَخَرَجَ مِنْ عَمَرَاتِ الْجَحِيمِ إِلَى ضَحْضَاحٍ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ.

الوجه الثاني: أَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ وَالْحَدِيثُ خَاصٌّ، فَيَحْمِلُ الْعَامُّ عَلَى الْخَاصِّ، فَيُقَالُ: خَصَّ شَخْصًا وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ، أَمَا بَقِيَةُ الْكُفَّارِ فَلَا تَنْفَعُهُ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ. والله أعلم.

فائدة: شفاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ تَتَكَرَّرُ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، لقوله ﷺ:

* «أَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ..»

* فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - أَوْ خَرْدَلَةٌ - مِنْ إِيْمَانٍ ..
 * فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى أَذْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ ..
 * يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فَيَمْنُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، وَكِبْرِيَائِي
 وَعَظَمَتِي لِأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(١).



(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عزَّجَلَّ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٢٣٤٢/٤) برقم (٧٥١٠).

وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيَنْشِئُ اللَّهُ لَهَا أَقْوَامًا،
فَيَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ.

وَأَصْنَافُ مَا تَتَّصِمُهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ مِنْ: الْحِسَابِ، وَالنَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالْجَنَّةِ
وَالنَّارِ. وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالْآثَارَةِ^(١) مِنَ
الْعِلْمِ؛ الْمَأْثُورَةِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ، وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ؛
مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنْ ابْتِغَاهُ وَجَدَهُ

الشيخ:

قوله: (ويبقى في الجنة فضلٌ عمَّنْ دخل من أهل الدنيا، فينشئ الله لها
أقوامًا، فيدخلهم الجنة):

يدل عليه حديث أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «ولا تزال الجنة تفضّل،
حتى ينشئ الله لها خلقًا، فيسكنهم فضل الجنة»^(٢).

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أن ما تتضمنه الدار الآخرة من الثواب والعقاب
والجنة والنار مذكورة في الكتب المنزلة من السماء، ولكن من المعلوم أن التوراة
والإنجيل قد دخلهما التحريف فيبقى القرآن الكريم هو الكتاب الذي حفظه الله
تعالى من التحريف كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

(١) أي: البقية. انظر: لسان العرب (٧/٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ
عَمَّا يَصِفُونَ﴾، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾، ومن حلف بعة الله وصفاته (٤/٢٣٠٥) برقم (٧٣٨٤)، ومسلم،
كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (ص: ١٠٦٦)
برقم (٢٨٤٨).

ثم ذكر المصنّف رَحْمَةُ اللَّهِ كَلِمَةً نافعة عظيمة وهي قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وفي العلم الموروث عن محمد ﷺ من ذلك؛ ما يشفي ويكفي، فمن ابتغاه وجده) وصدق رَحْمَةُ اللَّهِ؛ فإن الهداية في اتباعه ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].



وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ: فَالدَّرَجَةُ الْأُولَى: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِيمٌ مَا الْخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزْلاً وَأَبَداً. وَعَلِمَ بِجَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالْأَرْزَاقِ وَالْآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ. فـ «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ؛ فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»؛ فَمَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَعَلَ الْأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ. كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وَقَالَ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]. وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً، فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ، وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، بِكُتُبٍ: رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ فَهَذَا الْقَدْرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلَاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكَرُوهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ.

﴿الشيخ﴾:

الإيمان بالقدر: هو الركن السادس من أركان الإيمان؛ ومنزلته في الدين أنه أحد أركان الإيمان الستة لقول النبي ﷺ لَمَّا سَأَلَهُ جَبْرِيلُ عَنِ الْإِيمَانِ قَالَ: «أَنْ

تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خَيْرُهُ وَشَرُّهُ»^(١).
وتعريف القضاء والقدر اصطلاحًا: هو ما سَبَقَ به العِلْمُ، وجرى به القَلَمُ،
مما هو كائنٌ إلى الأبد، وأَنَّهُ سبحانه قَدَّرَ المقادير في الأزل، وَعَلِمَ أَنَّهَا تقع على
صفاتٍ معلومة وأوقات معلومة^(٢).

وعُرِّفَ القضاء والقدر أيضًا بتعريف مختصر، فقليل في معناه أَنَّهُ: تقدير الله
تعالى للكائنات حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمة الله تعالى^(٣).
❦ وللإيمان بالقدر درجتان كُلُّ درجة تَتَضَمَّنُ شيئين:

فالدَّرَجَةُ الأولى: تَتَضَمَّنُ العِلْمَ والكِتَابَةَ؛ ودليلهما قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَمْ
تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٧٠)
[الحج: ٧٠]، فالعِلْمُ أن نؤمن بأنَّ عِلْمَ الله تعالى محيطٌ بكلِّ شيء لا تخفى عليه
خافية، وأمَّا الكتابة فهي أن نؤمن بأنَّ الله تعالى كتب مقادير كُلِّ شيء في اللُّوح
المحفوظ. ودرجة العِلْمِ يُنكرها غُلَاةُ القدرية قديمًا^(٤)، ولذلك قال الإمام أحمد
رَحِمَهُ اللَّهُ: (القدرِيُّ الذي يقول: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَعْلَمْ الشيء حتى يكون، هذا كَافِرٌ)^(٥).
وقال بعض الأئمة: (ناظِرُوا القدرية بِالْعِلْمِ فَإِنَّ أَقْرَبَهُ خَصِمُوْا وَإِنْ أَنْكَرُوهُ كَفَرُوا)^(٦).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (ص: ٢٩) برقم (٨).

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٤٨).

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين (٣/ ٢٥٥).

(٤) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (المرتبة الأولى: وهي العلم السابق فقد اتفق عليه الرسل من أولهم إلى
خاتمهم واتفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الأمة وخالفهم مجوس الأمة) شفاء العليل (ص: ٢٩).

(٥) السنة للخلال (٣/ ٥٢٩).

(٦) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ١٠٣).

﴿ والكتابة أنواع: ﴾

النَّوعُ الْأَوَّلُ: الكتابة في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، ودليها قول النبي ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(١).

وَالنَّوعُ الثَّانِي: الكتابة العمرية وهي ما يكتبه الملك الموكَّل بالأرحام على الجنين وهو في بطن أمِّه، فَإِذَا أَتَمَّ لَهُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ مِنْ تَخْلِيْقِهِ فَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلِكَ بِكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَهَلْ هُوَ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يَجْمَعُ خَلْقَهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَاقِبَةُ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مَضْغَةٌ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ الرُّوحَ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٢).

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في القدر (ص: ٨٥٠) برقم (٤٧٠٠)، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ن (ص: ٧٥٢) برقم (٣٣١٩)، والطبراني في مسنده (١ / ٤٧١) برقم (٥٧٨)، وأحمد في مسنده (٣٧ / ٣٧٨) برقم (٢٢٧٠٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١ / ٤٨) برقم (١٠٣)، والبخاري في مسنده (٧ / ١٣٧) برقم (٢٦٨٧)، والفرابي في القدر (ص: ٧٦) برقم (٧٢)، والدولابي في الكنى والأسماء (١ / ٣١٤) برقم (٥٥٥)، والشاشي في مسنده (٣ / ١٢٤) برقم (١١٩٢)، والطبراني في مسند الشاميين (١ / ٥٧) برقم (٥٨)، والآجري في الشريعة (١ / ٥١٤) برقم (١٨٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ٣٨٢) برقم (٢٠٨٧٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣ / ١٤٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٢ / ٩٩٣) برقم (٣٢٠٨) واللفظ له،

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَّةُ الَّتِي ذَكَرَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مِنْ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ:

الأول: المشيئة، ودليها قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧) ﴿إبراهيم: ٢٧﴾.
والثاني: الخلق، ودليها قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦].
فَأَمَّا الْمَشِيئَةُ فَهِيَ: أَنْ تَوْمِنَ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ لَهُ الْمَشِيئَةُ الْعَامَّةُ، وَأَنْ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ لَا يَقَعُ شَيْءٌ فِي الْكَوْنِ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السجدة: ١٣]. وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وَأَمَّا الْخَلْقُ فَهُوَ: أَنْ تَوْمِنَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ خَلَقَ الْعَبْدَ وَأَفْعَالَهُ، وَالْعَبْدَ يَخْتَارُ إِمَّا طَرِيقَ الْخَيْرِ وَإِمَّا طَرِيقَ الشَّرِّ، وَدَلِيلُ الْخَلْقِ قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤].
وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٦) [الصفات: ٩٦].

وَوَجْهُ كَوْنِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا خَالِقًا لِأَفْعَالِ الْعِبَادَةِ؛ أَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ لَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ إِرَادَةٍ وَقُدْرَةٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ لَهُ هَذِهِ الْقُدْرَةُ الَّتِي يَخْتَارُ بِهَا الْفِعْلَ، وَلِلْعَبْدِ مَشِيئَةٌ وَقُدْرَةٌ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَأَنْفِقُوا لِلَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وَقَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

فَأُثْبِتَ اللَّهُ لِلْعَبْدِ مَشِيئَةً وَاسْتَطَاعَةً وَهِيَ: الْقُدْرَةُ؛ إِلَّا أَنَّهُمَا تَابِعَتَانِ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، لِقَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩) [التكوير: ٢٩].

ومسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابه رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (ص: ٩٩١) برقم (٢٦٤٣).

﴿ وفي هذه الدرجة الثانية وهي الخلق والمشيئة قد ضلّت طائفتان ^(١) :

الطائفة الأولى: القدرية حيث زعموا أنّ العبد مستقِلُّ بإرادته وقدرته، وليس لله خلقٌ في فعل العبد ولا في مشيئته.

الطائفة الثانية: الجبرية حيث زعموا أنّ العبد مجبورٌ على فعله ليس له فيه إرادةٌ ولا قُدرةٌ.

والرد على الطائفة الأولى وهم القدرية بقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]؛ وقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢].

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ - عن مرتبة الخلق - : (وهذا أمر متفقٌ عليه بين الرسل - صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ - وعليه اتَّفَقَتِ الكتب الإلهية، والفطر، والعقول، والاعتبار، وخالف في ذلك مجوس الأئمة فأخرجت طاعات ملائكته وأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين؛ - وهي أشرف ما في العالم - عن ربوبيته وتكوينه ومشيئته؛ بل جعلوهم هم الخالقون لها ولا تعلّق لها بمشيئته ولا تدخل تحت قُدْرته.. وقد نادى القرآن بل الكتب السماوية كُلُّها، والسنة، وأدلة التَّوْحِيد، والعقول على بطلان قولهم، وصاح بهم أهل العلم والإيمان من أقطار الأرض، وصنّف حزبُ الإسلام وعصاية الرُّسُول وعسكره التَّصَانِيف في الردِّ عليهم، وهي أكثر من أن يحصّيها إلَّا الله، ولم تزل أيدي السَّلف وأئمة السُّنة في أفقيتهم ونواصبيهم تحت أرجلهم؛ إذ كانوا يردُّون باطلهم بالحقِّ المخض، ويدعّتهم بالسُّنة، والسُّنة لا يقوم لها شيء؛ فكانوا معهم كالذمّة مع المسلمين، إلى أن نَبَغَتْ نابغة رَدُّوا بدعتهم ببذعة تقابلها، وقَابَلُوا باطلهم بباطلٍ من جنسِهِ، وقالوا العبد مجبور على أفعاله، مَقْهُورٌ عليها، لا تأثير له في وجودها البتّة، وهي واقعةٌ بإرادته واختياره، وغلا غلاتهم فقالوا بل هي عين أفعال الله، ولا ينسب إلى العبد إلا على المجاز، والله سبحانه يلوم العبد ويعاقبه ويخلِّدُه في النار على ما لم يكن للعبد فيه صنع ولا هو فعلُه، بل هو مَخْصُصٌ فَعَلَ اللهُ، وهذا قول الجبرية وهو إن لم يكن شرًّا من القدرية فليس هو بدونه في البطلان، وإجماع الرسل واتِّفاق الكتب الإلهية، وأدلة العقول، والفطر، والعيان، يكذِّبُ هذا القول ويرُدُّه والطائفتان في عمي عن الحقِّ القويم والصِّراطِ المستقيم) شفاء العليل (ص ٤٩).

وأما الردُّ على الطائفة الثانية وهم: الجبرية بقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَمِنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) [التكوير: ٢٨]، وقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

فأثبت الله جَلَّ وَعَلَا للإنسان مشيئة وإرادة، فيعلم من هذا أنه لا يجوز للعبد أن يعتمد على القضاء والقدر ويترك العمل، لأن الصَّحَابَةَ قَالُوا: يا رسول الله أفلا تَتَكَلَّمُ عَلَى الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَتَدْعُ الْعَمَلَ؟ فقال الرَّسُولُ ﷺ: «اعْمَلُوا فِكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَى﴾ (٥) وَصَدَقَ بِالْحَقِّ ﴿٦﴾ فَسَيُسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَلَّ وَاسْتَفْتَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ ﴿٩﴾ فَسَيُسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾﴾ (١) [الليل: ٥ - ١٠].

والسَّلَفُ أطلقوا على القدرية بأنهم مجوس هذه الأمة، ووجه ذلك: أنَّ القدرية يزعمون أنَّ العبد يخلق فعَلَهُ؛ فيكون خالقًا مع الله تعالى، وسُمُّوا بذلك لأنهم يُشَبِّهُونَ المجوس القائلين بأنَّ للعالم خَالِقَيْنِ؛ فالنُّور يخلق الخير، والظُّلْمَةُ تخلق الشرَّ، وكذلك القدرية قَالُوا: إِنَّ لِلْحَوَادِثِ خَالِقَيْنِ فالحوادث التي مِنْ فِعْلِ الْعَبْدِ يَخْلُقُهَا الْعَبْدُ، والتي مِنْ فِعْلِ اللَّهِ يَخْلُقُهَا اللَّهُ تعالى.

وقول المؤلف: (فَهَذَا الْقَدْرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غَلَاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكَرُوهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ) يعني: القدرية الأوائل الذين ينكرون مرتبة العلم والخلق قَلُّوا بل انقطعوا؛ فهؤلاء هم الذين كَفَرُوا السَّلَفَ، والموجود الآن مِنَ القدرية هم الذين ينكرون الخلق وهم المعتزلة (٢).

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿فَسَيُسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (٣/ ١٥٩١) برقم (٤٩٤٩)، ومسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (ص: ٩٩٢) برقم (٢٦٤٧).

(٢) ومن المعلوم أن كثيرًا من أقوال المعتزلة موجودة إلى اليوم ولكن تحت مسميات أخرى.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَّةُ؛ فَهِيَ مَشِيئَةُ اللَّهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ؛ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يَرِيدُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ. وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ مَعْصِيَتِهِ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلَا يُحِبُّ الْفُسَادَ. وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللَّهُ خَالِقُ أَعْمَالِهِمْ، وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ، وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ. وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ، وَاللَّهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۖ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۖ (٢٩)﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]. وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدْرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ السَّلَفُ: مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَيَعْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ، حَتَّى يَسْلُبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَعْمَالِ اللَّهِ وَأَحْكَامِهِ حِكْمَهَا وَمَصَالِحَهَا.

الشيخ:

يجب أن نؤمن بأنَّ العباد فاعلون حقيقةً، وأنَّ الله تعالى خلق لهم قدرة وإرادة؛ فالعباد يريدون ما يفعلون ويقدرون عليه؛ لكن إرادتهم تابعة لإرادة الله تعالى.

ويجب الإيمان بأن للإنسان إرادة وقدرة أعطاها الله تعالى له؛ ليقوم بالتكاليف وأن إرادة الإنسان تابعة لإرادة الله جل وعز.

وقد خالف في هذا الباب الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فالمعتزلة والقدرية أثبتوا الإرادة الدينية الشرعية فقط، والجبرية من الجهمية والأشاعرة أثبتوا الإرادة الكونية فقط.

وهدى الله تعالى أهل السنة والجماعة إلى الجمع بين الإرادتين الكونية والشرعية^(١).

(١) قال ابن القيم رحمه الله: (فالقضاء في كتاب الله نوعان: كوني قدري كقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ [سبأ: ١٤] وقوله: ﴿وَفُتِحَ بَيْنَهُمُ الْبَحْثُ﴾ [الزمر: ٦٩] وشرعي ديني كقوله: ﴿وَفَضَّلْنَاكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِنَاءَهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

والحكم نوعان: فالكوني كقوله: ﴿قُلْ رَبِّي أَحْكُمُ بِالْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢] أي: افعل ما تنصير به عبادك وتحذل به أعداءك، والديني كقوله: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [المتحنة: ١٠] وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].

والإرادة نوعان: فالكونية كقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، وقوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا﴾ [الإسراء: ١٦]، وقوله: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]، وقوله: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِيكَ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥]، والدينية كقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧].

وأما الكتابة فالكونية كقوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَىٰ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ، وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابٍ سَعِيرٍ﴾ [الحج: ٤]، والشرعية الأمرية كقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْثَلُهُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، إلى قوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]، وقوله: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، فالأولى كتابة بمعنى القدر، والثانية كتابة بمعنى الأمر.

والأمر الكوني كقوله: ﴿لَئِمَّا أَمَرُهُ: إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقوله: ﴿وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا

وَحَدَّةٌ كَلَجَ بِالْبَصْرِ ﴿٥٠﴾ [القمر: ٥٠]، وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ ﴿٥١﴾ [النساء: ٤٧]، وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ ﴿٥٢﴾ [مريم: ٢١]، وقوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا فَإِنَّا نَهْلِكُهُمْ مَقْضُوا فِيهَا فَاسْقُوا فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦]، فهذا أمر تقدير كوني، لا أمر ديني شرعي؛ فإن الله لا يأمر بالفحشاء والمعنى قضينا ذلك وقدرناه. والأمر الديني قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وأما الإذن الكوني فكقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، أي بمشيئته وقدره. والاذن الديني فكقوله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِيَنَةٍ أَوْ نَرَسْتُمْوهَا قَاطِعَةً عَلَىٰ أَصُولِهَا فَإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ [الحشر: ٥]، أي بأمره ورضاه، وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ مَا لِلَّهِ أَزِيدَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ [يونس: ٥٩].

وأما الجعل الكوني فكقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْفُسِهِمْ أَغْلًا فَوَيْلٌ لِلْآذِقَانِ فَهُمْ مَقْمَحُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكَّاءً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴿يس: ٨، ٩﴾، وقوله: ﴿وَيَجْعَلُ الْوَسْطَىٰ عَلَىٰ الْيَمِينِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ [يونس: ١٠٠]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل: ٧٢]، والجعل الديني فكقوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ﴾ [المائدة: ١٠٣].

وأما الكلمات الكونية فكقوله: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَيْمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ [يونس: ٣٣]، وقوله: ﴿وَوَقَّعَتْ كَلِمَةً رَبِّكَ لَا تُلَاقِي جَهَنَّمَ مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٥٨﴾ [هود: ١١٩]، والكلمات الدينية فكقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] والمراد به القرآن، وقوله ﷺ في النساء: «واستحللتهم فروجهن بكلمة الله» أي: بإباحته ودينه، وقوله: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣]، وقد اجتمع النوعان في قوله: ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا﴾ [التحریم: ١٢].

وأما البعث الكوني فكقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: ٥]، وقوله: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣١]، والبعث الديني فكقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رُسُلًا مِنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢]، وقوله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وأما الإرسال الكوني فكقوله: ﴿أَلَمْ نَرَا أَنَّكَ أَنْزَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَسَّوهُمْ أَتَا﴾ ﴿٥٩﴾ [مريم: ٨٣]، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ [الفرقان: ٤٨]، والإرسال الديني فكقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٨]، وقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْهِ أَنْتُمْ كَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قُرْعَانَ رَسُولًا﴾ ﴿٦٠﴾ [المزمل: ١٥].

وأما التحريم الكوني فكقوله: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الفصص: ١٢]، وقوله: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ إَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [المائدة: ٢٦]، وقوله: ﴿وَحَرَّمُوا عَلَى قَرَبِهِ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٦١﴾ [الأنبياء: ٩٥]،

وهناك فروق بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية:

- ١- الإرادة الكونية لا يلزم أن يكون مرادها محبوباً لله تعالى مرضياً له، وهي حاصلة لا محالة، وهي مرادفة للمشيئة، وأمّا الإرادة الشرعية فمرادها محبوبٌ لله تعالى، وقد تقع وقد لا تقع.
- ٢- الإرادة الكونية مقصودةٌ لغيرها كخلق الشرِّ، وأمّا الإرادة الشرعيّة مقصودة لذاتها؛ كالأمر بالطاعة.
- ٣- الإرادة الكونية متعلّقة بتوحيد الربوبية، والإرادة الشرعية متعلّقة بتوحيد الألوهية والشرع.

٤- تجتمع الإرادتان في حقّ المطيع، وتنفرد الكونية في حقّ الكافر والعاصي.
ومن الأدلّة على الإرادة الكونية قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣] ووجه الاستدلال: أن الله تعالى صاحبُ الإرادة النَّافِذة، فإذا أراد شيئاً أَوْجَدَهُ فكان كما أراد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
ومن الأدلّة على الإرادة الشرعية قول الله جلَّ وَعَلَا: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا

والتحريم الديني فكقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْهَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، و﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْبَانَةُ﴾ [المائدة: ٣]، و﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: ٩٦]، و﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الزَّيْوَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].
وأما الإتياء الكوني فكقوله: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلُوكِ تُؤْتِي الْمُلُوكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقوله: ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]، والإتياء الديني فكقوله: ﴿وَمَا آتَيْنَاكُمْ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، وقوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣].

شفاء العليل (ص: ٢٨١-٢٨٣) بتصرف يسير.

يُرِيدُ بِكُمْ الْمُسْرَ ﴿البقرة: ١٨٥﴾، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ﴿الأحزاب: ٣٣﴾ ووجه الاستدلال أَنَّ هذه الأمور المذكورة في هذه الآيات هي أمورٌ محبوبةٌ إلى الله تعالى مَرْضِيَّةٌ عِنْدَهُ.

وهناك تلازمٌ بين التَّوْحِيدِ والقدر؛ فَمَنْ أَقَرَّ بالتَّوْحِيدِ وأنكر القَدَرَ فقد طعن في ربوبيَّة الله ومَلَكُوتِهِ، ونَسَبَ رَبَّهُ إلى العَجْزِ، وَمَنْ أَقَرَّ بالقَدَرَ وأنكر التَّوْحِيدَ فقد طَعَنَ في حِكْمَةِ الله وَعَدْلِهِ.

وقال بعض السَّلَفِ: (القَدَرُ نِظَامُ التَّوْحِيدِ)^(١)، وكونه يدخل في التوحيد من جِهَتَيْنِ: الأولى: من جهة توحيد الأسماء والصفات، وذلك بأنَّ مِنْ صِفَاتِ الله تعالى الإرادة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

الثانية: يدخل في توحيد الربوبية؛ إذ أَنَّ مِنْ أفعالِ الله تعالى كَوْنُهُ خَالِقًا، وَالتَّخْلِيقَ والرِّزْقَ والإحياء والإماتة كُلُّ هذا بقَدَرٍ.

وعلى المسلم أن يحذر من الخوض في القدر بغير علم، قال النبي ﷺ: «إِذَا ذُكِرَ القدر فأمسكوا، وَإِذَا ذُكِرَتِ النجوم فأمسكوا، وَإِذَا ذُكِرَ أصحابي فأمسكوا»^(٢).



(١) يروى من كلام ابن عباس رضي الله عنهما وفي إسناده نظر. انظر: القدر للفريابي (ص: ١٤٣)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢/ ٧٤٢)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٢٤٩).
 (٢) أخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق (ص: ٣٥٠) برقم (٧٨٧)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٤٣) برقم (١٠٤٤٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١٠٨)، والبيهقي في القضاء والقدر (ص: ٢٩١) برقم (٤٤٤). وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٥٥).

وَمِنْ أَصُولِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

📖 التَّبَيُّحُ:

الإيمان لغة: مصدر: آمن يؤمن إيماناً، وأصل: آمن: أأمن، بهمزتين فحُفَّت الثانية. وأصل الأمن هو: طمأنينة النفس، وأن يزول عنها الخوف.

❦ وللإيمان عدة معانٍ في اللغة منها:

التصديق: كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (١٧) [يوسف: ١٧].

والإقرار باللسان: كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٣) [المنافقون: ٣]. أي أقرُّوا باللسان وكَفَرُوا بالقلب. والخضوع، والثقة، يقال: مؤتمن القوم: الذي يثق به الناس^(١).

والقول بأن معنى الإيمان في اللغة الإقرار والطمأنينة، قد نصره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ حيث قال: (الإيمان وإن كان يتضمَّن التصديق فليس هو مجرد التصديق، وإنما هو الإقرار والطمأنينة... فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القَرَارُ والطمَأنينة)^(٢).

وعَلَّلَ ذلك رَحِمَهُ اللهُ بأن الإيمان ليس مرادفاً للتصديق في المعنى فقال رَحِمَهُ اللهُ: (فمن قال: السماء فوقنا. قيل له: صدق، كما يقال: كذب، وأما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن غائب، لم يوجد في الكلام أن من أخبر عن مشاهدة؛

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٥ / ٥١٣)، معجم مقاييس اللغة (١ / ١٣٣)، المفردات في غريب القرآن، (ص:

٢٥)، لسان العرب (١٣ / ٢١)، تاج العروس (٣٤ / ١٨٤).

(٢) الصارم المسلول (٣ / ٩٦٧).

كقوله: طلعت الشمس وغربت أنه يقال: آمَنَّا. كما يقال: صدَّقناه؛ ولهذا المحدثون والشهود ونحوهم؛ يقال: صدَّقناهم؛ وما يقال آمَنَّا لهم؛ فإنَّ الإيمان مشتقٌّ من الأمن^(١).

وما ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ قَوْلُ وَجِيهِ؛ (لأنَّ الكَلِمَةَ إذا كانت بمعنى الكَلِمَةِ؛ فإنها تَعَدَّى بِتَعَدِّيَّهَا، ومعلومٌ أنَّ التصديق يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ، والإيمان لا يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ؛ فتقول مثلاً: صدَّقْتَهُ، ولا تقول: آمَنْتُهُ، بل تقول: آمَنْتُ بِهِ. أو: آمَنْتُ لَهُ. فلا يُمكنُ أن نُفسِّرَ فِعْلاً لازماً لا يَتَعَدَّى إلَّا بحرفِ الجرِّ بفعل متعَدٍّ ينصب المفعول به بِنَفْسِهِ)^(٢).

﴿الإيمان شرعاً﴾

دَلَّتْ الأدلَّةُ مِنَ الكِتَابِ والسُنَّةِ على أنَّ الإيمان: قَوْلٌ باللسان، واعتقادٌ بالقلب، وعَمَلٌ بالجوارح والأركان.

وقد يُعبَّرُ عنه بتعبير صحيح أيضاً وهو قَوْلُهُم: اعتقادٌ وقَوْلٌ وعَمَلٌ، أو قَوْلٌ وعَمَلٌ^(٣).
فأما الدَّلِيلُ على قَوْلِ اللِّسَانِ؛ قوله تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنَّا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنَ كِتَابِ﴾ [الشورى: ١٥].
وقال النبي ﷺ: «أمرت أَنْ أَقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ...» الحديث^(٤).

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩١). وانظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢/ ٢٢٩، ٢٣٠).

(٢) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢/ ٢٣٠)، وانظر: شرح الطحاوية (ص ٣٢١، ٣٢٢).

(٣) انظر: الإيمان للقاسم بن سلام (ص: ١٠)، المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٦)، مجموع الفتاوى

(٧/ ١٧٠)، الفوائد لابن القيم (ص: ١٥٥، ١٥٦).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان (١/ ٣٢)، برقم (٢٥)، ومسلم: كتاب

والدليل على اعتقاد القلب؛ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥]. وقوله ﷺ: «أُسْعِدُ النَّاسَ بِشِفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»^(١).

والدليل على عمل الجوارح قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]. ومن جملة الإيمان هنا الصلاة، وقوله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وقال النبي ﷺ: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس»^(٢).

وقد تتابع العلماء في بيان هذا المعنى للإيمان، وذكره علماء أهل السنة في كتب الاعتقاد، بل نقل غير واحد منهم الإجماع عليه.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم مِمَّنْ أَدْرَكْنَاهُمْ، أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ، لَا يَجْزِي وَاحِدٌ مِنَ الثَّلَاثَةِ بِالْآخِرِ)^(٣). وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: (أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول

الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (ص: ٣٦) برقم (٢٢).

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث (١ / ٥٩) برقم (٩٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان (١ / ٤١) برقم (٥٣)، ومسلم: كتاب

الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين، والدعاء إليه (ص: ٣٣) برقم (١٧).

وانظر المزيد من الأدلة على ذلك في كتاب (زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه) للدكتور عبد

الرزاق العباد (ص: ٢٢ - ٢٤).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣ / ٨٨٦، ٨٨٧)، وعزاه اللالكائي للشافعي في كتاب الأم ولم أجده.

وعمل، ولا عمل إلا بنية^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (وأجمع السلف أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ومعنى ذلك أنه قول القلب وعمل القلب، ثم قول اللسان وعمل الجوارح)^(٢).

فهذا هو تعريف الإيمان شرعاً عند عامة أهل السنة والجماعة. وقول المصنّف رَحِمَهُ اللهُ: (قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ): المقصود بقول القلب: تصديقه وإيقانه، وعمل القلب: النية والانقياد والمحبة والتوكل ونحو ذلك؛ وقول اللسان: النطق بالشهادتين، وعمل اللسان: تلاوة القرآن وسائر الأدعية والأذكار.

وعمل الجوارح: إمّا فعلٌ وإمّا تركٌ، فالفعل: هو فعل المأمورات، والترك هو: ترك المنهيات.

❦ ولحقيقة الإيمان أصولان:

الأصل الأول في حقيقة الإيمان: أنه قولٌ باللسان واعتقادٌ بالقلب وعملٌ بالجوارح والأركان.

والأصل الثاني في حقيقة الإيمان: أن الإيمان يزيد وينقص عند أهل السنة والجماعة، فإن النصوص دالة على ذلك.

والأدلة من القرآن الكريم على أن الإيمان يزيد وينقص كثيرة، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]،

(١) التمهيد (٩ / ٢٣٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٧ / ٦٧٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (٢٢) [الأحزاب: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَزِدَادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١].

ومن أدلة السنة على أن الإيمان يزيد وينقص قول النبي ﷺ: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن»^(١)، وفي الحديث: «إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله أن يَجِدَّ الإيمان في قلوبكم»^(٢).

وأسباب زيادة الإيمان كثيرة منها: الإتيان بالفرائض، وفعل المندوبات كصلاة النوافل والصوم المندوب كالاثنين والخميس، وصيام التسع الأوائل من ذي الحجة، وصيام ستٍّ من شَوَّال، وصيام ثلاثة أيام في الشهر، وأيام البيض، وغير ذلك من الصيام المندوب.

وكذلك كثرة الصدقات، وتلاوة القرآن، والمداومة على ذكر الله جَلَّ وَعَلَا في جميع الأوقات، والتفكير والتدبر في مخلوقات الله تعالى، والتقرب إلى الله بتعلم العلم النافع والعمل به، إلى غير ذلك من الأعمال الصالحة التي تكون سبباً في زيادة الإيمان.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم (١/١١٥) برقم (٣٠٤).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٤/٦٩) برقم (١٤٦٦٨)، والحاكم في المستدرک (١/٤٥) برقم

(٥) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/١١٣).

والإيمان كما أنه يزيد فكذا ينقص، وأسباب نقصان الإيمان عديدة؛ كترك الواجبات وفعل المحرمات وانشغال القلب عن ذكر الله وغير ذلك.

❦ ومن أسباب ضعف الإيمان: أمراض القلب وهي نوعان^(١):

الأول: مَرَضُ الشُّبُهَاتِ؛ وعلامته: أن يميل إلى كل شبهة تَعْرِضُ له، وهذا النوع أخطرهما لأنه خاصٌ بالعقيدة، وقد يُوَدِّي بالإنسان إلى الكُفْرِ.

فاحذَر - أيُّها المسلم - مِنْ هذه الشُّبُهَاتِ ولا تقرأ شُبُهَاتِ المخالفين، وإنْ كُنْتَ بحاجةٍ إلى الاطِّلاع عليها كالردِّ على بعض الشُّبُهَةِ فليكن ذلك بعدما تَسَلَّحَ بِالْعِلْمِ وَسَعَةِ الاطِّلاع، أَمَّا أَنْ يَطَّلِعَ الْإِنْسَانُ عَلَى الشُّبُهَةِ وَهُوَ ضَعِيفٌ فِي الْعِلْمِ، فَهَذَا خَطَرٌ عَلَيْهِ.

وذلك لِأَنَّ الْقَلْبَ قد يتأثر بهذه الشُّبُهَةِ؛ لعدم العلم بالله وبما جاء عن الله؛ فليحذَر كُلَّ الحذر، وعلى المسلم أن لا يجالس المخالفين مِنْ أَهْلِ البدع، ومن المعلوم أَنَّ السَّلَفَ حَدَّثُوا مِنَ الْجُلُوسِ مَعَ أَهْلِ البدع، أو الاشتغال بقراءة كتبهم، أو حتى السَّلَامِ عَلَيْهِمْ أو حضور جنازتهم.

والإنسان إذا جاءته الشُّبُهَةُ لا يجعل قَلْبَهُ مثل الإسفنجة تَشْرَبُ الماء، وَإِنَّمَا يَجْعَلُ قَلْبَهُ مِثْلَ الزُّجَاجِ يَعْكِسُ الضَّوْءَ وَلَا يُؤَثِّرُ فِي مَادَّةِ الزُّجَاجِ^(٢).

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (جماع أمراض القلب هي أمراض الشبهات والشهوات، والقرآن شفاء للنوعين، ففيه من البينات والبراهين القطعية ما يبين الحق من الباطل، فتزول أمراض الشبه المفسدة للعلم والتصور والإدراك). إغاثة اللهفان (١/ ٧٠).

(٢) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (وقال لي شيخ الإسلام -يعني: ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ- وقد جعلت أورد عليه إيراداً بعد إيراد-: لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها؛ فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة، تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه، ويدفعها بصلابته، وإلا

وما أكثر الشبهات التي تَبْهُها وسائل الإعلام؛ سواء عن طريق الفضائيات أو الانترنت أو غير ذلك، فالحذرَ الحذرَ - عَبْدَ الله - فالشبهات قد تُذهِبُ الإيمان أو تُضعِفُهُ، وقد يحصل لصاحب الشُّبُهَاتِ العاقبة السيئة؛ نَسْأَلُ الله العافية والثبات على دينه^(١).

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ: (البدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية، والمعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها)^(٢).

فالحذرَ الحذرَ مِنْ أهل البدع ومجالستهم والاستماع إليهم وقراءة كُتُبِهِمْ وَسَمَاعِ صَوْتِيَّاتِهِمْ^(٣).

الثاني: مرض الشَّهَوَاتِ؛ وعلامته أن يميل إلى الشَّهَوَاتِ المخالفة لشرع الله. ومَرَضُ الشَّهْوَةِ أَقْلٌ خَطَرًا مِنْ مَرَضِ الشُّبْهَةِ؛ فَإِنَّ الشَّهْوَةَ تنتهي في وَقْتِهَا، ويعرف الإنسان أنه ارتكب محرَّمًا، ورُبَّمَا سأل الله أن يتوب عليه، وأن يغفر له ذنبه، وأمَّا صاحب الشُّبْهَةِ فيقول: أن هذا مِنْ دِينِ الله، وهو ليس مِنْ دِينِ الله تعالى، فيظنُّ أنه على خير، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

فإذا أشربت قلبك كلَّ شبهة تمر عليك صار مَقَرًّا للشُّبُهَاتِ -أو كما قال- فما أعلم أي انتفعت بوَصِيَّةٍ في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٩٥).

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (فالبدع تكون في أولها شبراً ثُمَّ تكثر في الاتِّبَاعِ حَتَّى تَصِيرَ أَذْرُعًا وأميالاً وفَرَاسِخ) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٢٥).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة (١/ ١٤٩) وأبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام وأهله (٥/ ١٢١).

(٣) انظر: البدع والنهي عنها لابن وَصَّاح (ص: ٩٥) أصول السنة لابن أبي زَمَنِين (ص: ٢٩٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٧٠١) الاعتصام للشاطبي (١/ ١٢٦).

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكْفَرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ كَمَا يَفْعَلُهُ
 الْخَوَارِجُ؛ بَلِ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي آيَةِ
 الْقَصَاصِ: ﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْسَعُ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨]. وَقَالَ:
 ﴿وَلِنْ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا
 الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُقْسِطِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩ - ١٠]. وَلَا
 يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمَ الْإِيمَانِ بِالْكَلِمَةِ وَيُخْلِدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا يَقُولُهُ
 الْمُعْتَزَلَةُ؛ بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿فَتَحَرِّرُ رَقَبَةٍ
 مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقُ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ:
 ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]. وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:
 «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ
 مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهَبُ نَهْبَةً ذَاتَ
 شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ». وَيَقُولُونَ: هُوَ
 مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكِبِيرَتِهِ، فَلَا يُعْطَى الْاسْمُ
 الْمُطْلَقُ، وَلَا يُسَلَبُ مُطْلَقُ الْاسْمِ.

﴿الْتَبَاحُ﴾

قال المصنّف: (وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكْفَرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ).
 الكفر لغة: التغطية والستر.

اصطلاحاً: ضدُّ الإيمان، فَإِنَّ الْكُفْرَ عَدَمُ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، سواء

كان معه تكذيبٌ أو لم يكن معه تكذيب.

والتَّكْفِيرُ هو: الحكم على أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ بِأَنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَوَصَفَهُ بِالْكَفْرِ لِإِتْيَانِهِ بِمَا يُوجِبُ كُفْرَهُ شَرْعًا.

وَمِنْ أَصُولِ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: أَنَّهُمْ لَا يُكْفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ.

والمراد بأهل القِبْلَةِ: هم من يدَّعي الإسلام ويستقبل القِبْلَةَ، وإن كانوا مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْمَعَاصِي.

وَمُطْلَقُ الْمَعَاصِي أَي: الْكَبَائِرُ الَّتِي دُونَ الشُّرْكِ، وَأَمَّا مَنْ ارْتَكَبَ الشُّرْكَ الْأَكْبَرَ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ، لِقَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وتعريفُ الْكَبِيرَةِ هو: كُلُّ ذَنْبٍ تَوَعَّدَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ أَوْ اللَّعْنَةِ أَوْ الْغَضَبِ، أَوِ الْعَذَابِ^(١). وَيُطْلَقُ عَلَى فَاعِلِهَا مِنْ حَيْثُ الْأَسْمِ: أَنَّهُ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِئٌ بِكَبِيرَتِهِ.

وقد دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ؛ أَمَّا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَتْبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨] وهذه الآية في سياق الْقَتْلِ، فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَاتِلَ أَخًا لِلْمَقْتُولِ، وَالْمَرَادُ بِالْأُخُوَّةِ فِي الْآيَةِ أُخُوَّةُ الْإِيمَانِ، وَلَوْ كَانَ الْقَاتِلُ خَارِجًا مِنَ الْإِيمَانِ مَا كَانَ الْقَاتِلَ أَخًا لِلْمَقْتُولِ^(٢).

ولقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَطِيفُنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلَوْا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]،

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥٢-٦٥٧)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٣٧٠)، أصول الدين عند أبي حنيفة للشارح (ص: ٤٤٩).

(٢) انظر: تفسير السعدي (ص: ٨٤).

إلى قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، فجعل الله الطائفتين المقتتلتين مع فعلهما للقتال: إخوة، فالأخوة الإيمانية قائمة بينهم. ﴿وَأَمَّا الْمُبْتَدِعَةُ فَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي مَرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ عَلَى أَقْوَالٍ:

أولاً: الخوارج: يرون أن صاحب الكبيرة كافرٌ يعامل معاملة الكفار، وفي الآخرة هو مُخَلَّدٌ في النار.

ثانياً: المعتزلة: يرون أن مرتكب الكبيرة خارج من الإيمان ولم يدخل الكفر، وهو في منزلة بين المنزلتين، وأما في الآخرة فهو مُخَلَّدٌ في النار.

ثالثاً: المرجئة: يرون أن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، ولا يدخل النار. وأهل السنة والجماعة لا يُكْفَرُونَ مَنْ فعل الكبيرة التي دون الشرك؛ ويرون أن المؤمن العاصي مستحقٌ لو عید الله تعالى، فهو تحت مشيئة الله تعالى؛ إن شاء تجاوز عنه ولم يعذِّبه، وإن شاء أدخله النار لكن لا يُخَلَّد فيها.

وقول المؤلف عن معتقد أهل السنة والجماعة في صاحب الكبيرة: (فَلَا يُعْطَى الْإِسْمَ الْمُطْلَقَ، وَلَا يُسَلَّبُ مُطْلَقَ الْإِسْمِ) يعني: صاحب الكبيرة لا يعطى الإيمان المطلق^(١)، ولا يسلب مطلق الإيمان.

ومعنى الإيمان المطلق: الإيمان الكامل.

ومعنى مُطْلَقِ الْإِيمَانِ: الإيمان الناقص.

والإيمان إمَّا إيمانٌ كامل وإمَّا إيمانٌ ناقص، والنَّاسُ يتفاوتون في إيمانهم على حسب أعمالهم، واستقامتهم، والتزامهم بالفرائض، ويُعْدهم عن المحرَّمات،

(١) ويدل عليه قول النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»، رواه البخاري (٥٥٧٨) ومسلم (٥٧).

فَالنَّاسُ لَيُسُوْا سَوَاءً فِي الْإِيْمَانِ، مِنْهُمْ مَنْ كَمُلَ إِيْمَانُهُ، وَمِنْهُمْ السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ، وَمِنْهُمْ الْمُقْتَصِدُ، وَمِنْهُمْ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ.

❦ وَهَنَاكَ مَسَائِلُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالتَّكْفِيرِ:

أَوَّلًا: قَدْ جَاءَ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ عَلَى مَنْ يُكْفِّرُ مُسْلِمًا بِغَيْرِ دَلِيلٍ، فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ»^(١).

ثَانِيًا: لَا يُكْفِّرُ إِلَّا مَنْ كَفَّرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، لِأَنَّ الْكُفْرَ وَالتَّكْفِيرَ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ لَا يَجُوزُ إِطْلَاقُهُمَا إِلَّا عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّ.

ثَالِثًا: أَنَّ الْقَوْلَ أَوْ الْفِعْلَ قَدْ يَكُونُ كُفْرًا وَلَكِنْ صَاحِبُهُ لَا يَكْفُرُ، وَذَلِكَ لِاحْتِمَالِ وَجُودِ مَانِعٍ مِنْ مَوَانِعِ الْكُفْرِ فَلَا بُدَّ مِنَ التَّثَبُّتِ^(٢).

رَابِعًا: التَّفْرِيقُ بَيْنَ التَّكْفِيرِ الْمُعَيَّنِ وَالتَّكْفِيرِ الْمُطْلَقِ: فَالتَّكْفِيرُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَوْعَيْنٍ:

* التَّكْفِيرُ الْمُعَيَّنُ: وَهُوَ الْحُكْمُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ بِأَنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ وَوَصَفَهُ بِالْكَفْرِ، وَهَذَا لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ إِثْبَاتِ شُرُوطٍ وَانْتِفَاءِ مَوَانِعٍ.

* التَّكْفِيرُ الْمُطْلَقُ: وَهُوَ إِطْلَاقُ الْكُفْرِ عَلَى الْفِعْلِ أَوْ الْقَوْلِ أَوْ الْإِعْتِقَادِ، وَهَذَا النَّوعُ قَدْ وَرَدَ فِي الشَّرْعِ إِطْلَاقُهُ، مِثْلُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كُفَّارٌ، أَوْ أَنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ كَافِرٌ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ مَنْ كَفَّرَ أَخَاهُ بِغَيْرِ تَأْوِيلٍ فَهُوَ كَمَا قَالَ (٤/١٩٢٥) بِرَقْم (٦١٠٤)، وَمُسْلِمٌ، كِتَابُ الْإِيْمَانِ، بَابُ بَيَانِ حَالِ إِيْمَانِ مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ: يَا كَافِرُ (ص: ٤٨) بِرَقْم (٦٠) وَاللَّفْظُ لَهُ.

(٢) انْظُرْ: مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى (٣٥/١٦٥).

خامساً: شروط التكفير، وهي أربعة شروط:

الأوّل: ثبوت أن هذا القول، أو الفعل، أو الترك كفر بمقتضى دلالة الكتاب أو السنة.

الثاني: ثبوت قيامه بالمكلف.

الثالث: بلوغ الحجة.

الرابع: انتفاء مانع التكفير في حقه^(١).

سادساً: موانع التكفير^(٢):

الأوّل: الجهل، والدليل على ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «كان رجل يسرف على نفسه فلما حضره الموت قال لبيته: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فو الله لئن قدر عليّ ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحدًا، فلما مات فُعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا ربّ خشيتك، فغفر له، وقال غيره: مخافتك يا ربّ»^(٣).

الثاني: الخطأ، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۖ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٥).

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين (٣/ ٥٢).

(٢) للتوسع في هذه المسألة انظر: نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف للوهبي (١/ ٢٢٥)، وذكر أيضاً أن من موانع التكفير: التقليد.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (٢/ ١٠٨٢) برقم (٣٤٨١) واللفظ له، ومسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (ص: ١٠٨٢) برقم (٢٧٥٦).

قَبِلْنَا ﴿البقرة: ٢٨٦﴾ وثبت في الحديث أن الله تعالى قال: «قد فعلت»^(١).

الثالث: الإكراه، والدليل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

الرابع: التأويل، والأدلة عليه هي الأدلة السابقة في الجهل والخطأ، ومما يدل على هذا المانع أيضاً قصّة عثمان بن مظعون رضي الله عنه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (فليس كُلُّ مَنْ جَهِلَ شيئاً من الدِّينِ يكفر، ولهذا لما استحلَّ طائفة من الصحابة والتابعين كقدامة بن مظعون وأصحابه شرب الخمر وظنُّوا أنها تباح لمن عمل صالحاً على ما فهموه من آية المائدة^(٢))، اتَّفَقَ علماء الصحابة كعمر وعلِّي وغيرهما على أنهم يستتابون؛ فَإِنْ أَصْرُوا على الاستحلال كَفَرُوا وَإِنْ أَقَرُّوا به جُلِدُوا؛ فلم يَكْفُرُواهم بالاستحلال ابتداءً لأجل الشُّبهة التي عَرَضَتْ لهم)^(٣).

سابعاً: أهل السنة لا يُكفِّرون مَنْ كَفَرَهُمْ، لأنَّ التكفير حكمٌ شرعيٌّ وليس داخلياً في العقوبة بالمثل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأهل السنة لا يبتدعون قولاً ولا يَكْفُرُونَ من اجتهد فأخطأ، وإن كان مخالفاً لهم مكفراً لهم مستحلاًّ لدمائهم، كما لم تكفر الصحابة الخوارج، مع تكفيرهم لعثمان وعلِّي ومن والاها، واستحلّاهم لدماء المسلمين المخالفين لهم)^(٤).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يكلف إلا ما يطاق (ص ٦٥) برقم (١٢٦).

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسَنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣].

(٣) الرد على البكري (٢/ ٤٩٢).

(٤) منهاج السنة النبوية (٥/ ٩٥).

ثامناً: الكفر نوعان:

النوع الأول: كُفْرٌ أكبر يُخرج من الملة، وهو مُوجبٌ للخلود في النار، وهو خمسة أقسام: كُفْرُ التَّكْذِيبِ، وكُفْرُ الإِبَاءِ والاستكبار، وكُفْرُ الشُّكِّ، وكُفْرُ الإِعْرَاضِ، وكُفْرُ التَّنَاقُصِ.

النوع الثاني: كُفْرٌ أصغر لا يخرج من الملة، وهي الذنوب التي وَرَدَتْ تَسْمِيَتُهَا في الكتاب والسنة كُفْرًا، ولم تصل إلى حَدِّ الكُفْرِ الأكبر، مثل: كفر النعمة، والحلف بغير الله، وقتال المسلم.

تاسعاً: الفرق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر:

* أولاً: الكفر الأكبر يخرج صاحبه من الملة، والكفر الأصغر لا يخرج صاحبه من الملة.

* ثانياً: الكفر الأكبر يحبط جميع الأعمال^(١)، والكفر الأصغر لا يحبط جميع الأعمال ولكن يحبط العمل الذي وقع فيه مثل الرياء.

* ثالثاً: الكفر الأكبر يخلد صاحبه في النار^(٢)، والكفر الأصغر لا يخلد صاحبه في النار إن دَحَلَهَا.

* رابعاً: الكفر الأكبر يبيح الدم والمال^(٣)، والكفر الأصغر لا يبيح الدَّم والمال.

(١) قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَكَ لَيَحْطَبَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

(٣) قال النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله» رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢).

* خامسًا: الكفر الأكبر يوجب العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين^(١)، والكفر الأصغر لا يمنع الموالاة مطلقًا، بل صاحبه يُحَبُّ وَيُؤَالَى بِقَدْرٍ مَا فِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَيُبْغَضُ وَيُعَادَى بِقَدْرٍ مَا فِيهِ مِنَ الْعِصْيَانِ.

* سادسًا: الكفر الأكبر يَسْلُبُ مطلق الإيمان فلا يبقى معه إيمانٌ بالكليَّة، والكُفْرُ الأصغر يسلب الإيمان المطلق - أي: الكامل - فصاحبه يَبْقَى معه إيمانٌ وَلَكِنَّهُ إيمانٌ ناقصٌ.



(١) قال الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢٢) ﴿[المجادلة: ٢٢].

وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝﴾ [الحشر: ١٠]. وَطَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ». وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ. فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَهُوَ صَلَاحُ الْحَدِيثِ وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ. وَيَقْدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ وَكَانُوا ثَلَاثَ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» وَبِأَنَّهُ (لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ؛ بَلْ قَدْ رَضِيَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَارْبَعٍ مِائَةٍ. وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، كَالْعَشْرَةِ، وَكَثَابَتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقْرُونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النُّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ وَيُثَلَّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ ﷺ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَتِ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ. مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدْ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ ﷺ - بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ: وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا؛ لَكِنْ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ

عَلَيَّ. وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلَيٍّ - لَيْسَتْ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ؛ لَكِنَّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ ﷺ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَيِّمَةِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارٍ أَهْلِهِ.

🔖 الشَّيْخُ:

من أصول أهل السنة والجماعة: محبة أصحاب النبي ﷺ والترضي عنهم والإمساك عما شجر بينهم.

🔖 وهناك مسائل متعلقة بالصحابة ﷺ:

🔖 أولاً: تعريف الصحابي.

الصحابي: هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك^(١).

🔖 ثانياً: موقف أهل السنة والجماعة من الصحابة.

موقف أهل السنة والجماعة من الصحابة هو محبتهم، والثناء عليهم، والترضي عنهم، وسلامة قلوبهم من البغضاء والحقد عليهم، وسلامة ألسنتهم من لمزهم أو سبهم أو تنقصهم أو شتمهم.

وَلَا حُزْنَ أَلَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجَعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ [الحشر: ١٠]، فهم يحبون الصحابة ويتراضون عليهم ويعترفون بفضلهم وخيريتهم.

(١) انظر: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر لابن حجر (ص: ١٤٠)، الإصابة في تمييز الصحابة له أيضاً (١/ ١٥٨).

❦ ثالثاً: عدالة الصحابة رضي الله عنهم.

الصحابة رضي الله عنهم كلهم عُدُولٌ، وقد نقل الإجماعَ غَيْرُ وَاحِدٍ من العلماء على عدالة الصَّحَابَةِ^(١).

❦ رابعاً: فضل الصحابة.

وردت أدلة كثيرة من الكتاب والسنة تدلُّ على فضل الصحابة رضي الله عنهم، منها: قوله تعالى: ﴿تُحَمَّدُ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالسَّيِّقُوتِ الْأُولَؤُنَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

ومن السنة جاءت عِدَّةُ أَحَادِيثَ تدلُّ على فَضْلِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، منها:

* قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسبُّوا أصحابي لا تسبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ^(٢) أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(٣).

(١) قال أبو عمرو بن الصلاح: (إنَّ الأُمَّةَ مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لا لبس الفتنة منهم) معرفة أنواع علم الحديث لابن الصلاح (ص: ٣٩٨).

وقال النووي: (الصحابة كلُّهم عدول، من لا لبس الفتن وغيرهم بإجماع من يُعْتَدُّ به) التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير للنووي (ص: ٩٢).

(٢) المدُّ هو: ربع الصاع، وإنما ذكر لأنه أقل ما يتصدقون به في العادة. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٠٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذاً خليلاً» (٣/ ١١٣٠).

* وقال النبي ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»^(١).
 * ومما يدلُّ على فضلهم أيضًا: قوله ﷺ: «النجوم أمانةٌ للسماء، فإذا ذهبَت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمانة لأصحابي، فإذا ذهبَت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي؛ فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»^(٢).
 * ومما يدلُّ على فضل الصَّحابة أيضًا قوله ﷺ: «يأتي على الناس زمان، فيغزوا فئام^(٣) من الناس، فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم. فيفتح لهم»^(٤).

❦ خامساً: تفاضل الصَّحابة ﷺ.

إنَّ الصحابة ﷺ يتفاضلون، فليسوا بمنزلة واحدة في الفضل، ومما يدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١٠) [الحديد: ١٠]،

برقم (٣٦٧٣)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب تحريم سب الصحابة ﷺ (ص: ٩٥٨) برقم (٢٥٤٠) واللفظ له.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد (٨٠١ / ٢) برقم (٢٦٥٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم يلونهم، (ص: ٩٥٦) برقم (٢٥٣٣).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة (ص: ٩٥٥) برقم (٢٥٣١).

(٣) الفئام: أي الجماعة. انظر: كشف المشكل (١١٦ / ٣).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ وﷺ (٣ / ١١٢٣) برقم (٣٦٤٩) واللفظ له، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم (ص: ٩٥٥) برقم (٢٥٣٢).

ومما يَدُلُّ على ذلك أيضًا قول النبي ﷺ: «وما يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ اطَّلَعَ على أهل بدر، فقال: اعملُوا ما شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»^(١).

وكذلك في أهل بيعة الرضوان وما لهم من فضل، كما قال النبي ﷺ: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها»^(٢)، وغير ذلك من الأحاديث الدالة على تفاضل الصحابة عمومًا، وقد جاءت نصوص تدلُّ على فضل أفراد من الصحابة رضي الله عنهم وهي كثيرة جدًا مثل الأحاديث التي فيها فضل الخلفاء الأربعة، والعشرة المبشرين بالجنة^(٣) وغير ذلك.

وأفضلهم من حيث الجنس: المهاجرون ثم الأنصار لأنَّ الله جَلَّوَعَلَا قَدَّمَ المهاجرين على الأنصار كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧]، وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَالسَّيِّقُوتِ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ولأنهم جمعوا بين الهجرة من ديارهم وترك أموالهم، وبين نصرة النبي ﷺ.

وأفضل الصحابة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وهذا رأي جمهور أهل السنة

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (٣/ ١٥٥٧) برقم (٤٨٩٠)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم، وقصة حاطب بن أبي بلتعة (ص: ٩٤٥) برقم (٢٤٩٤).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أصحاب الشجرة، أهل بيعة الرضوان، رضي الله عنهم (ص: ٩٤٦) برقم (٢٤٩٦).

(٣) حديث العشرة المبشرين بالجنة: أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في الخلفاء (ص: ٨٤٠) برقم (٤٦٤٩)، والترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف الزهري رضي الله عنه (ص: ٨٤٨) برقم (٣٧٤٨) وأخرجه غيرهما أيضًا. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ١٣١).

والجماعة، والذي استقر عليه أمر أهل السنة والجماعة تقديم عثمان على عليٍّ عليه السلام.
وأفضل الصحابة على الإطلاق هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وهذا متفق عليه بين
أهل السنة والجماعة^(١)، والأحاديث في فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه كثيرة جداً.
ثم بعد أبي بكر عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه
أجمعين.

ومن الأدلة على ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه قال: صعد النبي صلى الله عليه وسلم أحدًا ومعه أبو
بكر، وعمر، وعثمان، فرجف، وقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «اسكن أحد فليس عليك إلا
نبي، وصديق، وشهيدان»^(٢)، وقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: «أما ترضى أن تكون مني
بمنزلة هارون من موسى»^(٣).

وهذا الترتيب هو ما استقر عليه مذهب أهل السنة والجماعة^(٤).

(١) قال ابن عمر رضي الله عنهما: (كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم
عثمان بن عفان، رضي الله عنهم أجمعين) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل أبي بكر
بعد النبي صلى الله عليه وسلم (٣/ ١١٢٥) برقم (٣٦٥٥).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: (ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما
على جميع الصحابة)، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي (ص: ٣٦٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب عثمان بن عفان، أبي عمرو، القرشي رضي الله عنه
(٣/ ١١٣٧) برقم (٣٦٩٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي
أبي الحسن رضي الله عنه (٣/ ١١٤٢) برقم (٣٧٠٦)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب
من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، (ص: ٩١٤) برقم (٢٤٠٤).

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية (٨/ ٢٢٥). وقال الشافعي رحمه الله: (أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو
بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضوان الله عليهم) مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤٣٣).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (وأفضل الصحابة بل أفضل الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام: أبو بكر، ثم

* ثم يليهم في الفضل بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهم: طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة بن الجراح.

* ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل بيعة الرضوان^(١).

* وقيل إن أهل بيعة الرضوان مقدّمون على أهل أُحُد في التّفضيل^(٢). والله أعلم. وسميت بيعة الرضوان لأن الله رَضِيَ عَمَّنْ بايع تحت الشَّجرة، فحصل لهم الرِّضَى والرُّضْوَان، وعدد الصَّحَابَةِ الذين حضروا هذه البيعة ألف وأربعمائة، والفضيلة التي حصلت لهم هي:

أولاً: أن الله تعالى رضي عنهم.

ثانياً: سلامتهم من دخول النار؛ لأنَّ النبي ﷺ أخبر أنه لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة؛ قال النبي ﷺ: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحدٌ، الذين بايعوا تحتها»^(٣).

ونؤمن أيضاً بمن أخبر النبي ﷺ بأنه من أهل الجنة كثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه^(٤)، وعكاشة بن محصن رضي الله عنه^(٥).

من بعده: عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب (شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير (ص: ١٨٣).

(١) انظر: شرح اختصار علوم الحديث (ص: ١٨٣).

(٢) انظر: شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (ص: ٦١٥).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣/ ١١١٤) برقم (٣٦١٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله (ص: ٦٣) برقم (١١٩).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتو (٤/ ١٨٢٥) برقم

وأهل العلم الذين اختلفوا في المفاضلة بين علي وعثمان عليهما السلام؛ لم يُضَلَّلْ بعضهم بعضاً، ولم يُفَسَّقْ بعضهم بعضاً؛ ثُمَّ اسْتَقَرَّ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى تَقْدِيمِ عِثْمَانَ عَلَى عَلِيٍّ؛ وَتَرْتِيبِهِمْ فِي الْفَضْلِ كَتَرْتِيبِهِمْ فِي الْخِلَافَةِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وَأَمَّا مَنْ يَتَكَلَّمُ فِي خِلَافَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَيُرَى أَنَّ بَعْضَهُمْ أَحَقُّ مِنْ بَعْضٍ فِي التَّقْدِيمِ لِلْخِلَافَةِ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ فَهَذَا يُضَلِّلُ الْمَخَالِفَ؛ لِأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ، وَإِجْمَاعِ أَهْلِ السُّنَّةِ.

وَمِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الْإِعْتِرَافُ بِفَضْلِ الصَّحَابَةِ عليهم السلام، وَتَوَلِّيهِمْ، وَمَحَبَّتِهِمْ، وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ صَنَّفُوا فِي الْإِعْتِقَادِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فِي كُتُبِهِمْ؛ لِأَنَّهَا مِنْ صُلْبِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ^(١)، وَقَدْ أَفْرَدَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَوْلاَفَاتٍ خَاصَّةً فِي فِضَائِلِ الصَّحَابَةِ عليهم السلام^(٢).

❦ سَادِسًا: الْمِفَاضِلَةُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ عليهم السلام وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ.

اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي الْمِفَاضِلَةِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ، فَذَهَبَ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ أَفْضَلُ مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ فَرْدًا فَرْدًا^(٣). وَذَهَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ مَجْمُوعَ الصَّحَابَةِ أَفْضَلُ مِنْ مَجْمُوعِ مَنْ جَاءَ

(٥٧٠٥)، وَمُسْلِمٌ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى دُخُولِ طَوَائِفِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ (ص: ١٠٣) بِرَقْم (٢٢٠).

(١) انْظُرْ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ: شَرْحُ السُّنَّةِ لِلْبَرْهَارِيِّ (ص: ١١١)، الشَّرِيعَةُ لِلْأَجْرِيِّ (٤ / ١٦٧٥)، أَصُولُ السُّنَّةِ لِابْنِ أَبِي زَمَنِينَ (ص: ٢٦٣)، شَرْحُ أَصُولِ إِعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لِلْأَلْكَائِيِّ (٤ / ١٣١٠).

(٢) مِثْلُ: فِضَائِلِ الصَّحَابَةِ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، فِضَائِلِ الصَّحَابَةِ لِلنَّسَائِيِّ، فِضَائِلِ الصَّحَابَةِ وَمُنَاقِبُهُمْ لِلدَّارِقُطْنِيِّ.

(٣) انْظُرْ: فَتْحُ الْبَارِيِّ (٧ / ٦)، سَبِيلُ السَّلَامِ شَرْحُ بُلُوغِ الْمَرَامِ لِلصَّنْعَانِيِّ (٤ / ٥٨١).

بعدهم^(١).

والرَّاجِحُ - والله أعلم - هو القول الأوَّل لِعِدَّةٍ أُدِلَّتْ مِنْهَا:

١ - عموم قول النبي ﷺ: «خير الناس قرني، ثُمَّ الذين يَلُونَهُمْ»^(٢). فهذا

الحديث واضح في أنَّ أفضل القرون هو قرْنُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ^(٣).

٢ - قوله ﷺ: «لو أنَّ أَحَدَكُمْ اتَّفَقَ مِثْلُ أَحَدٍ ذَهَبًا ما بلغ مُدَّ أَحَدِهِمْ ولا نَصِيفَهُ»^(٤).

٣ - إنَّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كان لهم السبق في نشر الدِّين والعلم، فيشملهم قوله ﷺ:

«من دَلَّ على خير فله مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»^(٥)، وهذا الحديث وإن كان عامًّا لهم ولغيرهم إلا أنَّه يشملهم بالأولوية.

٤ - إنَّ (فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله ﷺ)^(٦).

(١) انظر: التمهيد (٢٠/ ٢٥٠، ٢٥١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٢٦١ - ٢٦٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: سبل السلام (٤/ ٥٨١).

(٤) تقدم تخريجه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإذا كان جبل أحد ذهبًا لا يبلغ نصف مد أحدهم كان في هذا من التفاضل ما يبين أنه لم يبلغ أحد مثل منازلهم التي أدركوها بصحبة النبي ﷺ) مجموع الفتاوى (٤/ ٥٢٧).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير (ص: ٧٣٤) برقم (١٨٩٣).

(٦) فتح الباري (٧/ ٧). قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: (فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه ﷺ ولو لقوا الله بجميع الأعمال؛ كان هؤلاء الذين صحبوا النبي ﷺ ورأوه، وسمعوا منه، ومن رآه بعينه وآمن به ولو ساعة أفضل بصحبته من التابعين ولو عملوا كل أعمال الخير) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/ ٢٤٣ ت الفقي)، وقيل له: (هل يُقاسُ بأصحاب رسول الله ﷺ أحد؟ قال: معاذ الله! قيل: فمعاوية أفضل من عمر بن عبد العزيز؟ قال: أي لعمري؛ قال النَّبِيُّ ﷺ: خير النَّاس قرني) السنَّة لأبي بكر الخلال (٢/ ٤٣٥ برقم ٦٦٢)، وانظر: مباحث المفاضلة في العقيدة لمحمد الشطيفي (ص ٢٢٩-٢٣٠).

سابعاً: إثبات خلافة الخلفاء الراشدين ﷺ.

أولاً: تولّى أبو بكر الصديق ﷺ الخلافة بإجماع الصحابة ﷺ^(١).

ثانياً: ثم تولّى الخلافة عمر بن الخطاب ﷺ بعهد من أبي بكر الصديق ﷺ واتفاق الأمة بعده عليه.

ثالثاً: ثم تولّى الخلافة عثمان بن عفان ﷺ، وكان أحد الستة الذين اختارهم عمر بن الخطاب ﷺ^(٢)، وبايعه جميع الصحابة ﷺ^(٣).

رابعاً: ثم تولّى الخلافة علي بن أبي طالب ﷺ، وبايعه الناس، وهؤلاء الخلفاء الأربعة هم خلفاء نبوة ﷺ^(٤).

ثامناً: حكم سب الصحابة ﷺ.

من عقيدة أهل السنة والجماعة تحريم سب الصحابة ﷺ وأنه من الموبقات، وذلك لأمر:

١- دلت الأدلة على تحريم سب الصحابة ﷺ، قال النبي ﷺ: «لا تُسبوا أصحابي، لا تُسبوا أصحابي»^(٥)، فهذا صريح في النهي عن سب الصحابة ﷺ. وجاء الوعيد أيضاً على مَنْ سبَّ الصَّحَابَةَ رضوان الله عليهم، ففي

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عَنْ خِلاَفَةِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ: (فثبتت صحة خلافته ووجوب طاعته بالكتاب والسنة؛ والإجماع وإن كانت إنما انعقدت بالإجماع والاختيار) مجموع الفتاوى (٤٩/٣٥).

(٢) قال عمر بن الخطاب ﷺ: (ما أجد أحداً أحقُّ بهذا الأمر من هؤلاء نفر، أو الرهط، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فسَمَّيْ عليّاً، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعداً، وعبد الرحمن) رواه البخاري برقم (٣٧٠٠).

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية (١/٥٣٢).

(٤) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١١/١٣٤)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٤٩٢).

(٥) تقدم تخريجه.

الحديث: «من سَبَّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»^(١). وهذا يدل على أن سَبَّهُم من الكبائر.

٢- إنه يلزم من سَبِّ الصَّحابة والقَدح فيهم؛ القَدح بالشرع؛ لأنَّ الصَّحابة رضي الله عنهم هم نَقْلَةُ الشرع والدين، فسَبُّهم هو قَدْحٌ في الشرع^(٢).

كما أنه جاء الأمر بالإمساك عن الكلام في الصَّحابة بالقَدح والسب؛ ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «إذا ذَكَرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا»^(٣).

٣- إنَّ سَبَّهُم فيه سوء ظنٌّ بالله جلَّ وعلا؛ إذ كيف يختار الله تعالى لِنبيِّه ﷺ أقوامًا ليسوا بصالحين؟! مع ما فيه من اعتراض صحيح للقرآن الكريم في آيات كثيرة منها قوله جلَّ وعلا: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

٤- إنَّ بُغْضَ الصَّحابة وسَبَّهُم علامةٌ على النفاق، وعلى بغض الله تعالى للسَّابِّ، فعن البراء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في الأنصار: «لا يحبُّهم إلَّا مؤمن ولا

(١) أخرجه ابن الجعد في مسنده، (ص: ٢٩٦) برقم (٢٠١٠)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٨ / ١٧٢) برقم (٣٤٥٩٨)، وأحمد في فضائل الصحابة (١ / ٥٢) برقم (٨)، وابن أبي عاصم في السنة (٢ / ٤٨٣) برقم (١٠٠١)، والبزار في مسنده (١٢ / ١٥٥) برقم (٥٧٥٣)، والخلال في السنة (٣ / ٥١٥) برقم (٨٣٣)، والطبراني في الكبير (١٢ / ١٤٢) برقم (١٢٧٠٩)، والآجري في الشريعة (٥ / ٢٥٠٣) برقم (١٩٩٥) عن أنس وابن عمر وغيرهما، قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: (وبالجملة، فالحديث بمجموع طرقه حَسَنٌ عِنْدِي عَلَى أَقْلِ الدَّرَجَاتِ) (السلسلة الصحيحة (٥ / ٤٤٨)).

(٢) انظر: رسالة في الرد على الرافضة (ضمن مؤلَّفات الشيخ محمد عبد الوهاب) (١٣ / ١٣).

(٣) أخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق (ص: ٣٥٠) برقم (٧٨٧)، والطبراني في الكبير (١٠ / ٢٤٣) برقم (١٠٤٤٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤ / ١٠٨)، والبيهقي في القضاء والقدر (ص: ٢٩١) برقم (٤٤٤). وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١ / ١٥٥).

يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مَنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ»^(١). وهذا الحديث يدلُّ على خطورة سبِّهم وتنقيصهم وازدراءهم ﷺ.

٥- إنَّ سَبَّ الصَّحَابَةِ ﷺ ليس على وتيرة واحدة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (فَمِنْ أَصْنَافِ السَّابَّةِ مَنْ لَا رَيْبَ فِي كُفْرِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَحْكُمُ بِكُفْرِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَرَدَّدُ فِيهِ)^(٢). وَإِنَّمَا الصَّوَابُ فِي حَكْمِ مَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ التَّفْصِيلُ كما يلي:

أ- أن يسبَّ جميع الصحابة ويفسِّقهم، أو يزعم أنهم ارتدُّوا عن الإسلام إلا نفرًا قليلًا منهم فهذا لا شكَّ في كُفْرِهِ^(٣). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فيمن يفعل هذا: (بَلْ مَنْ يَشْكُ فِي كُفْرٍ مِثْلَ هَذَا، فَإِنَّ كُفْرَهُ مَتَعَيَّنٌ)^(٤).

ب - أن يقذف أمَّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بما برَّأها الله تعالى به، فإنَّ هذا يكفر؛ لأنَّه مُكَذِّبٌ للقرآن الذي جاء ببراءتها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا^(٥)، وكُفْرُهُ بالإجماع، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (وَاتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَى كُفْرِ قَازِفِهَا)^(٦).

ج - أن يسبَّ بعض الصحابة سبًّا لا يقَدَحُ في دينهم وعدالتهم، فهذا قد أتى

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق، (ص: ٥١) برقم (٧٥).

(٢) الصارم المسلول (٣/ ١١١٣).

(٣) انظر: الصارم المسلول (٣/ ١١١٠)، رسالة في الرد على الرافضة (ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب) (١٣/ ٨)، الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهوتية لمحمود الألوسي، (ص: ١٤٧).

(٤) الصارم المسلول، (٣/ ١١١١، ١١١٠).

(٥) انظر: لمعة الاعتقاد (ص: ٤١)، تفسير ابن كثير (٦/ ٣٢).

(٦) زاد المعاد (١/ ١٠٣)، ونقل الإجماع أيضًا النووي في شرح مسلم (١٧/ ١١٧)، وابن كثير في تفسيره (٦/ ٣١).

ذنبًا، فيستحقُّ التَّعْزِيرُ والتَّأْدِيبُ عليه، ولا يَكْفُرُ بذلك^(١).

٦- قد تتابع العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ عَلَى الإنكارِ عَلَى مَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِذَا رَأَيْتَ أَحَدًا يَذْكُرُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

بِسُوءِ فَاتِمِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ)^(٢).

- وقال أبو زرعة رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاعْلَمْ أَنَّهُ زَنْدِيقٌ)^(٣).



(١) انظر: الصارم المسلول (٣/ ١١٠).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ١٣٢٦) برقم (٢٣٥٩).

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٢).

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي». وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمَّهُ - وَقَدْ شَكَا إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْهُو بَنِي هَاشِمٍ - فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ، اللَّهُ وَلَقَرَاتِي»^(١). وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»^(٢). وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَقْرُونَ بَأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الْآخِرَةِ: خُصُوصًا خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أُمُّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاَصَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ، وَالصَّدِيقَةُ بِنْتُ الصَّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النَّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ». وَيَتَبَرَّوْنَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُغَضُّونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ، وَطَرِيقَةَ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

📌 الشَّرْحُ:

🌸 أولاً: المقصود بأهل بيت النبي ﷺ:

أهل البيت: هم آل النبي ﷺ الذين حرمت عليهم الصَّدَقَةُ، وهم زوجات

(١) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي الفضل عم النبي ﷺ وهو العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ص: ٨٥٠) برقم (٣٧٥٨)، وأحمد في المسند (٣/ ٢٩٤) برقم (١٧٧٢) وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ص: ٥٠٦).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة (ص: ٨٧٢) برقم (٢٢٧٦).

النبي ﷺ وأولاده، وآل علي بن أبي طالب، وآل جعفر، وآل عقیل، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب.

❦ ثانياً: فضل أهل البيت.

قد جاءت نصوص كثيرة في فضل آل البيت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وفي هذه الآية دليل على دخول أزواج النبي ﷺ في آل البيت^(١).

وقال النبي ﷺ: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «أتى جبريل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله: هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام، أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشّرْها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه، ولا نصب»^(٣).

وقال ﷺ: «وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»^(٤).
والنصوص الواردة في فضل أهل البيت كثيرة جداً.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٤١٠).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ص: ٩١٥) برقم (٢٤٠٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة، وفضلها رضي الله عنها (٣/ ١١٦٨) برقم (٣٨٢٠)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها (ص: ٩٢٢) برقم (٢٤٣٢).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَصَرَفَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَاثَمَاتٍ مِنَ الْقَتْلَانِ﴾ (١٢) (٢/ ١٠٥٨) برقم (٣٤١١)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها (ص: ٩٢٢) برقم (٢٤٣١).

﴿ ثالثًا: موقف أهل السنة والجماعة من أهل البيت. ﴾

موقف أهل السنة والجماعة من أهل البيت هو محبتهم وتوقيرهم واحترامهم والإيمان بفضلهم؛ لإيمانهم ﷺ؛ ولقرابتهم من النبي ﷺ ويجب علينا تنفيذ وصية النبي ﷺ في حقهم، فقد قال ﷺ: «أذكركم الله في أهل بيتي»^(١). وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته)^(٢).

﴿ رابعًا: أهل البدع الذين ضلّوا في آل البيت طائفتان: ﴾

الطائفة الأولى: الروافض؛ حيث غلوا في آل البيت لاسيما في عليّ والحسين، حتى ادّعى بعضهم وهم السبئية أنّ علياً هو الإله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -^(٣).

الطائفة الثانية: النّواصب؛ وهم: الذين ناصبوا العداوة لآل بيت النبي ﷺ وآذوهم بالقول والفعل.

والرافضة يسمّون أهل السنة والجماعة نواصب، وحاشا أهل السنة والجماعة من ذلك، ولا شك أنّ هذا كذبٌ وافتراء؛ فإنّ أهل السنة والجماعة

(١) قال ابن كثير رحمه الله: (ولا تنكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض، فخراً وحسباً ونسباً، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجليلة، كما كان عليه سلفهم، كالعباس وبنيه، وعليّ وأهل بيته وذريته، ﷺ أجمعين) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٠١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٧١٣).

(٣) قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (فهاتان الملتان -يعني: الجهمية والرافضة- يناقضان أصلي الإسلام وهما شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ؛ أمّا التجهّم فإنّه نقض التوحيد وإن سَمّى أصحابه أنفسهم مؤخّدين... وأمّا الرافضة فقدحهم وطعنهم في الأصل الثاني وهو شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ وإن كانوا يظهرون موالة أهل بيت الرّسول ومحبتهم) الصواعق المرسلّة (٤/ ١٤٠٥).

يحبُّون آلَ النَّبِيِّ ولا يَنَاصِبُونَهُمُ العَدَاءَ، بل ينفذون وصية رسول الله ﷺ فيهم، ويحبُّونهم، ويقومون بحقوقهم.

والرَّافِضَةُ لا يقومون بحقوق آل البيت على الوجه الشرعي، ويعادون أمَّهات المؤمنين؛ لاسيما عائشة رضي الله عنها، ويطعنون في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويسمُّونهما: الجبت والطَّاغوت، ولذلك قال بعض السلف - في وصف الرَّافِضَةِ -: قيل لليهود مَنْ خِيَارُكُمْ؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى مَنْ خِيَارُكُمْ؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل للرَّافِضَةِ مَنْ شِرَارُكُمْ؟ قالوا: أصحاب محمد ﷺ^(١).

ويسخطون على الحسن رضي الله عنه لتنازله عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه، وكانَّ الحَسَنَ ليس ابنَ عَلِيٍّ وفاطمة رضي الله عنها؛ ولكن الهوى يُعَمِّي ويصم نَسأل الله العافية. والرافضة غلوا في آل البيت غلواً شديداً، حتى قدَّموا لهم أنواعاً من العبادات؛ فيدْعُون الحسين ويطلبون منه تفريج الكربات إلى غير ذلك من الشرك الصريح، ودين الرافضة لا يوافق النقل ولا العقل ولا الفطرة^(٢)؛ حتى قالوا: أن الإمام المنتظر اسمه: محمد بن الحسن العسكري، دخل في سرداب سامراء، وهو إمام الزمان، وأنه سيخرج في آخر الزمان، فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وهم يذهبون في كُلِّ فترة ينادونه: يا إمام الزمان اخرج اخرج، ومعهم الخيل حتى يركب عليها الإمام^(٣).

ولا شك أن هذه عقيدة خرافية، ويدلُّ على بطلانها النقل والعقل، أمَّا النقل

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (١/ ٢٧).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (فإن الرافضة ليس لهم عقل صريح ولا نقل صحيح، ولا يقيمون حقاً، ولا يهدمون باطلاً، لا بحجة وبيان، ولا بيد وسان) منهاج السنة النبوية (٤/ ٦٩).

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية (١/ ٤٥).

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقد كتب الله الموت على كُلِّ مخلوق، وأَمَّا العقل فَإِنَّ كُلَّ نَفْسٍ بِحَاجَةٍ إِلَى الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ فَكَيْفَ يَعِيشُ هَذَا الْإِمَامُ هَذِهِ الْمَدَّةَ الطَّوِيلَةَ بِدُونِ أَكْلِ وَشُرْبٍ؟! وقد نَصَّ بعض أهل التراجُم على أَنَّ الحُسْنَ العَسْكَرِيَّ لَمْ يَعْقُبْ وَلَمْ تَأْتِ لَهُ ذُرِّيَّةٌ.

وَدِينُ الرَّافِضَةِ مَبْنِيٌّ عَلَى السَّبِّ وَالشَّتْمِ وَقَذْفِ الْمُحَصَّنَاتِ، وَلَوْ كَانَ دِينًا سَمَاوِيًّا لَمْ يَكُنْ مَبْنِيًّا عَلَى السَّبِّ وَالشَّتْمِ وَالْقَذْفِ، وَهَذَا الْإِعْتِقَادُ لَا يَصْدُرُ إِلَّا مِنْ نَفْسٍ حَاقِدَةٍ.

وَدِينُ اللَّهِ تَعَالَى يَحْتَثُّ عَلَى تَطْهِيرِ الْقَلْبِ مِنَ الْغِلِّ وَالْحَسَدِ وَالْحِقْدِ وَالْبَغْضَاءِ، وَتَطْهِيرِ اللِّسَانِ مِنَ الْكَلَامِ السَّيِّئِ وَمِنِ السَّبِّ وَالشَّتْمِ وَاللَّمْزِ، وَقَدْ تَوَعَّدَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ يَلْمِزُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فَسَوْقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»^(١)، فَهَذَا النَّهْيُ وَالْوَعِيدُ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فِي أَحَادِ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ السَّبُّ وَالشَّتْمُ لِأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَلصَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَالرَّفْضُ بِذَرَةِ يَهُودِيَّةٍ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الَّذِي أَنْشَأَ مَذْهَبَ الرَّافِضَةِ هُوَ رَجُلٌ يَهُودِيٌّ اسْمُهُ: عَبْدِ اللَّهِ بْنُ سَبَأٍ وَكَانَ يَهُودِيًّا^(٢)، فَدَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ وَأَرَادَ أَنْ يُفْسِدَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ دِينَهُمْ^(٣)، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ نَادَى بِالْغُلُوِّ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبُطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ (١/ ٤٠) بِرَقْمِ (٤٨)، وَمُسْلِمٌ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فَسَوْقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» (ص: ٤٩) بِرَقْمِ (٦٤).

(٢) انْظُرْ: الْفَصْلَ لَابِنْ حَزْمٍ (٥/ ٣٦).

(٣) قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَمَّا الرِّفْضُ فَإِنَّ الَّذِي ابْتَدَعَهُ زَنْدِيقٌ مُنَافِقٌ وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَبَأٍ الَّذِي أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَكَانَ يَبْطِنُ الْكُفْرَ وَقَصَدَهُ فُسَادُ الْإِسْلَامِ) الصَّوَاغِقُ الْمُرْسَلَةُ (٤/ ١٤٠٥).

وأهل بيته، وَزَعَمَ أَنَّ عَلِيًّا لَمْ يَمِتْ وَأَنَّهُ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ كَمَا رَفَعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّ الرَّعْدَ الَّذِي يُسْمَعُ هُوَ صَوْتُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَلَمَّا سَمِعَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِذَلِكَ طَلَبَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَبَأٍ فَهَرَبَ وَاخْتَفَى، فَتَمَكَّنَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْ تَلَامِيذِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأٍ فَأَمَرَ بِإِشْعَالِ النَّارِ، فَأَلْقَاهُمْ فِي النَّارِ، فَقَالَ هَؤُلَاءِ السَّبِيَّةُ حِينَئِذٍ: آمَنَّا أَنَّكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -.

فالمسلم لا تنطلي عليه مثل هذه الأباطيل والخرافات، لأن دين الإسلام يوافق العقل والفطرة.

وأهل السنّة والجماعة وَسَطٌ بَيْنَ الْغَلَاةِ وَهُمْ: الرَّافِضَةُ، وَبَيْنَ الْجَفَاةِ وَهُمْ: النُّوَاصِبُ.

وَأَمَّا زَوْجَاتُ النَّبِيِّ ﷺ فَلَا شَكَّ أَنَّهُنَّ أَفْضَلُ نِسَاءِ الْأُمَّةِ؛ لِمَكَانَتِهِمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَأنَّهُنَّ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَأنَّهُنَّ زَوْجَاتُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْآخِرَةِ، وَلَطَهَارَتِهِنَّ مِنَ الرَّجْزِ، وَلِذَلِكَ يَكْفُرُ مَنْ قَذَفَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ تَنْقُصَ النَّبِيِّ ﷺ وَتَدْنِيسَ فِرَاشِهِ.

وَأَفْضَلُهُنَّ خَدِيجَةُ وَعَائِشَةُ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ أَفْضَلُ مِنَ الْآخَرَى مِنْ جِهَةٍ، فَمَزِيَّةُ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِالرَّسُولِ ﷺ، وَأَنَّهَا عَاضَدَتُهُ وَنَاصَرَتُهُ عَلَى أَمْرِهِ فِي بَدَايَةِ الرِّسَالَةِ، وَأَنَّهَا أُمُّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ بَلْ كُلُّهُمْ إِلَّا إِبْرَاهِيمَ، وَأَنَّ لَهَا مَنْزِلَةً عَالِيَةً عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَعِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ دَائِمًا يَذْكُرُهَا، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ عَلَيْهَا فِي حَيَاتِهَا حَتَّى مَاتَتْ.

وَأَمَّا مَزِيَّةُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَهُوَ حُسْنُ عِشْرَتِهَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّ اللَّهَ بَرَّأَهَا فِي كِتَابِهِ مِمَّا رَمَاهَا بِهِ أَهْلُ الْإِفْكَ، وَأَنْزَلَ فِيهَا آيَاتٍ تُتْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَمَا فِي سُورَةِ النُّورِ، وَأَنَّهَا حَفِظَتْ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَحَادِيثِهِ مَا لَمْ تَحْفَظْهُ امْرَأَةٌ

سَوَاهَا، وَأَنَّهَا نَشَرَتِ الْعِلْمَ الْكَثِيرَ بَيْنَ الْأُمَّةِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكَرٍّ سِوَاهَا؛ فَكَانَتْ تَرْبِيَّتُهَا الزَّوْجِيَّةَ عَلَى يَدِهِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِيهَا: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»^(١).



(١) تقدم تخريجه. قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام؛ ونصرها وقيامها في الدين لم تشركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين. وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغه إلى الأمة؛ وإدراكها من العلم ما لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها). مجموع الفتاوى (٤/٣٩٣).

وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الْأَثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ:
مِنْهَا: مَا هُوَ كَذِبٌ. وَمِنْهَا: مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ، وَغَيْرَ عَنْ وَجْهِهِ. وَعَامَّةُ الصَّحِيحِ
مِنْهُ: هُمْ فِيهِ مَعْدُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصَيَّبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.
وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كِبَائِرِ الْإِثْمِ
وَصَغَائِرِهِ.
بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ.

✍ الشَّيْخُ:

من عقيدة أهل السنة والجماعة الإمساك عما شجر بين الصحابة عليهم السلام
استجابة لأمر النبي ﷺ حينما قال: «إِذَا ذَكَرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا»^(١).
ولا يزال أهل العلم يضمنون عقائدهم هذه المسألة أعني: - الإمساك
والكف عما شجر بين الصحابة - عليهم السلام^(٢).
فعلى المسلم أن يحسن الظن بالصحابة عليهم السلام وأن يلتمس العذر لهم، وأنهم
أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخرج، ويظن بهم أحسن المذاهب^(٣).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: الشريعة للأجري (٥/ ٢٤٨٥)، مقدمة ابن أبي زيد القيرواني (ص: ٦١)، الإبانة الكبرى لابن
بطة (٣/ ٢٤٣)، عقيدة السلف أصحاب الحديث لأبي عثمان الصابوني (ص: ٢٩٤)، لمعة الاعتقاد لابن
قدامة المقدسي (ص: ٤٠)، رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى أهل القصيم (مطبوع ضمن مؤلفات
الشيخ محمد بن عبد الوهاب)، (٧/ ١٠)، معارج القبول بشرح سلم الوصول لحافظ الحكمي
(٣/ ١١٢٦)، العقيدة الصحيحة وما يضاهاها ونواقض الإسلام لعبد العزيز بن باز (ص: ٢٠).

(٣) مقدمة ابن أبي زيد القيرواني (ص: ٦١).

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ كَلام نفيس في هذا الأمر، قال رَحِمَهُ اللهُ:
 (ولهذا كان من مذاهب أهل السنة الإمساك عما شجر بين الصحابة، فإنه قد
 ثبت فضائلهم، ووجبت موالاتهم ومحبتهم. وما وقع منه ما يكون لهم فيه عذر
 يخفى على الإنسان، ومنه ما تاب صاحبه منه، ومنه ما يكون مغفوراً، فالحوض
 فيما شجر يوقع في نفوس كثير من الناس بغضاً وذنماً، ويكون هو في ذلك مخطئاً،
 بل عاصياً، فيضر نفسه ومن خاض معه في ذلك، كما جرى لأكثر من تكلم في ذلك؛
 فإنهم تكلموا بكلام لا يحبه الله ولا رسوله: إما من ذم من لا يستحق الذم، وإما من
 مدح أمور لا تستحق المدح، ولهذا كان الإمساك طريقة أفاضل السلف)^(١).



(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ٤٤٨).

وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةً مَا صَدَرَ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ.
حَتَّى إِنَّهُ يُغْفِرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ
الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ ^(١).

وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ؛ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلٍ أَحَدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ ^(٢).
ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ
تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِينَ هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ
بِشَفَاعَتِهِ. أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ فِي الْأُمُورِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ:
إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ.
ثُمَّ الْقَدَرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلٍ بَعْضُهُمْ قَلِيلٌ نَزَرُ مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ
وَمَحَاسِنِهِمْ، مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهَجْرَةِ،
وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ وَعَدْلٍ، وَمَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ
الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ،
وَأَنَّهُمْ هُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ.

❦ الشَّيْخُ:

يبين شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ فضل الصحابة وعظيم منزلتهم، لأن لهم من

السبق والفضل ما ليس لغيرهم.

وإذا كان لدى أحدهم ﷺ ذنب فإنَّ لديه أسبابًا متنوعة لتكفير الذنوب، كال்தوبة، فإن التوبة تهدم ما قبلها، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

أو الإتيان بالحسنات، فإن الحسنات تمحو السيئات، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكْرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

أو غفر له بفضل سابقته، قال النبي ﷺ: «وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرًا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»^(١).

أو بشفاعة النبي ﷺ، والصحابة من أحق الناس لنيل شفاعة النبي ﷺ.

أو ابتلي ببلاء في الدنيا، كما قال النبي ﷺ: «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يُشاكها»^(٢).

وهذا في الذنوب المتحققة، وأما الأمور التي يكونون فيها مجتهدين: إن أصابوا؛ فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، قال رسول الله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»^(٣).

ومن تأمل حال الصحابة رضي الله عنهم علم أنهم خير الخلق بعد الأنبياء عليهم

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح (٣/ ١٢٩٢) برقم (٤٢٧٤)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة (ص: ٩٤٥) برقم (٢٤٩٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض وقول الله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ (١٨٠٧/٤) برقم (٥٦٤٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ

(٤/ ٢٢٩٢) برقم (٧٣٥٢)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (ص: ٦٦٢) برقم (١٧١٦).

الصلاة والسلام، وأنهم أفضل هذه الأمة، وأنهم ﷺ كان لهم السبق في نشر الدين والعلم، فيشملهم قوله ﷺ: «من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله»^(١)، وهذا الحديث وإن كان عامًا لهم ولغيرهم إلا أنه يشملهم بالأولية. وأنهم حازوا فضيلة رؤية النبي ﷺ التي لا تكون لمن بعدهم^(٢). وقال عنهم النبي ﷺ: «لا تسبُّوا أصحابي لا تسبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهبًا ما أدرك مدَّ أحدِهِم ولا نصيفُهُ»^(٣). وقال النبي ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»^(٤).



(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير (ص: ٧٣٤) برقم (١٨٩٣).

(٢) انظر: فتح الباري (٧/ ٧).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصَدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، وَمَا يُجْرِي اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ؛ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ، فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ، وَالْمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ، وَالتَّأَثِيرَاتِ. كَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الْأُمَمِ فِي «سُورَةِ الْكَهْفِ» وَغَيْرِهَا. وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الْأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

﴿الشيخ﴾:

من عقيدة أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء، وما أجراه الله لهم من خوارق العادات، والأصل في ذلك قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَلَّمَ دَحْلَ عَلَيْهِمَا زَكْرِيَّا الْمَحْرَبَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرَأَتُ إِنِّي لَلْهِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧] والأدلة على الكرامة كثيرة.

والمراد بالكرامة: أمرٌ خارقٌ للعادة، مقارنٌ للإيمان والعمل الصالح، من غير دعوى النبوة.

والكرامة تكون للولي، والولي هو الرجل المؤمن التقى، قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٣) [يونس: ٦٢-٦٣].

﴿أنواع الكرامات﴾:

أولاً: العلوم: وذلك بأن يحصل للشخص من العلم ما لم يحصل لغيره، مثل ما وقع للخضر من العلم كما في سورة الكهف، قال الله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٥).

ثانيًا: المكاشفات: بأن يخبر شخصٌ بأمرٍ من الأمور فيقع على حسب ما أخبر به كرامةً له، كما حصل لعمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، فعن ابن عمر أنَّ عمر بن الخطَّاب، بعث جيشًا، وأمرَ عليهم رجلًا يُدعى سارية قال: فينا عمر يخطب قال: فجعل يصيح وهو على المنبر يا سارية: الجبل، يا سارية الجبل، قال: فقدِم رَسُولُ الجيش، فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين، لقينا عدوَّنا فهزمونا وإنَّ الصَّائح ليصيح، يا سارية: الجبل، يا سارية: الجبل، فشَدَدْنَا ظهورنا بالجبل، فهزمهم الله، فقبل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك^(١).

ثالثًا: القدرة والتأثير: وذلك بأن يحصل لشخصٍ من القوَّة والتأثير أكبر ممَّا جَرَتْ به العادة، مثل قِصَّة أصحاب الكهف ونومهم المدة الطويلة وهي ثلاث مائة سنة وتسع سنين، ومع هذا لم يهلكوا^(٢).

رابعًا: الرؤية الصادقة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ - وهو يتكلم عن ليلة القدر -: (وقد يكشفها الله لبعض الناس في المنام، أو اليقظة. فيرى أنوارها، أو يرى من يقول له هذه ليلة القدر، وقد يفتح على قلبه من المشاهدة ما يتبيَّن به الأمر)^(٣).

خامسًا: الحفظ: وهو أن يحفظ الله بعض عباده من الوقوع في حبائل الشيطان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (غاية الكرامة لزوم الاستقامة، فلم يكرم الله عبدًا بمثل أن يعينه على ما يحبُّه ويرضاه، ويزيده مما يقربُّه إليه ويرفع به دَرَجَتَه)^(٤).

(١) أخرجه البيهقي في الاعتقاد (ص: ٣١٤)، وحسَّن إسناده ابن حجر في الإصابة (٣/ ٥).

(٢) انظر: الجواب الصحيح (٥/ ٣٨٤)، تفسير ابن كثير (٥/ ١٥٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٢٨٦).

(٤) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (ص: ١٨٧).

❦ ضوابط الكرامة عند أهل السنة والجماعة:

أولاً: أن يكون صاحبها مؤمناً تقيّاً مخلصاً لله عزَّ وجلَّ متبّعاً للنبي ﷺ.

ثانياً: أن تكون الكرامة غير مخالفة للشرع.

ثالثاً: أن لا تؤدّي الكرامة إلى ترك الواجبات أو فعل المنهيات.

رابعاً: أن لا يزكي صاحب الكرامة نفسه، وأن لا يعرض نفسه للفتن بذكر

ذلك، حتى لا يُفتن ويقع في الاستدراج.

❦ الحكمة من إجراء الكرامة على يد بعض العباد:

يجري الله تعالى الكرامة على يد بعض العباد لحكم متعدّدة منها:

أولاً: الامتنان على العبد بتلبية حاجته كما حصل لأُمّ أيمن، فقد رُوي أنَّها كانت مهاجرةً من مَكَّة إلى المدينة، وكانت صائمةً فأصابها العطش فدعت الله عزَّ وجلَّ، والتفتت إلى السماء فإذا دلوٌ معلّقٌ شربت منه حتى ارتوت^(١).

ثانياً: حاجة العبد إلى ما يقوّي إيمانه، فيجري الله الكرامة على يديه فيزداد يقيناً، ويتقوّى عزُّمه على فعل الطاعات واجتناب المعاصي.

ثالثاً: نصر الله تعالى للمؤمنين، وإحداث الرعب في قلوب أعدائهم، كما حصل لخالد بن الوليد رضي الله عنه حينما شرب السمَّ بعد أن قال: (بسم الله) فلم يتأثر^(٢).

رابعاً: إنقاذ المسلمين من مصيبة حلّت بهم، كما حصل لسارية وأصحابه ونداء عمّر لهم.

خامساً: الاستدراج أو الابتلاء أو الاختبار، كما حصل مع بلعام بن

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ١٧٩)، وانظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٢٤)، وذكر محققو السِّير أن رجاله ثقات ولكنه منقطع.

(٢) انظر: فتح الباري (١٠/ ٢٤٨)، والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر (١٦/ ٣٢٠).

باعوراء^(١)، وكان رجلاً صالحاً مستجاب الدعوة، فطلب منه قومه أن يدعو على موسى وقومه فأبى ذلك أول الأمر، ثم وافقهم بعد ذلك، فكان كلما دعا عليهم دعوة أصابت قومه ونزل فيه قوله تعالى:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنشَحْ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْعَٰوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾^(٢) [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

❦ أقسام أصحاب خوارق العادات:

القسم الأول: ترتفع درجته؛ بسبب تلك الخوارق؛ لما يكون منه من طاعة لله تعالى وشكره على نعمه.

القسم الثاني: تنخفض درجته؛ بسبب استعماله الخوارق في معصية الخالق.

القسم الثالث: لا ترتفع درجته ولا تنخفض، ويكون مباحاً كسائر المباحات^(٣).

❦ هل يضر العبد عدم حصول الكرامة له؟

عدم حصول الخوارق للعبد لا يضره ذلك ولا ينقص من درجته، بل قد يكون عدم حصول الخوارق أفضل له، ولذلك فإنه لم يُنقل حصول الخوارق لجميع الصحابة عليهم السلام، ولا لجميع التابعين والأئمة المشهود لهم بالخير.



(١) وفي ضبط اسمه اختلاف. انظر تفسير الطبري (٥٦٦/١٠).

(٢) لمعرفة الأقوال في سبب نزول الآية انظر: أسباب نزول القرآن للنيسابوري (ص: ٢٢٦)، تفسير ابن

كثير (٥٠٧/٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣٠/١٠).

ثُمَّ مِنْ طَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

اتَّبَاعُ أَثَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا.

وَاتَّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ.

وَاتَّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَيْثُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ

الرَّاشِدِينَ الْمُهَدَّيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَيُؤَثِّرُونَ

كَلَامَ اللَّهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ.

وَيَقْدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ.

وَبِهَذَا سُمُّوا «أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ».

وَسُمُّوا «أَهْلَ الْجَمَاعَةِ»؛ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الْاجْتِمَاعُ. وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ

كَانَ لَفْظُ «الْجَمَاعَةِ» قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ.

❦ الشَّيْخُ:

من عقيدة أهل السنة والجماعة هو اتباع النبي ﷺ في جميع شؤون حياتهم،

ولا يقدمون عليه قول أحد من الناس كائنًا من كان، قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ

الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي

يُحِبِّبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال سبحانه:

﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ويرون - أيضًا - اتباع سنة الخلفاء الراشدين، كما قال النبي ﷺ: «أَوْصِيكُمْ

بَتَقَوَى الله والسَّمْع والطاعة وإنَّ عَبْدًا حَبْشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتِي وَسُنَّةَ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّينِ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعُضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمَحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(١).

وفي هذا الحديث الحثُّ على اتِّبَاعِهِم والتَّمَسُّكُ بهديهم رضوان الله عليهم. وأهل السُّنَّة يعتقدون اعتقادًا جازمًا أنَّ خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي مُحَمَّدٌ ﷺ، قال النبي ﷺ: «خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي مُحَمَّدٌ ﷺ»^(٢). وأهل السُّنَّة يَقْدِّمُونَ هدي النبي ﷺ على كُلِّ هَدْيٍ، كما قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: (أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى أَنَّ مَنْ اسْتَبَانَ لَهُ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَدَّعِهَا لِقَوْلِ أَحَدٍ)^(٣).

وَسُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لِأَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ دِينَهُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَمِنَ السُّنَّةِ.

❦ وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ سَمُوا بِذَلِكَ:

نِسْبَةً إِلَى السُّنَّةِ: وَهِيَ طَرِيقَةُ الرَّسُولِ ﷺ الَّتِي يَسِيرُ عَلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَقْرِيرٍ.

وَنِسْبَةً إِلَى الْجَمَاعَةِ: وَهُمْ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

-
- (١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة (ص: ٨٣٢) برقم (٤٦٠٧)، والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (ص: ٦٠٣) برقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (ص: ٢٠) برقم (٤٢) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١١٩/٣).
- (٢) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (ص: ٣٠٢) برقم (٨٦٧).
- (٣) انظر: الروح لابن القيم (٢/٧٣٥).

﴿ وجوب لزوم الجماعة: ﴾

جاءت أدلة كثيرة بالأمر بلزوم الجماعة:

قال الله تعالى: ﴿ وَأَعِصُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضِي لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فِيرْضِي لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ»^(١).

وقال النبي ﷺ: «وَأَنَا أَمْرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمْرُنِي بِهِنَّ، السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالْجِهَادُ وَالْهَجْرَةُ وَالْجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شَبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ»^(٢).

ونشأت التسمية بأهل السنة والجماعة بعد ظهور الفرق؛ كالخوارج والرافضة، وقد وردت التسمية بأهل السنة والجماعة في كلام ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٦]: (فَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَأُولُو الْعِلْمِ، وَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ

(١) أخرجه مسلم، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه، أو طلب ما لا يستحقه (ص: ٦٦١) برقم (١٧١٥).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة (ص: ٦٤٠) برقم (٢٨٦٣)، وأحمد في المسند (٢٨/٤٠٤) برقم (١٧١٧٠). وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/١٤٥).

وجوهم فأهل البدع والضلالة^(١).

والواجب على المسلم عند اختلاف الأمة هو لزوم جماعة المسلمين، والدليل على هذا حديث حذيفة بن اليمان^(٢) رضي الله عنه أنه قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشرِّ مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشرٍّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرٍّ؟ قال: «نعم» قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخنٌ» قلت: وما دخنُه؟

قال: «قومٌ يهدون بغير هديي، تعرف منهُم وتُكرِّ»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شرٍّ؟ قال: «نعم، دعاةٌ إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها»، قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ فقال: «هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا»، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قال «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضَّ بأصل شجرة، حتى يُدرِكَكَ الموتَ وأنتَ على ذلك»^(٣).

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٧٨). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تَلَقَّوْهُ عن نبيهم، ومن خالف ذلك كان مبتدعا عند أهل السنة والجماعة) منهاج السنة النبوية (٢/ ٦٠١).

(٢) اليمان: والد حذيفة، واسمه: حسيل، وقيل: حسل، وهو صحابي مات في أحد. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٢/ ٦٦).

وهنا خرجت عن القاعدة وترجمت للصحابي - مع أنني لم أترجم للأعلام الذين سبق ذكرهم - وذلك لأن كثيرا من الناس وربما بعض طلاب العلم لا يعرفون أن اليمان صحابي، ولا تكاد تسمع من يترضى عليه عند ذكر اسمه؛ فمن فوائد معرفة كونه صحابيا أن ترضى عليه عند ذكر اسمه.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣/ ١١١٢) برقم (٣٦٠٦)،

وَالْإِجْمَاعُ: هُوَ الْأَصْلُ الثَّلَاثُ؛ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ.
فَهُمْ يَزْنُونَ بِهَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ
وظَاهِرَةٍ، مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ.
وَالْإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ «السَّلَفُ الصَّالِحُ»؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ
الْاِخْتِلَافُ، وَانْتَشَرَتِ الْأُمَّةُ.

📖 التَّبَيُّحُ:

ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ الإجماع هو الأصل الثالث، أي: بعد الكتاب والسنة^(١).
والإجماع هو: اتفاق مجتهدي الأمة في عَصْرٍ عَلَى أمر ديني^(٢).
والدليل عَلَى حجية الإجماع قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١١٥) ^(٣)
[النساء: ١١٥].

فقد استدل بها الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى حجية الإجماع^(٤).

ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم
الخروج عَلَى الطاعة ومفارقة الجماعة (ص: ٧١٩) برقم (١٨٤٧).

(١) انظر: الإيمان (ص: ٣٥).

(٢) شرح الكوكب المنير لابن النجار (٢/ ٢١١).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ -عن هذه الآية-: (فكل من شَاقَّ الرسول من بعد ما تبين له
الهدى، فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، وكل من اتبع غير سبيل المؤمنين فقد شاق الرسول من بعد ما تبين له
الهدى. وهذه الآية تدل عَلَى أَنَّ إجماع المؤمنين حجة) الإيمان (ص: ٣٥).

(٤) انظر: أحكام القرآن للبيهقي (١/ ٣٩).

وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَجَارَ أُمَّتِي مِنْ أَنْ تَجْتَمَعَ عَلَى ضَلَالَةٍ»^(١).
 وقول المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (والإجماع الذي ينضبط: هو ما كان عليه السلف الصالح).
 ثم علّل رَحِمَهُ اللَّهُ سبب ذلك فقال: (إذ بعدهم كثر الاختلاف، وانتشرت الأمة).
 وقد قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَنْ ادَّعَى الإجماع فهو كَذِبٌ لَعَلَّ النَّاسَ قَدْ
 اختلفوا)^(٢)، ولا يقصد الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ إنكار حجية الإجماع، ويوضّح ذلك
 ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: (ونصوص رسول الله ﷺ أَجَلُّ عِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَدَ
 وسائر أئمة الحديث من أَنْ يَقْدَمُوا عَلَيْهَا مَا تَوَهَّمُوا إجماعاً مضمونه عدم العلم
 بالمخالف، ولو ساء لتعطلت النصوص، وساء لكل من لم يعلم مخالفاً في حكم
 مسألة أَنْ يَقْدَمَ جهله بالمخالف على النصوص؛ فهذا هو الذي أنكره الإمام أحمد
 والشافعي من دعوى الإجماع، لا ما يظنّه بعض الناس أنه استبعاد لوجوده)^(٣).



(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٤١) برقم (٨٢) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٣١٩).

(٢) مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله (ص: ٤٣٩).

(٣) إعلام الموقعين (٢/ ٥٤).

ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الْأُصُولِ:

يَأْمُرُونَ: بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، عَلَى مَا تَوْجِبُهُ الشَّرِيعَةُ.

وَيَرْوُونَ إِقَامَةَ: الْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَالْجُمُعِ، وَالْأَعْيَادِ؛ مَعَ الْأُمَرَاءِ؛ أَبْرَارًا كَانُوا، أَوْ فُجَارًا.

وَيَحَافِظُونَ عَلَى: الْجَمَاعَاتِ.

وَيَدِينُونَ: بِالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ.

وَيَعْتَقِدُونَ: مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ

بَيْنَ أَصَابِعِهِ^(١).

وقوله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ؛ كَمَثَلِ الْجَسَدِ

الوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ»^(٢).

الشيخ:

من طريق أهل السنة والجماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال النبي ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلمه، وذلك أضعف الإيمان»^(٣).

(١) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب نصر المظلوم (٧٣٣/٢) برقم (٢٤٤٦)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (ص: ٩٧٤) برقم (٢٥٨٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهايم (١٩٠١/٤) برقم (٦٠١١)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (ص: ٩٧٤) برقم (٢٥٨٦) واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص،

وقال رسول الله ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»^(١).

وذكر العلماء أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد أن يتحلى بصفت منها:

العلم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَسُبْحَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] (٢).

والرفق، قال رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»^(٣).

والصبر، قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر: ١-٣]، وقال تعالى - في نصيحة لقمان لابنه -: ﴿يَبْنِىْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه،

وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان (ص: ٤٣) برقم (٤٩).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص،

وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان (ص: ٤٤) برقم (٥٠).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٤٢٢)، تفسير السعدي (٤٠٦).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق (ص: ٩٧٥) برقم (٢٥٩٣).

والصبر بعده^(١).

قال المصنّف رَحِمَهُ اللهُ: (ويرون إقامة: الحج، والجهاد، والجمع، والأعياد؛ مع الأمراء؛ أبرارًا كانوا، أو فجارًا).

من عقيدة أهل السنة والجماعة طاعة ولاية الأمر، قال الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فتجب طاعة ولاية الأمر في غير معصية، كما قال النبي ﷺ: «لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف»^(٢).

وقال النبي ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصي الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»^(٣).

وقال النبي ﷺ: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحبّ وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(٤).

وقول المصنّف: (مع الأمراء؛ أبرارًا كانوا، أو فجارًا).

أهل السنة والجماعة يرون الصلاة خلف الأمراء سواء كانوا أبرارًا أو فجارًا،

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية (ص: ٢٠).

وللفائدة انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن أبي الدنيا، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (ص ٧١٦) برقم (١٨٤٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقوى به (٢/ ٩١١) برقم (٢٩٥٧)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (ص: ٧١٥) برقم (١٨٣٤).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (٤/ ٢٢٣٢) برقم (٧١٤٤)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (ص: ٧١٦) برقم (١٨٣٩).

قال رسول الله ﷺ: «يَصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ، وَإِنْ أَخْطَأُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ»^(١).

وعن عبيد الله بن عدي بن خيار، أنه دخل على عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، - وهو محصور - فقال: إنك إمام عامّة، ونَزَلَ بك ما نرى، وَيُصَلِّي لنا إمام فتنة، ونتَحَرَّج؟ فقال: (الصَّلَاةُ أحسن ما يعمل النَّاسُ، فإذا أَحَسَنَ النَّاسُ، فأَحْسِنَ معهم، وإذا أَسَاءُوا فاجتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ)^(٢).

والنصوص كثيرة جدًّا في الأمر بطاعة ولادة الأمر في غير معصية، وهي مسألة مجمع عليها بين العلماء^(٣).

قال المصنّف: (ويحافظون على الجماعات).

أهل السنة والجماعة يحافظون على الجماعات في الصلوات الخمس، وفضل صلاة الجماعة قد جاءت به السنة في عدة مواضع، قال النبي ﷺ: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة»^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «من توضأ للصلاة فأسبغ الوضوء، ثم مشى إلى الصلاة المكتوبة، فصلاها مع الناس أو مع الجماعة أو في المسجد غفر الله له ذنوبه»^(٥). والنصوص في فضل صلاة الجماعة كثيرة.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب إذا لم يتم الإمام وأتم من خلفه (٢١٩/١) برقم (٦٩٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب إمامة المفتون والمبتدع (٢١٩/١) برقم (٦٩٥).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٤٩/٣).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة (٢٠٦/١) برقم (٦٤٥)، ومسلم، كتاب

المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلّف عنها (ص: ٢٣١) برقم (٦٥٠).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه (ص: ١٠٧) برقم (٢٣٢).

وقال المصنّف: (ويدينون بالنصيحة للأمة)

إِنَّ مِنْ مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الْقِيَامَ بِالنَّصِيحَةِ، وَهِيَ مِنَ التَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢].

وقال النبي ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» قيل: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: «إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدِ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»^(١).

وعن تميم الداري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قلنا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(٢).

وقد بايع بعض الصحابة النبي ﷺ عَلَى النَّصِيحَةِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (بَايَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنَّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ)^(٣). فالنصيحة من الخصال العظيمة التي يعتني بها أهل السنة والجماعة.

قال المصنّف: (ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وشبك بين أصابعه ﷺ، وقوله ﷺ: «مِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ؛ كَمِثْلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحَمَى وَالسَّهْرِ»).

إِنَّ مِنْ مُمَيِّزَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّهُمْ إِخْوَةٌ وَأَنَّهُمْ يَحِبُّونَ الْخَيْرَ لِلنَّاسِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وَيَعْمَلُونَ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:

(١) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام (ص: ٨٣٢) برقم (٢١٦٢).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (ص: ٤٦) برقم (٥٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب البيعة على إيتاء الزكاة (١/ ٤١٧) برقم (١٤٠١)، ومسلم، كتاب

الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (ص: ٤٦) برقم (٥٦).

«لا يؤمن أحدكم، حتى يُحِبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»^(١). فيحرصون على حُبِّ الخير للناس وإيصاله لهم، ويكونون كما وصفهم النبي ﷺ: «كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».

وعن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه؛ اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه؛ اشتكى كله»^(٢).



(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (٢٩/١) برقم (٢٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير (ص: ٤٣) برقم (٤٥).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (ص: ٩٧٤) برقم (٢٥٨٦).

وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ.

وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ.

وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»^(١).

وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ.

وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى،

وَالْمَسَاكِينِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرَّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ.

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخِيَلَاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالْإِسْطِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقِّ أَوْ بَغَيْرِ حَقٍّ.

وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ سَفَسَافِهَا.

📌 التَّخْلِيقُ:

يذكر المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ موقف أهل السنة والجماعة من الأخلاق الحسنة

وكونهم يأمرون بها وينهون عن الأخلاق السيئة.

وقوله: (وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ).

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (ص: ٨٤٦) برقم (٤٦٨٢)،

والترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها (ص: ٢٧٦) برقم (١١٦٢)، وأحمد في

المسند (٣٦٤/١٢) برقم (٧٤٠٢)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/٤٤١) برقم (٤٥٢)، والخلال

في السنة (٣٦/٤) برقم (١١١٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١١/٢٦١) برقم (٤٤٣١)،

والخرائطي في مكارم الأخلاق (ص: ٣١) برقم (٢١)، وابن حبان في صحيحه (الإحسان) (٢/٢٢٧) برقم

(٤٧٩)، والطبراني في المعجم الأوسط (٤/٣٥٦) برقم (٤٤٢٠)، والحاكم في المستدرک (١/٤٣) برقم

(٢)، والشهاب القضاعي في المسند (٢/٢٤٩) برقم (١٢٩١)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/١٢٨)

برقم (٢٧) وقال الشيخ الألباني (حسن صحيح) كما في التعليقات الحسان (١/٤٦٧).

الصبر هو: حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن لطم الحدود وشق الجيوب^(١).

وجاء الأمر بالصبر وبيان الثواب عليه في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٥].

وقال رسول الله ﷺ: «وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر»^(٢). والشكر هو: ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناء واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبةً، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة^(٣).

قال الله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤]. قوله: (وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ).

من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يؤمنون بقضاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أيًا كان هذا القضاء.

❦ والمقضي نوعان:

النوع الأول: مقضي شرعاً مثل أن قضى الله علينا بوجوب الصلاة، فيجب أن نؤمن بهذا القضاء، وأن نُسَلِّمَ لوجوب الصلاة. وهذا يجب علينا أن نرضى به.

النوع الثاني: مقضي كوناً فإن كان محبوباً للنفس، ملائماً للطبع، فالرضا به

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (١/ ٤٣٩) برقم (١٤٦٩)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر (ص: ٣٦٧) برقم (١٠٥٣).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٢٣٤).

مِنْ طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ وَفَطَرَتِهِ، كَمَا لَوْ قَضَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِنْسَانِ بَعْلَمَ فَإِنَّهُ يَرْضَى بِهِ، وَكَذَلِكَ لَوْ قَضَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِلْإِنْسَانِ بِمَا لَيْسَ بِهِ يَرْضَى بِهِ. وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمَقْضَى كَوْنًا غَيْرَ مَلَائِمٍ لِلْإِنْسَانِ، مِثْلَ الْمَرَضِ وَالْفَقْرِ وَالْجَهْلِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَهَذَا اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيهِ:

- فمنهم من قال: يجب الرضا.
- ومنهم من قال: يستحب الرضا.
- والصحيح: أن الرضا به مستحب^(١).

والرضا بالقضاء من الأمور المحمودة، ولذلك كان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبِ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقُطُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا^(٢) بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هِدَاةً مَهْتَدِينَ»^(٣).

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣/٢٠٣-٢٠٤).

(٢) في بعض المصادر الحديثية (الرضا) بدون همزة. وانظر: لسان العرب لابن منظور (١٤/٣٢٣).

(٣) أخرجه النسائي، كتاب السهو (ص: ٢١٢) برقم (١٣٠٥)، وفي السنن الكبرى (٢/٨١) برقم (١٢٢٩)، والدارمي في الرد على الجهمية (ص: ١١٥) برقم (١٨٨)، والبخاري في مسنده (البحر الزخار) (٤/٢٢٨) برقم (١٣٩٢) وابن خزيمة في التوحيد (١/٢٩)، وابن حبان في صحيحه (الإحسان) (٥/٣٠٥) برقم (١٩٧١)، والطبراني في الدعاء (ص: ١٩٩) برقم (٦٢٤)، والحاكم في المستدرک (١/٧٠٥) برقم (١٩٢٣)، وتمام في فوائده (٢/١٤٧) برقم (١٣٨٧)، والبيهقي في الدعوات الكبير (١/٣٤٤) برقم (٢٥١) وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٣/٤٠٢).

وقال الله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١١ ﴾ [التغابن: ١١]. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: عن هذه الآية: (هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيُسَلِّمَ لذلك ويرضى) ^(١).
وعنوان سعادة العبد أنه إذا أنعم عليه شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر ^(٢).
قوله: (ويدعون إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال).

جاء في الشرع الحث على الاتصاف بالأخلاق الحسنة، وجاء في النصوص أن منزلتها رفيعة، وكان ﷺ يأمر بمكارم الأخلاق ^(٣)، وقال الله تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]. وقال النبي ﷺ: «إِنْ مِنْ أَخِيرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا» ^(٤).

وجاء في النصوص أن الأخلاق الحسنة تبلغ بصاحبها مبلغاً عظيماً، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ» ^(٥).

وقال ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حَسَنِ الْخُلُقِ» ^(٦).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/٢٣).

(٢) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم (ص: ٥).

(٣) ذكره البخاري رحمه الله في صحيحه معلقاً (٤/١٩٠٧).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً (٤/١٩٠٦) برقم

(٦٠٢٩) واللفظ له، ومسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حياته ﷺ (ص: ٨٨٤) برقم (٢٣٢١).

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق (ص: ٨٧٠) برقم (٤٧٩٨)، وأحمد في المسند

(٤٧٠/٧١) برقم (٢٥٠١٣)، وابن حبان في صحيحه (الإحسان) (٢/٢٢٩) برقم (٤٨٠)، وتمام في

فوائده (١/٣٧٢) برقم (٩٤٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠/٣٦٤) برقم (٧٦٣٢) وصححه الألباني

في التعليقات الحسان (١/٤٦٧).

(٦) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق (ص: ٨٧١) برقم (٤٧٩٩)، والترمذي، كتاب

وحث النبي ﷺ على الاتصاف بالأخلاق الحسنة، فعن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»^(١).

قال المصنّف: (ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك).

وذلك امتثالاً لقول النبي ﷺ: «صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»^(٢).

قال المصنّف: (ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار). وردت نصوص كثيرة في الأمر ببرّ الوالدين، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا

البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق (ص: ٤٥٤) برقم (٢٠٠٣)، وأحمد في مسنده (٤٥ / ٤٨٧) برقم (٢٧٤٩٦)، والبخاري في الأدب المفرد، (١٠٣ / ١) برقم (٢٧٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٢ / ٣٦٣) برقم (٧٨٢)، والبزار في مسنده (١٠ / ٣٥) برقم (٤٠٩٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١١ / ٢٥٧) برقم (٤٤٢٨)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (ص: ٣٩) برقم (٥٦)، وابن حبان في صحيحه (٢ / ٢٣٠) برقم (٤٨١)، والآجري في الشريعة (٣ / ١٣٣١) برقم (٨٩٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧ / ١٠٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠ / ٣٦٨) برقم (٧٦٣٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣ / ١٧٩).

(١) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس (ص: ٤٥١) برقم (١٩٨٧)، وأحمد في المسند (٣٥ / ٢٨٤) برقم (٢١٣٥٤)، والبزار في المسند (البحر الزخار) (٤١٦) برقم (٤٠٢٢) والخرائطي في مكارم الأخلاق (ص: ٢٨) برقم (٥)، والطبراني في مكارم الأخلاق (ص: ٣١٦) برقم (١٣)، والحاكم في المستدرک (١ / ١٢١) برقم (١٧٨)، والشهاب القضاعي في المسند (١ / ٣٧٩) برقم (٦٥٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠ / ٣٨١) برقم (٧٦٦٣) وحسنه ابن حجر في الأمالي المطلقة (ص: ١٣١) والألباني في صحيح سنن الترمذي (٢ / ٣٧٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٨ / ٦٥٤) برقم (١٧٤٥٢)، وصحّح إسناده الألباني كما في السلسلة الصحيحة (٢ / ٥٥٢).

تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا ﴿ [النساء: ٣٦]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أيُّ العمل أحبُّ إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قال: ثمَّ أيُّ؟ قال: «ثمَّ برُّ الوالدين» قال: ثمَّ أيُّ؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قال: حدَّثني بهنَّ، ولو استزدته لزادني^(١).

وأيضاً جاءت نصوص كثيرة في الأمر بصلة الرِّحم وبيان فضلها، فعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَبْسُطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيَنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(٢)، وجاء الوعيد على قاطع الرِّحم، قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع رَحِم»^(٣).

وجاءت نصوص كثيرة في الأمر بإكرام الجار والإحسان إليه، قال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»^(٤).

وعن عائشة أَنَّ النبي ﷺ قال لها: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةَ الرَّحِمِ وَحَسْنَ الْخَلْقِ وَحُسْنَ الْجَوَارِ يَعْمُرَانِ

(١) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها (١/ ١٧٩) برقم (٥٢٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (ص: ٥٣) برقم (٨٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم (٤/ ١٨٩٦) برقم (٥٩٨٦)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (ص: ٩٦٦) برقم (٢٥٥٧).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب إثم القاطع (٤/ ١٨٩٥) برقم (٥٩٨٤)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (ص: ٩٦٦) برقم (٢٥٥٦) واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (٤/ ١٩٠٣) برقم (٦٠١٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان (ص: ٤٣٩) برقم (٤٨).

الدَّيَّار، ويزيدان في الأعمار»^(١).

قال المصنّف: (والإحسان إلى اليتامى، والمساكين، وابن السبيل، والرفق بالمملوك).

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَأَئْيَتِنَا وَالْمَسْكِينِ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال النبي ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار»^(٢).

. وجاء الحثُّ على الرفق بالمملوك والخادم، قال النبي ﷺ: «هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم ممّا تأكلون، وألبسوهم ممّا تلبسون، ولا تُكَلِّفُوهم ما يَغْلِبُهُم، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهم فَأَعِينُوهم»^(٣).

وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلاماً لي بالسوط، فسمعت صوتاً من خلفي، «اعلم، أبا مسعود»، فلم أفهم الصّوت من الغضب، قال: فلمّا دنا منّي إذا هو رسول الله ﷺ، فإذا هو يقول: «اعلم، أبا مسعود، اعلم، أبا مسعود»، قال: فألقيت السّوط من يدي، فقال: «اعلم، أبا مسعود، أنّ الله أقدرُ عَلَيْكَ مِنْكَ على هذا الغلام»، قال: فقلت: لا أضرب مملوكاً بعده أبداً^(٤).

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٥٣/٤٢) برقم (٢٥٢٥٩) وصححه إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٨/٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل (١٧٢٣/٤) برقم (٥٣٥٣) واللفظ له، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم (ص: ١١٤) برقم (٢٩٨٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك (٣٤/١) برقم (٣٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك ممّا يأكل، وإلباسه ممّا يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه (ص: ٦٣٣) برقم (١٦٦١).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب صحبة المماليك، وكفارة من لطم عبده (ص: ٦٣٢) برقم (١٦٥٩).

ومن رحمته ﷺ بالخدم أنه قال: «إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، فإن لم يجلسه معه، فليناول له أكلة أو أكلتين، أو لقمة أو لقمتين، فإنه ولي حره وعلاجه» (١) «(٢)».

قال المصنّف: (وينهون عن الفخر، والخيلاء، والبغي، والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق).

الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب من الصفات المذمومة التي جاء النهي عنها، قال النبي ﷺ: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» (٣).

وجاء النهي أيضًا عن الخيلاء ومعنى الخيلاء: الكبر، فعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة مَنْ كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كِبَر» (٤).

وجاء النهي عن البغي، والبغي هو: الاستطالة على الناس والتعدي عليهم (٥). قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال النبي ﷺ: «وإن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ» (٦).

(١) يعني: عمله. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/ ٢٨٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأطعمة، باب الأكل مع الخادم (٤/ ١٧٥٣) برقم (٥٤٦٠) واللفظ له، ومسلم، باب إطعام المملوك مما يأكل، وإلباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه (ص: ٦٣٤) برقم (١٦٦٣).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة (ص: ٣٢٨) برقم (٩٣٤).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (ص: ٥٥) برقم (٩١).

(٥) انظر: لسان العرب (١٤/ ٧٨)، تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٩).

(٦) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (ص: ١٠٧١) برقم (٢٨٦٥).

قال المصنّف: (ويأمرّون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سفافها).
 سفافها يعني: رديئها، وسفاسف الأخلاق يعني رديء الأخلاق^(١).
 وجاء في الحديث: «إن الله يحب معالي الأخلاق، ويكره سفافها»^(٢).
 فأهل السنة والجماعة يعملون بمعالي الأخلاق ويأمرّون بها، ويتعدون عن
 الأخلاق السيئة والرديئة وينهون عنها.



(١) انظر: لسان العرب (٩/ ١٥٤).

(٢) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق (ص: ٢٧) برقم (٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ١٨١) برقم (٥٩٢٨)، والحاكم في المستدرک (١/ ١١١) برقم (١٥١)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٣٧٢) برقم (٧٦٤٧) وصحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٣٦٦).

وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا أَوْ غَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.
وَطَرِيقُهُمْ: هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ؛ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ.

﴿الشيخ:﴾

أهل السنة والجماعة حريصون على اتباع الكتاب والسنة في كل شؤونهم، ولا يعتدّون بالأقوال والأفعال التي تخالف الكتاب والسنة أيًا كانت، ومهما بلغت منزلة صاحبها.

الْعِلْمُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ قَالَ الصَّحَابَةُ هُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ
ما العلمُ نَصْبُكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةً بين الرّسولِ وبين رأيِ فلانٍ^(١) !

والإسلام هو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله^(٢).

وطريقة أهل السنة والجماعة هو التمسك بالدين الذي جاء به النبي ﷺ.



(١) نونية ابن القيم (ص: ٢٢٦).

(٢) انظر: الأصول الثلاثة وأدلتها (ص: ٩، ٨).

لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً - وَهِيَ السُّنَّةُ وَالْجَمَاعَةُ -^(١). صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالْإِسْلَامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشُّوبِ هُمْ «أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ».

وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»^(٢)؛ وَفِيهِمُ الصَّدِيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ.

وَفِيهِمُ أَعْلَامُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْتُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ.

وَفِيهِمُ الْأَبْدَالُ. وَمِنْهُمْ: أئِمَّةُ الدِّينِ؛ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَاسَتِهِمْ.

وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ، الَّتِي قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ؛ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(٣).

رحم الشيخ:

أخبر النبي ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَأَخْبَرَ أَنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ هِيَ الْجَمَاعَةُ.

وَالْجَمَاعَةُ: هُمُ الْمُتَمَسِّكُونَ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه المروزي في السنة (٣٢/١) برقم (٥٩)، والآجري في الشريعة (٣٠٨/١) برقم (٢٤) والحاكم في المستدرک (٢١٨/١) برقم (٤٤٤)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٦٦/١) برقم (١) وقال شيخ الإسلام: (صحيح مشهور) مجموع الفتاوى (٣/٣٤٥).

(٣) أخرجه بنحوه البخاري، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية، فأراهم انشقاق القمر (٣/١١٢١) برقم (٣٦٤١)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» (ص: ٧٤٢) برقم (١٠٣٧).

وأصحابه عليهم السلام، كما أخبر النبي ﷺ بذلك لَمَّا سُئِلَ عن الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ فقال: «ما أنا عليه وأصحابي»^(١).

والاختلاف حاصل في الأمة، كما قال النبي ﷺ: «سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألت أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألت أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها»^(٢). وقد جاء في النصوص التحذير من الاختلاف والنهي عنه^(٣).

قال المصنّف: (المتمسِّكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة).

مصطلح «أهل السنة والجماعة» مصطلح شرعي، والنبي ﷺ لما بيّن حصول الفرقة قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»^(٤).

ومصطلح أهل السنة والجماعة مصطلح قديم، ويُقصد به: المتمسكون بسنة النبي ﷺ وأصحابه وتابعيهم، والمتمسكون بما عليه جماعة المسلمين في الصدر الأول.

وقد استعمل هذا اللفظ عند السلف حيث كانوا يدوّنون ما ينقلونه عن

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (ص: ٥٩٥) برقم (٢٦٤١)، وابن وضاح في البدع (١٦٧/٢) برقم (٢٤٨)، والمروزي في السنة (ص: ٢٣) برقم (٥٩)، والآجري في الشريعة (٣٠٨/١) برقم (٢٤)، والطبراني في الكبير (٣٠/١٣)، والحاكم في المستدرک (٢١٨/١) برقم (٤٤٤)، وابن بطة في الإبانة (٣٦٥/١) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٥٤/٣).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (ص: ١٠٨٠) برقم (٢٨٩٠).

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/١٣٩).

(٤) جملة من حديث أخرجه الشيخان وتقدم تخريجه.

عقائد أهل السنة كالإمام أحمد وابنه عبد الله وابن أبي عاصم والخلال وغيرهم. وسمي أهل السنة بذلك: لأنهم الآخذون بسنة النبي ﷺ العاملون بها، والعاملون بمقتضاها، والمتمثلون لقول الرسول ﷺ: «عليكم بسنتي»^(١).

وأما تسميتهم بالجماعة: لأنهم اجتمعوا على الحق، وأخذوا به، واقتفوا أثر جماعة المسلمين المستمسكين بالسنة من الصحابة والتابعين وأتباعهم، ولأنهم اجتمعوا على الحق وعلى اتباع الجماعة، ولأنهم اجتمعوا على أئمتهم وعلى الجهاد وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال المصنّف: (وفيهم: الصديقون، والشهداء، والصالحون).

الشهداء جمع شهيد وهو: الذي قتل مجاهدًا في سبيل الله^(٢).

والصديقون جمع صديق: وهو مبالغة في الصدق، والصديق: الذي يصدق

قوله بالعمل^(٣).

قال المصنّف: (وفيهم: الأبدال).

الأبدال: هم الذين يخلفون الأنبياء، ويقومون مقامهم، فمنهم من يقوم مقام الأنبياء في العلم والبيان، ومنهم من يقوم مقامهم في العبادة، ومنهم في الأمرين جميعًا^(٤)، فهم قوم صالحون^(٥).

وكان بعض السلف يطلق لفظ الأبدال على من عُرف عنه الصلاح والتقوى،

(١) حديث صحيح وقد تقدم تخريجه.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٥١٣).

(٣) المصدر السابق (٣/١٨).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٤/٩٧)، جامع المسائل، المجموعة الثانية (ص: ٦٧).

(٥) انظر: المفردات، (ص: ٣٩).

قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ: (إن كان بخراسان^(١) أحد من الأبدال فمعدان)^(٢).
وقال أيضًا: (ما بقي في الحجاز أحد من الأبدال إلا فضيل بن عياض، وابنه علي)^(٣).
وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ عن يحيى بن سليم: (كان رجلًا فاضلاً، كنا نَعُدُّه من الأبدال)^(٤).

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: (إن لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال فمن يكون)^(٥).

وقال -أيضاً- عن أبي هانئ: (رجل من الأبدال)^(٦).
وقال أبو حاتم الرازي عن عبد الملك بن عبد العزيز: (كان ثقة وكان يُعَدُّ من الأبدال)^(٧).

فتبين أن هذا المصطلح - أعني: مصطلح الأبدال - كان معروفاً عند السلف، ويطلقونه على من عُرِفَ عنه التقوى والزهد والعلم.
ولفظ الأبدال له معنيان صحيحان وهما:

أ - أنهم أبدال عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فكل من هؤلاء الأبدال يقوم مقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، سواء في العلم والبيان والنصيحة، أو

(١) خراسان: بلاد واسعة كبيرة، بداية حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند. انظر معجم البلدان (٢/ ٣٥٠).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٦٠٣) برقم (٥٩٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢٥).

(٤) المصدر السابق (٩/ ٣٠٧).

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (ص: ٥٠) برقم (١٠١).

(٦) تاريخ بغداد (٧/ ١٦٣).

(٧) الجرح والتعديل (٥/ ٣٥٨).

في العبادة، أو في كليهما.

ب - أنهم بدّلوا سيئاتهم حسنات، وهذا المعنى يشمل كلّ تائب من سيئاته^(١). ولكن بعض المبتدعة ضلّ في هذا الباب مثل الصوفية، فلهم في تعريف الأبدال أقوال^(٢)، منها: أنهم سبعة رجال، يسافر أحدهم عن موضع ويترك في ذلك الموضع جسداً يكون على صورته، حتى لا يُعرف أنه فقد^(٣).

ولا شك أن هذا المعنى باطل؛ لأن هذا لا يعرف إلا بدليل، وليس هناك ما يدل عليه، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: (وليس في أولياء الله المتقين، ولا عباد الله المخلصين الصالحين، ولا أنبيائه المرسلين، من كان غائب الجسد دائماً عن أبصار الناس، بل هذا من جنس قول القائلين إن علياً في السحاب)^(٤).

❦ ويستدلون على الأبدال بأحاديث لا تصحُّ:

* منها حديث أنس مرفوعاً: «الأبدال أربعون رجلاً وأربعون امرأة، كلما مات رجل أبدل الله رجلاً مكانه، وإذا ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة»^(٥).

* وبحديث: «لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن عَلَيْهِ السَّلَامُ فبهم يسقون وبهم ينصرون، ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر»^(٦).

* وبحديث: «البدلاء أربعون، اثنان وعشرون بالشام، وثمانية عشر بالعراق،

(١) انظر: جامع المسائل - المجموعة الثانية، (ص: ٦٧ - ٧٠)، مجموع الفتاوى (٤ / ٩٧).

(٢) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون (١ / ٨٧).

(٣) انظر: معجم اصطلاحات الصوفية (ص: ٦٢)، التعريفات للجرجاني (ص: ٤٨).

(٤) مجموع الفتاوى (١١ / ٤٤٣).

(٥) أخرجه الخلال في كرامات الأولياء (ص: ٢١) برقم (١). قال ابن الجوزي: (فيه مجاهيل)

الموضوعات (٣ / ١٥٢)، وقال الألباني رَحِمَهُ اللهُ: (إسناده ضعيف مظلم) السلسلة الضعيفة (٥ / ٥١٩).

(٦) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤ / ٢٤٧) برقم (٤١٠١)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٩ / ٣٢٥).

كلما مات منهم أحد أبدل الله مكانه آخر، فإذا جاء الأمر قبضوا كلهم، فعند ذلك تقوم الساعة»^(١).

* وبحديث: «لا يزال في هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمن، كلما مات واحد أبدل الله تعالى مكانه رجلاً»^(٢).

* وبحديث: «خيار أمتي في كل قرن خمسمائة، والأبدال أربعون، فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأربعون، كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر، وهم في الأرض كلها»^(٣).

* وبحديث: «لا يزال أربعون رجلاً من أمتي، قلوبهم على قلب إبراهيم، يدفع الله بهم عن أهل الأرض، يقال لهم الأبدال، إنهم لم يدركوها بصلاة ولا بصوم ولا بصحبة». قال: فبم أدركوها يا رسول الله؟ قال: «بالسخاء والنصيحة للمسلمين»^(٤).

وذكر المحققون من أهل العلم أن الأحاديث الواردة في الأبدال والأقطاب؛ أنها كلها ضعيفة لا يصح منها شيء^(٥).

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٦ / ٣٧٨)، والخلال في كرامات الأولياء، (ص: ٢١) برقم (٢). وفي إسناده العلاء بن زبدل [هكذا]، قال عنه ابن الجوزي: (قال ابن المديني: كان يضع الحديث، وقال أبو داود والدارقطني: متروك الحديث. وقال ابن حبان: روى عن أنس نسخة موضوعة لا يحل ذكرها إلا تعجباً) الموضوعات (٣ / ١٥٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٧ / ٤١٣) برقم (٢٢٧٥١)، والخلال في كرامات الأولياء، (ص: ٢٢) برقم (٣). قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ: (منكر). السلسلة الضعيفة (٢ / ٣٤٠).

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١ / ٨)، وقال الألباني: (موضوع). انظر: السلسلة الضعيفة (٢ / ٣٣٩)، وضعيف الجامع (ص: ٤٢٢).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠ / ١٨١) برقم (١٠٣٩٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤ / ١٧٢). وقال الألباني: (ضعيف جداً). انظر: السلسلة الضعيفة (٣ / ٦٦٩).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١١ / ١٦٧)، المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم (ص: ١٣٢)، السلسلة الضعيفة للألباني (٢ / ٣٣٩).

قال المصنّف: (وهم الطائفة المنصورة، الذين قال فيهم النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين؛ لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، حتى تقوم الساعة»).

أهل السنة والجماعة هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية؛ (لأن الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسله معهم)^(١).



(١) مجموع الفتاوى (٩٧/٤).

فَسَأَلَ اللَّهُ الْعَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ، وَأَنْ لَا يَزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَيَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً؛ إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَصَلَّى عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿الشَّيْخُ﴾: ختم المصنّف رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى هذا الكتاب الجليل بسؤال الله الثبات وأن لا يزيغ قلوبنا، وهو مطلب عظيم، قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٨﴾ [آل عمران: ٨] فعلى المسلم أن يسأل الله تعالى الثبات، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء»، ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم مُصَرِّفِ القلوب؛ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»^(١).

وكان النبي ﷺ كثيراً يسأل رَبَّهُ الثبات ويستعيذ به من الضلال، فعن ابن عباس رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»^(٢).

فنسأل الله تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العُلا أن يحيينا على التوحيد والسنة وأن يميّتنا على التوحيد والسنة وأن يثبتنا على الحق إلى أن نلقاه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (ص: ٩٩٥) برقم (٢٦٥٤).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (ص: ١٠١٧) برقم (٢٧١٧).

فهرس الموضوعات

٣	مقدمة الشارح
٤	مقدمة المعني
١٠	منهج القرآن في الدعوة إلى التوحيد والإيمان
١١	القضية الأولى: وهي قضية التوحيد
١٢	القضية الثانية: طعن المشركين في الرسول ﷺ
١٥	القضية الثالثة: طعن المشركين في القرآن الكريم
١٦	القضية الرابعة: طعن المشركين في البعث
١٧	منهج السلف وطريقتهم في تدوين العقيدة السلفية
٢٠	نشأة تدوين العقيدة السلفية
٢٢	مراحل تدوين العقيدة
٢٦	طرق أهل العلم في تدوين العقيدة
٣٧	التعريف بالواسطية من حيث اسمها وموضوعها وتاريخ تأليفها وأهميتها ...
	منهج شيخ الإسلام وطريقته في الواسطية ومصادره ومقارنة الواسطية بالحموية
٤١	والتدمرية
٤٨	امتحان شيخ الإسلام
٦١	معنى الحمد وأنواعه
٦٢	تعريف الهداية وأنواعها
٦٥	معنى شهادة أن لا إله إلا الله

- ٦٥.....موقف الفرق من معنى لا إله إلا الله.
- ٦٧.....الفرق بين معنى الرب والإله.
- ٦٨.....أركان لا إله إلا الله.
- ٦٨.....مراتب لا إله إلا الله.
- ٧٠.....أقسام التوحيد.
- ٧١.....خصائص توحيد الألوهية.
- ٧٣.....الأسباب التي أوقعت المتكلمين في الانحراف في توحيد الألوهية.
- ٧٣.....إعراب كلمة لا إله إلا الله.
- ٧٥.....سبب اشتهاار توحيد الربوبية عند المتكلمين.
- ٧٦.....معنى شهادة أن محمدا رسول الله.
- ٧٧.....تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً.
- ٧٨.....المراد بالفرقة الناجية.
- ٨٠.....معنى السنة ومتى تسمى أهل السنة بهذا الاسم.
- ٨١.....الإيمان لغة.
- ٨٢.....الإيمان شرعاً.
- ٨٤.....التعريف بالملائكة.
- ٨٦.....الكلام على تفاضل الملائكة.
- ٨٨.....مسألة التفاضل بين الملائكة وصالحى البشر.
- ٨٩.....الإيمان بالكتب.
- ٩٠.....التعريف بالرسول والنبي والفرق بينهما.
- ٩٢.....الكلام على تفاضل الرسل عليهم السلام.

- المراد بالبعث..... ٩٤
- الإيمان بالقدر وبيان مراتبه..... ٩٤
- معنى التحريف وأنواعه..... ٩٦
- معنى التعطيل وأنواعه..... ٩٧
- معنى التكييف..... ٩٨
- معنى التمثيل وأنواعه..... ٩٨
- طريقة أهل السنة والجماعة في باب أسماء الله وصفاته..... ٩٩
- أصول الإثبات عند أهل السنة والجماعة..... ٩٩
- أصول التنزيه عند أهل السنة والجماعة..... ١٠٢
- تعريف الإلحاد لغة..... ١٠٤
- المراد بالإلحاد بأسماء الله وصفاته..... ١٠٤
- أنواع الإلحاد في أسماء الله وصفاته..... ١٠٤
- أنواع القياس..... ١٠٥
- قياس الأولي واستعماله في باب الصفات..... ١٠٦
- مذهب السلف مبني على الإثبات والتنزيه..... ١٠٨
- معنى الصمد..... ١٠٩
- مقاصد القرآن الكريم..... ١٠٩
- سورة الإخلاص جمعت أنواع التوحيد..... ١١٠
- مواضع قراءة سورة الإخلاص..... ١١١
- أعظم آية في كتاب الله تعالى آية الكرسي..... ١١٣
- إثبات الكرسي لله ومعناه..... ١١٣

- الصفات التي تضمنتها آية الكرسي..... ١١٥
- معاني اسم الحكيم..... ١١٩
- أحكام الله نوعان شرعي وكوني..... ١١٩
- خالف المتكلمون في إثبات صفة الحكمة من أوجه..... ١٢٠
- الرزق نوعان خاص وعام..... ١٢٥
- إثبات صفة المحبة لله تعالى..... ١٣٠
- إثبات صفة الرحمة لله تعالى..... ١٣٢
- الرحمة قسمان: عامة وخاصة..... ١٣٢
- إثبات صفة الغضب والسخط لله تعالى..... ١٣٣
- إثبات صفة المقت لله تعالى..... ١٣٥
- إثبات صفة الإتيان والمجيء لله عز وجل..... ١٣٦
- الرد على المتكلمين في تعطيل صفة المجيء..... ١٣٧
- إثبات صفة الوجه لله جل وعلا..... ١٣٩
- إثبات صفة اليدين لله تعالى..... ١٤٠
- وردت صفة اليد في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه..... ١٤١
- إثبات صفة العين لله تعالى..... ١٤٢
- أنواع ورود صفة العين في الكتاب والسنة..... ١٤٢
- إثبات المكر والكيد لله تعالى وأنها تطلق مقيدة لا مطلقة..... ١٤٥
- إثبات العفو والقدرة والمغفرة لله تعالى..... ١٤٨
- إثبات العزة لله تعالى..... ١٥٠
- أنواع العزة..... ١٥٠

- ١٥٤.....إثبات صفة الاستواء لله تعالى.
- ١٥٥.....معاني الاستواء.
- ١٥٥.....الرد على المتكلمين في تعطيل صفة الاستواء.
- ١٥٨.....إثبات صفة العلو لله تعالى.
- ١٥٩.....أنواع العلو.
- ١٥٩.....كيف تعرف الأشعري أو الماتريدي.
- ١٦٤.....إثبات المعية لله تعالى.
- ١٦٥.....معنى المعية وأقسامها.
- ١٦٦.....إثبات صفة الكلام لله جل وعلا.
- ١٦٩.....بيان انحراف المتكلمين في اعتقادهم في صفة الكلام لله تعالى والرد عليهم.
- ١٧٣.....إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة.
- ١٧٥.....الرد على المتكلمين في نفيتهم لرؤية الله تعالى.
- ١٧٨.....إثبات صفة النزول لله تعالى.
- ١٨٠.....الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء.
- ١٨٠.....الأدلة على أن نزول الله سبحانه وتعالى هو نزول حقيقي.
- ١٨٢.....إثبات صفة الفرح لله تعالى.
- ١٨٢.....إثبات صفة الضحك لله تعالى.
- ١٨٤.....إثبات صفة العجب لله تعالى.
- ١٨٦.....الرد على المتكلمين في نفيتهم صفة العجب.
- ١٨٧.....إثبات صفة القَدَم لله عز وجل.
- ١٩٩.....وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق في الصفات.

- ٢٠١.....وسطية أهل السنة في باب القدر
- ٢٠٢.....وسطية أهل السنة في باب الوعيد
- ٢٠٢.....وسطية أهل السنة في باب أسماء الإيمان
- ٢٠٣.....وسطية أهل السنة في الصحابة
- ٢٠٣.....مراتب التعطيل
- ٢٠٤.....معنى التشبيه
- ٢٠٤.....حكم التشبيه والتعطيل
- ٢٠٥.....المراد بالجهمية ونسبتهم
- ٢٠٥.....أسباب افتراق الأمة
- ٢٠٦.....المراد بالوعيد
- ٢٠٨.....مصطلح الرافضة يطلق على فرق عديدة
- ٢١٠.....الروافض على طريقة المعتزلة في العقيدة
- ٢١٢.....لماذا شيخ الإسلام يكرر الكلام على صفة الكلام والعلو والاستواء والمعية
- ٢٢٢.....القبر أول منزل من منازل الآخرة
- ٢٢٣.....إثبات عذاب القبر ونعيمه
- ٢٢٤.....بيان من يستثنى من فتنة القبر
- ٢٢٥.....المخالفون لأهل السنة في فتنة القبر
- ٢٢٨.....إثبات الميزان والدليل عليه
- ٢٣٠.....إثبات صحائف الأعمال
- ٢٣٢.....إثبات الحساب
- ٢٣٥.....إثبات الحوض

الكلام على الحوض والكوثر.....	٢٣٥
إثبات الصراط.....	٢٣٧
تعريف الشفاعة لغة واصطلاحاً.....	٢٤٠
شرط الشفاعة.....	٢٤١
أركان الشفاعة.....	٢٤١
أنواع الشفاعة.....	٢٤٢
الشفاعات الخاصة بالنبي ﷺ.....	٢٤٤
أسباب نيل شفاعة النبي ﷺ.....	٢٤٩
أقسام الناس في الشفاعة.....	٢٥١
تعريف الإيمان بالقضاء والقدر.....	٢٥٥
درجات الإيمان بالقدر.....	٢٥٦
أنواع الكتابة.....	٢٥٧
ضلال أهل البدع في باب القدر.....	٢٥٩
الإرادة الشرعية والكونية والفرق بينهما.....	٢٦٢
القدر يدخل في التوحيد.....	٢٦٥
معاني الإيمان في اللغة.....	٢٦٦
معنى الإيمان شرعاً.....	٢٦٧
المقصود بقول القلب وعمل القلب.....	٢٦٩
المقصود بقول اللسان وعمل اللسان.....	٢٦٩
حقيقة الإيمان.....	٢٦٩
أسباب ضعف الإيمان.....	٢٧١

- معنى الكفر لغة واصطلاحاً..... ٢٧٣
- أهل السنة لا يكفرون أهل القبلة بالمعاصي التي دون الشرك..... ٢٧٣
- تعريف الكبيرة..... ٢٧٤
- آراء المبتدعة في صاحب الكبيرة..... ٢٧٥
- صاحب الكبيرة لا يُعطى الإيمان المطلق ولا يُسلب مطلق الإيمان..... ٢٧٥
- مسائل متعلقة بالتكفير..... ٢٧٦
- شروط التكفير..... ٢٧٧
- موانع التكفير..... ٢٧٧
- الكفر نوعان..... ٢٧٩
- الفرق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر..... ٢٧٩
- تعريف الصحابي وموقف أهل السنة من الصحابة..... ٢٨٢
- عدالة الصحابة رضي الله عنهم وفضلهم..... ٢٨٣
- تفاضل الصحابة رضي الله عنهم..... ٢٨٤
- مسألة المفاضلة بين الصحابة ومن جاء بعدهم..... ٢٨٨
- إثبات خلافة الخلفاء الراشدين..... ٢٩٠
- حكم سب الصحابة رضي الله عنهم..... ٢٩٠
- المقصود بآل البيت..... ٢٩٤
- فضل آل البيت..... ٢٩٥
- موقف أهل السنة من أهل البيت..... ٢٩٦
- الطوائف التي ضلت في الموقف من آل البيت..... ٢٩٦
- أفضل زوجات النبي ﷺ..... ٢٩٩

- أهل السنة يمسون عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم ٣٠١
- المراد بالكرامة وأنواعها ٣٠٦
- ضوابط الكرامة عند أهل السنة والجماعة ٣٠٨
- الحكمة من إجراء الكرامة على يد بعض العباد ٣٠٨
- أقسام أصحاب خوارق العادات ٣٠٩
- هل يضر العبد عدم حصول الكرامة ٣٠٩
- من عقيدة أهل السنة اتباع سنة النبي ﷺ وسنة خلفائه الراشدين ٣١٠
- سبب تسمية أهل السنة والجماعة بهذا الاسم ٣١١
- وجوب لزوم الجماعة ٣١٢
- تعريف الإجماع ٣١٤
- صفات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣١٧
- من عقيدة أهل السنة طاعة ولاة الأمر في غير معصية ٣١٨
- جملة من صفات أهل السنة ٣١٨
- المقضي نوعان ٣٢٣
- حكم الرضا بالمقضي كونا ٣٢٣
- المراد بالأبدال ٣٣٤
- الأحاديث الواردة في الأبدال كلها ضعيفة ٣٣٦
- الخاتمة ٣٣٩
- فهرس الموضوعات ٣٤٠

